هل يعتبر الفراعنة بمصرع من سبقهم ؟

جمعه وأعده

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ ٢٠١١ م

حقوق الطبع لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين،وعلى آله وصحبه أجمعين،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الطغاة موجودون على مدار التاريخ،وزعيمهم الأكبر فرعون ومن اقتدى به من السابقين واللاحقين ...

والكل قد ماتوا وأخذهم الله تعالى أخذ عزيز مقتدر،قال تعالى : { فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت: ٤٠]

فهل الطغاة والفراعنة المعاصرون يعتبرون بمصرع من سبقهم؟

أم أن بلادة الحس وجنون العظمة قد أعمت أبصارهم وبصائرهم ؟

حيث إن كل واحد منهم يقول عن مصرع الذي سبقه:

أنا لست مثل فلان،ثم يأخذ مزيدا من الحيطة والحذر،لكن قدر الله تعالى آتيه لا محالة،فلن يستطيع الإفلات منه أبدا،قال تعالى:{ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجمعة: ٨]

إِنَّ الفِرَارَ مِنَ المَوْتِ لاَ يُجْدِيهِمْ نَفْعاً،وَإِنَّهُ سَيُلاقِيهِمْ حِينَمَا يَحِينَ أَجَلُهُمْ،لاَ يَصْرِفُهُ عَنْهُمْ صَارِفٌ،وَأَيَّامُ الحَيَاةِ مَعْدُودَةٌ،وَهِيَ سَتَنْقَضِي مَهْمَا طَالَ أَمَدُهَا،ثُمَّ تَرْجِعُونَ بَعْدَ المَوْتِ إِلَى عَالِمِ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ،وَعَالِمِ مَا هُوَ مُشَاهَدٌ فِيهَا،فَيُخْبِرُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا،وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ[1]

وفي هذا الكتاب تطرقت للمباحث التالية :

المبحث الأول=رسالة مفتوحة إلى حكام البلاد العربية وغيرها

المبحث الثاني=الأحكام الشرعية لفراعنة الدول العربية

[1] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٠٦٣، بترقيم الشاملة آليا)

المبحث الثالث=مقتل القذافي دروس وعبر لمن كان له قلب

المبحث الرابع=يا فرعون سوريا هل تعتبر بفرعون ليبيا ؟

المبحث الخامس=الغرب يلوح بعقوبات جرائم حرب ضد الثوار الليبيين !!!!

وأرجو أن يكون في هذا الكتاب ذكرة وعبرة لنا ولهم...

كما أسأله تعالى أن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره والدال عليه في الدارين .

قال تعالى:{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)} سورة[ق]

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

٤ ذو الحجة ١٤٣٢ هـ الموافق ل ٢٠١١/١٠/٣١ م

المبحث الأول

رسالة مفتوحة إلى حكام البلاد العربية وغيرها

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين،وعلى آله وصحبه أجمعين،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالسلام على من اتبع الهدى،وترك طرق الردى.

أيها الحاكم

أيها الرئيس

أيها الأمير

أيها الملك

أيها المسؤول الكبير:

الوصول للسلطة بالقوة والعمالة:

اعلموا أنكم لم تصلوا إلى سدة الحكم إلا لأن الذي قبلكم قد مات أو قمتم عليه بانقلاب دموي أو....

وهذا الكرسي لن يدوم لكم طويلا،فسوف تزولون كما زال من قبلكم من الطغاة والمجرمين،قال تعالى:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)} [الفجر:٦ - ١٤]

كَانَ قَوْمُ عَادٍ أَشِدَّاءَ،عِظَامَ الخَلَقِ،وَكَانُوا خَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى،مُكَذِّبِينَ رُسُلَهُ،فَذَكَرَ تَعَالَى كَيْفَ أَهْلَكَهُمْ وَدَمَّرَهُمْ،وَجَعَلَهُمْ أَحَادِيثَ لِيَتَّعِظَ مُشْرِكُو العَرَبِ،وَلاَ يَغْتَرُّوا بِقُوَّتِهِمْ وَمَالِهِمْ وَعَدَدِهِمْ .

وَذَكَرَ اللهُ تَعَالَى كَيْفَ دَمَّرَ مَدينتهُمْ (إِرَمَ) ذَاتَ الأَعْمَدَة الضَّخْمَة،(وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ المَقْصُودَ بالعَمَدِ هُوَ عَمَدُ الخِيَامِ لَمَا كَانَتْ لَهُمْ مَدِينَةٌ ثَابِتَةٌ بَاقِيَةٌ يَذْكُرُهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِه الكَرِيمِ) .

التِي لَمْ يُخْلَقْ فِي البِلاَدِ كُلِّهَا نَظِيرٌ لَهَا . (وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ تَمْتَازُ بِأَبْنِيَةٍ لاَ مَثِيلَ لَهَا) .

أَوَ لَمْ تَعْلَمْ كَيْفَ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عِقَابَهُ بِثَمُودَ،قَوْمِ صَالِحٍ،فَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعاً،وَثَمُودُ هَؤُلاَءِ هُمُ الذِينَ قَطَعُوا الصَّخْرَ وَنَحَتُوهُ فِي الوَادِي،وَبَنَوْا بِه القُصُورَ وَالأَبْنِيَةَ العَظِيمَةَ . (وَثَمُودُ قَبِيلَةٌ عَرَبِيَّةٌ مِنْ سَكّانِ وَادِي القُرَى،وَتُعْرَفُ مَدِينَتُهُم اليَومَ بِمَدَائِنِ صَالِحٍ) .

أَوَ لَمْ تَعْلَمْ كَيْفَ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عِقَابَهُ بِفِرْعَوْنَ ذِي المَبَانِي العَظِيمَةِ التِي شَادَهَا هُوَ وَمَنْ قَبْلَهُ كَالأَهْرَامَاتِ وَالمسَلاَّت .

(وَلَفَتَ الأُسْتَاذ المَرَاغِي فِي تَفْسِيرِه النَّظَرَ إِلَى أَنَّ شَكْلَ المِسَلاَّتِ التِي بَنَاهَا الفَرَاعِنَةُ فِي مَصْرَ يُشْبِهُ شَكْلَ الوَتِدِ المَقْلُوبِ الذِي تُشَدُّ بِه الخِيَامُ) .

(وَقِيلَ إِنَّ فِرْعَوْنَ سُمِّيَ بِذِي الأَوْتَادِ لأَنَّهُ ضَرَبَ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ فِي الأَرْضِ وَشَدَّ إِلَيهَا أَطْرَافَ زَوْجَةٍ لَهُ حَتَّى هَلَكَتْ) .

وَهَؤُلاَءِ الذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ مِنْ عَادٍ وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ . . قَدِ اسْتَعْمَلُوا سُلْطَانَهُمْ وَقُوَّتَهُمْ فِي الطُّغْيَانِ،وَالتَّجَاوزِ عَلَى حُقُوقِ العِبَادِ . فَانْتَشَرَ الفَسَادُ وَعَمَّ البِلاَدَ،وَضَجَّ النَّاسُ بِالشَّكْوَى مِنَ الظُّلْمِ . فَصَبَّ اللهُ عَلَيْهِمْ أَلْوَاناً مُلْهِبَةً مِنَ العَذَابِ وَالبَلاَءِ عِقَاباً لَهُمْ عَلَى مَا أَجْرَمُوا .

وَاللهُ سُبْحَانَهُ عَالِمُ بِمَا يَفْعَلُهُ الطُّغَاةُ،وَهُوَ يَرْصُدُ تَصَرُّفَاتِهِمْ وَيُرَاقِبُهَا،وَلاَ يَفُوتُهُ شَيءٌ مِنْهَا،فَأَخَذَ هَؤُلاَءِ العُتَاةَ الطُّغَاةَ الكَافِرِينَ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ .[٢]

هؤلاء هم «الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ،فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ» .. وليس وراء الطغيان إلا الفساد. فالطغيان يفسد الطاغية،ويفسد الذين يقع عليهم الطغيان سواء. كما يفسد العلاقات والارتباطات في كل جوانب الحياة. ويحول الحياة عن خطها السليم

[٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٨٧٦، بترقيم الشاملة آليا)

النظيف،المعمر الباني،إلى خط آخر لا تستقيم معه خلافة الإنسان في الأرض بحال .. إنه يجعل الطاغية أسير هواه،لأنه لا يفيء إلى ميزان ثابت،ولا يقف عند حد ظاهر،فيفسد هو أول من يفسد ويتخذ له مكانا في الأرض غير مكان العبد المستخلف وكذلك قال فرعون .. «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى» عندما أفسده طغيانه،فتجاوز به مكان العبد المخلوق،وتطاول به إلى هذا الادعاء المقبوح،وهو فساد أي فساد.

ثم هو يجعل الجماهير أرقاء أذلاء،مع السخط الدفين والحقد الكظيم،فتتعطل فيهم مشاعر الكرامة الإنسانية،وملكات الابتكار المتحررة التي لا تنمو في غير جو الحرية. والنفس التي تستذل تأسن وتتعفن،وتصبح مرتعا لديدان الشهوات الهابطة والغرائز المريضة. وميدانا للانحرافات مع انطماس البصيرة والإدراك. وفقدان الأريحية والهمة والتطلع والارتفاع،وهو فساد أي فساد ..

ثم هو يحطم الموازين والقيم والتصورات المستقيمة،لأنها خطر على الطغاة والطغيان. فلا بد من تزييف للقيم،وتزوير في الموازين،وتحريف للتصورات كي تقبل صورة البغي البشعة،وتراها مقبولة مستساغة .. وهو فساد أي فساد.

فلما أكثروا في الأرض الفساد،كان العلاج هو تطهير وجه الأرض من الفساد:«فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ. إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ» .. فربك راصد لهم ومسجل لأعمالهم. فلما أن كثر الفساد وزاد صب عليهم سوط عذاب،وهو تعبير يوحي بلذع العذاب حين يذكر السوط،وبفيضه وغمره حين يذكر الصب. حيث يجتمع الألم اللاذع والغمرة الطاغية،على الطغاة الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد. ومن وراء المصارع كلها تفيض الطمأنينة على القلب المؤمن وهو يواجه الطغيان في أي زمان وأي مكان.

ومن قوله تعالى:«إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ» تفيض طمأنينة خاصة. فربك هناك. راصد لا يفوته شيء. مراقب لا يند عنه شيء. فليطمئن بال المؤمن،ولينم ملء جفونه. فإن ربه هناك! .. بالمرصاد .. للطغيان والشر والفساد! وهكذا نرى هنا نماذج من قدر الله في أمر الدعوة،غير النموذج الذي تعرضه سورة البروج لأصحاب الأخدود. وقد كان القرآن – ولا يزال – يربي المؤمنين بهذا النموذج وذاك. وفق الحالات والملابسات. ويعد نفوس

المؤمنين لهذا وذاك على السواء. لتطمئن على الحالين. وتتوقع الأمرين،وتكل كل شيء لقدر الله يجريه كما يشاء.«إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ» .. يرى ويحسب ويحاسب ويجازي،وفق ميزان دقيق لا يخطئ ولا يظلم ولا يأخذ بظواهر الأمور لكن بحقائق الأشياء ..[٣]

صفات الحاكم المسلم:

فالله تعالى قد أمر الحاكم أن يحكم بالعدل ولا يتبع الهوى،قال تعالى:{ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [ص:٢٦]

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِدَاوُدَ:إِنَّهُ جَعَلَهُ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ،نَافِذَ الكَلِمَةِ والحُكْمِ بَينَ الرَّعِيَّةِ،فَعَلَيْهِ أَنْ يَحْكُمَ بَينَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَالعَدْلِ،وَأَنْ لاَ يَتَّبِعَ الهَوَى لأَنَّ اتِّبَاعَ الهَوَى يَكُونُ سَبَباً للضَّلاَلَةِ وَالجَوْرِ عَنِ الطَّرِيقِ القَوِيمِ الذِي شَرَعَهُ اللهُ تَعَالَى .ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى:إِنَّ الذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَهُدَاهُ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ (يَوْمَ الحِسَابِ) عَذَابٌ شَدِيدٌ لِنِسْيَانِهِمْ ذَلِكَ اليَومَ،وَإِنَّ اللهَ سَيُحَاسِبُ العِبَادَ فِيهِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ جَمِيعاً،صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا .[٤]

وقال تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل:٩٠]

إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَأْمُرُ فِي كِتَابِهِ الذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ بِالعَدْلِ وَالإِنْصَافِ،وَيَنْدُبُ إِلَى الإِحْسَانِ وَالفَضْلِ،وَيَأْمُرُ بِصِلَةِ الرَّحِمِ وَإِعْطَاءِ ذَوِي القُرْبَى مَا هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ،وَيَنْهَى عَنِ ارْتِكَابِ المُحَرَّمَاتِ وَالمُنْكَرَاتِ وَالفَوَاحِشِ،مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ،مِمَّا يَأْتِيهِ العَبْدُ سِرّاً وَخِفْيَةً وَاللهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالخَيْرِ،وَيَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَالشَّرِّ،لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ مَا أَوْدَعَهُ اللهُ فِي الفِطْرَةِ مِنْ وَحْيٍ قَوِيمٍ أَصِيلٍ،فَتَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهُ .[٥]

---

[٣] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٤٨٥٢)

[٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٨٧٥، بترقيم الشاملة آليا)

[٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٩٩١، بترقيم الشاملة آليا)

وقد أمر بالعدل مع القريب والبعيد والعدو والصديق،قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة:٨]

يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لِيَكُنْ هَمَّكُمْ وَدَأْبُكُمُ التِزَامَ الحَقِّ فِي أَنْفُسِكُمْ (بِدُونِ اعْتِدَاءٍ عَلَى أَحَدٍ)،وَفِي غَيْرِكُمْ (بِالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَحْدَهُ،لاَ لأَجْلِ إِرْضَاءِ النَّاسِ،وَاكْتِسَابِ السُّمْعَةِ الحَسَنَةِ عِنْدَهُمْ)،وَكُونُوا شُهَدَاءَ بِالعَدْلِ (القِسْطِ)،دُونَ مُحَابَاةٍ لِمَشْهُودٍ لَهُ،وَلاَ لِمَشْهُودٍ عَلَيهِ،فَالعَدْلُ مِيزَانُ الحُقُوقِ،وَمَتَى وَقَعَ الجُورُ فِي أُمَّةٍ،زَالَتِ الثِّقَةُ مِنْ نُفُوسِ النَّاسِ،وَانْتَشَرَتِ المُفَاسِدُ،وَتَقَطَّعَتْ رَوَابِطُ المُجْتَمَعِ . وَلاَ تَحْمِلَنَّكُمْ عَدَاوَتُكُمُ الشَّدِيدَةُ لِقَوْمٍ،وَبُغْضُكُمْ لَهُمْ عَلَى عَدَمِ العَدْلِ فِي أَمْرِ الشَّهَادَةِ لَهُمْ بِحَقِّهِمْ إِذَا كَانُوا أَصْحَابَ حَقٍّ،أَوْ عَلَى عَدَمِ الحُكْمِ لَهُمْ بِذَلِكَ،فَالمُؤْمِنُ يُؤْثِرُ العَدْلَ عَلَى الجُورِ وَالمُحَابَاةِ . ثُمَّ يُؤَكِّدُ اللهُ تَعَالَى أَمْرَهُ السَّابِقَ بِضَرُورَةِ إِقَامَةِ العَدْلِ،وَأَدَاءِ الشَّهَادَةِ بِالقِسْطِ فَيَقُولُ:اعْدِلُوا لأَنَّ العَدْلَ أَقْرَبُ لِتَقْوَى اللهِ،وَأَبْعَدُ عَنْ سَخَطِهِ،وَاتَّقُوا سَخَطَ اللهِ وَعِقَابَهُ لأَنَّهُ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا،وَاحْذَرُوا أَنْ يُجَازِيَكُمْ بِالعَدْلِ عَلَى تَرْكِكُمُ القِيَامَ بِالعَدْلِ .[٦]

وأمر الإسلام بالمساواة في تطبيق الحدود وفي المعاملة،فعَنِ الزُّهْرِيِّ،قَالَ:أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ،أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ الفَتْحِ،فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ،قَالَ عُرْوَةُ:فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا،تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،فَقَالَ:«أَتُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ»،قَالَ أُسَامَةُ:اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ،فَلَمَّا كَانَ العَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ خَطِيبًا،فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ،ثُمَّ قَالَ:" أَمَّا بَعْدُ،فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ:أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ،وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ،وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ

[٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٦٧٨، بترقيم الشاملة آليا)

يَدَهَا"ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّه ﷺ بتِلْكَ المَرْأَة فَقُطعَتْ يَدُهَا،فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا بَعْدَ ذَلكَ وَتَزَوَّجَتْ قَالَتْ عَائشَةُ:«فَكَانَتْ تَأْتي بَعْدَ ذَلكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إلَى رَسُول اللَّه ﷺ»[٧]

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:" مَا منْ أَميرِ عَشيرَةٍ إلَّا يُؤْتَى به يَوْمَ الْقيَامَة مَغْلُولًا حَتَّى يَفُكَّ عَنْهُ الْعَدْلُ أَوْ يُنْفقَهُ الْجَوْرُ ".قَالَ:فَقَالَ بَعْضُهُمْ:" يُوبقَهُ الْجَوْرُ "[٨]

وأمر بأداء الأمانة لأصحابها،قال تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء:٥٨]

وأهم أمور الأمانة تولية الإنسان المناسب في المكان المناسب،قال تعالى:{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧)} [يوسف:٥٤ - ٥٧]

وإنما طالب بما يعتقد أنه قادر على أن ينهض به من الأعباء في الأزمة القادمة التي أوّل بها رؤيا الملك،خيرا مما ينهض بها أحد في البلاد وبما يعتقد أنه سيصون به أرواحا من الموت وبلادا من الخراب،ومجتمعا من الفتنة - فتنة الجوع - فكان قويا في إدراكه لحاجة الموقف إلى خبرته وكفايته وأمانته،قوته في الاحتفاظ بكرامته وإبائه:«قالَ:اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ. إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ» ..

والأزمة القادمة وسنو الرخاء التي تسبقها في حاجة إلى الحفظ والصيانة والقدرة على إدارة الأمور بالدقة وضبط الزراعة والمحاصيل وصيانتها. وفي حاجة إلى الخبرة وحسن التصرف والعلم بكافة فروعه الضرورية لتلك المهمة في سنوات الخصب وفي سني الجدب على السواء. ومن ثم ذكر يوسف من صفاته ما تحتاج إليه المهمة التي يرى أنه أقدر عليها،وأن وراءها خيرا كبيرا لشعب مصر وللشعوب المجاورة:«إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ» ..

---

[٧] -[صحيح البخاري ٥/ ١٥٢](٤٣٠٤)

[٨] -[السنن الكبرى للبيهقي ٣/ ١٨٤](٥٣٤٥) صحيح

ولم يكن يوسف يطلب لشخصه وهو يرى إقبال الملك عليه فيطلب أن يجعله على خزائن الأرض .. إنما كان حصيفا في اختيار اللحظة التي يستجاب له فيها لينهض بالواجب المرهق الثقيل ذي التبعة الضخمة في أشد أوقات الأزمة وليكون مسؤولا عن إطعام شعب كامل وشعوب كذلك تجاوره طوال سبع سنوات،لا زرع فيها ولا ضرع. فليس هذا غنما يطلبه يوسف لنفسه. فإن التكفل بإطعام شعب جائع سبع سنوات متوالية لا يقول أحد إنه غنيمة. إنما هي تبعة يهرب منها الرجال،لأنها قد تكلفهم رؤوسهم،والجوع كافر،وقد تمزق الجماهير الجائعة أجسادهم في لحظات الكفر والجنون.[٩]

وجودكم من علامات الساعة:

ومن علامات الساعة وضع الإنسان في غير ما يستحق حسب عمالته للنظام الحاكم،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ،جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ:مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ،فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ:سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ.وَقَالَ بَعْضُهُمْ:بَلْ لَمْ يَسْمَعْ،حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ:«أَيْنَ - أُرَاهُ - السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ» قَالَ:هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَالَ:«فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»،قَالَ:كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ:«إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[١٠]

ومن علامات الساعة تولية أراذل الناس،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ،وَالْبُخْلُ،وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ،وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ،وَيَهْلِكَ الْوُعُولُ،وَتَظْهَرَ التُّحُوتُ» قَالُوا:يَا رَسُولَ اللَّهِ،وَمَا الْوُعُولُ

---

[٩] - في ظلال القرآن للسيد قطب-ط١ - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٢٦٤٨)

[١٠] -[صحيح البخاري ١/ ٢١](٥٩)

[ش (فمضى) استمر.(قضى) انتهى منه.(أراه) أظنه قال هذا.قال في الفتح والشك من محمد بن فليح - أحد رجال السند - ورواه الحسن بن سفيان وغيره عن عثمان بن أبي شيبة عن يونس بن محمد عن فليح ولفظه (أين السائل) ولم يشك.(وسد) أسند.(غير أهله) من ليس كفأ له]

وَالتَّحُوتُ؟ قَالَ:«الْوُعُولُ:وجُوهُ النَّاسِ وَأَشْرَافُهُمْ،وَالتَّحُوتُ:الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ لَا يُعْلَمُ بِهِمْ».[11]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:«سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ،يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ،وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ،وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ،وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ،وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»،قِيلَ:وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ:«الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»[12]

صفات الحاكم الصالح:

أيها الحاكم

إن الحاكم الصالح هو الذي يثيب المحسنين ويعاقب المسيئين

قال تعالى:{قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨)} [الكهف:٨٦ - ٨٨]

وَوَجَدَ فِي المَكَانِ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ فِي سَيْرِهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ كُفَّاراً،وَقَدْ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ بِطَرِيقِ الإِلْهَامِ:إِمَّا أَنْ يَقْتُلَهُمْ،إِنْ هُمْ لَمْ يُقِرُّوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ،وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَ بِتَعْلِيمِهِمْ طَرِيقَ الهُدَى وَالرَّشَادِ،وَيُبَصِّرَهُمْ بِأَحْكَامِ الشَّرَائِعِ وَالقَوَانِينِ .

فَأَعْلَنَ ذُو القَرْنَيْنِ فِي أَفْرَادِ هَذِهِ الأُمَّةِ أَنَّهُ مَنْ ظَلَمَ مِنْهُمْ نَفْسَهُ،وَاسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَشِرْكِهِ بِرَبِّهِ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ بِالْقَتْلِ فِي الدُّنْيا،وَحِينَ يَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَإِنَّهُ سَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً شَدِيداً مُؤْلِماً .

---

[11] -[صحيح ابن حبان - مخرجا ١٥/ ٢٥٨](٦٨٤٤) صحيح لغيره

[12] -[سنن ابن ماجه ٢/ ١٣٣٩](٤٠٣٦) صحيح

[ش - (سنوات خداعات) الخداع المكر والحيلة.وإضافة الخداعات إلى السنوات مجازية.والمراد أهل السنوات.وقال في النهاية سنون خداعة أي تكثر فيها لأمطار ويقل الريع فذلك خداعها.لأنها تطمعهم في الخصب بالمطر ثم تخلف.وقيل الخداعة القليلة المطر من خدع الريق إذا جف.(الرويبضة) تضغير رابضة.وهو العاجز الذي ربض عن مغالي الأمور وقعد عن طلبها.وتاؤه للمبالغة.(في أمر العامة) متعلق به ينطق.]

وَأَمَّا مَنْ تَابَعَنَا عَلَى مَا نَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،فَلَهُ الْمَثُوبَةُ الْحُسْنَى فِي الدَّارِ الآخِرَةِ،جَزَاءً لَهُ عَلَى إِيمَانِهِ وَعَمَلِهِ الصَّالِحِ،وَسَنُعَامِلُهُ بِرِفْقٍ فِي الدُّنْيَا،وَسَنُعَلِّمُهُ مَا يَتَيَسَّرُ لَنَا تَعْلِيمُهُ مِمَّا يُقَرِّبُهُ إِلَى رَبِّهِ،وَيَلِينُ لَهُ قَلْبُهُ،وَلاَ يَشُقُّ عَلَيْهِ فِعْلُهُ .[١٣]

لقد أعلن أن للمعتدين الظالمين عذابه الدنيوي وعقابه،وأنهم بعد ذلك يردون إلى ربهم فيعذبهم عذابا فظيعا «نُكْراً» لا نظير له فيما يعرفه البشر. أما المؤمنون الصالحون فلهم الجزاء الحسن،والمعاملة الطيبة،والتكريم والمعونة والتيسير. وهذا هو دستور الحكم الصالح. فالمؤمن الصالح ينبغي أن يجد الكرامة والتيسير والجزاء الحسن عند الحاكم.

والمعتدي الظالم يجب أن يلقى العذاب والإيذاء .. وحين يجد المحسن في الجماعة جزاء إحسانه جزاء حسنا،ومكانا كريما وعونا وتيسيرا ويجد المعتدي جزاء إفساده عقوبة وإهانة وجفوة .. عندئذ يجد الناس ما يحفزهم إلى الصلاح والإنتاج. أما حين يضطرب ميزان الحكم فإذا المعتدون المفسدون مقربون إلى الحاكم مقدمون في الدولة وإذا العاملون الصالحون منبوذون أو محاربون. فعندئذ تتحول السلطة في يد الحاكم سوط عذاب وأداة إفساد. ويصير نظام الجماعة إلى الفوضى والفساد.[١٤]

وهو الذي يخفض جناحه للمؤمنين،قال تعالى:{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء:٢١٥]

يَأْمُرُ اللهُ تَعالى رسُولَه محمداً ﷺ،بأنْ يُلِينَ جَانِبَهُ لِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ عِبادِ اللهِ المُؤمنينَ،وأَنْ يَتَرَفَّقَ بِهِمْ،فَذَلِكَ أَدْعَى لاِخْلاصِهِمْ للرّسُولِ،ولِزِيَادَةِ مَحَبَّتِه .[١٥]

والحاكم الصالح لا يطلب الحكم بنفسه

بل الناس الأحرار العقلاء هم الذين يبحثون عنه ويختارونه،فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَا وَرَجُلاَنِ مِنْ قَوْمِي،فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ:أَمِّرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ،وَقَالَ الآخَرُ مِثْلَهُ،فَقَالَ:«إِنَّا لاَ نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ،وَلاَ مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ»[١٦]

---

[١٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٢٢٦، بترقيم الشاملة آليا)

[١٤] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٢٩٨١)

[١٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٠٢٩، بترقيم الشاملة آليا)

[١٦] –[صحيح البخاري ٩/ ٦٤](٧١٤٩)

وعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ،وَسَتَصِيرُ حَسْرَةً،وَنَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ - نِعْمَتِ الْمُرْضِعَةُ،وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ "[١٧]

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ،قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ:فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي،ثُمَّ قَالَ:«يَا أَبَا ذَرٍّ،إِنَّكَ ضَعِيفٌ،وَإِنَّهَا أَمَانَةُ،وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ،إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا،وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»[١٨]

الحاكم المسلم الصالح هو الذي يحكم بمال أنزل الله تعالى:

قال تعالى:{ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ

---

[١٧] -[مسند أحمد ط الرسالة ١٦/ ١٤٠](١٠١٦٢) صحيح

[١٨] -[صحيح مسلم ٣/ ١٤٥٧]١٦ - (١٨٢٥) [ش (إنك ضعيف وإنها أمانة) هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلا لها أو كان أهلا و لم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويقضحه ويندم على ما فرط وأما من كان أهلا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة]

لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) } [المائدة:٤٤-٥٠]

والحاكم المسلم لا يتحاكم إلى الطاغوت:

قال تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣)} [النساء:٦٠ - ٦٣]

يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَدَّعِي الإِيمَانَ باللهِ،وَكُتُبِه وَرُسُلِه،وَهُوَ مَعْ ذَلِكَ يُرِيدُ أنْ يَتَحَاكَمَ فِي فَصْلِ الخُصُومَاتِ إلى غَيْرِ كِتَابِ اللهِ،وَسُنَّةِ نَبِيِّه .

وَيَذُمُّ اللهُ تَعَالَى الذينَ يَعْدِلُونَ عَنْ شَرْعِ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّه،إلَى مَا سِوَاهُمَا مِنَ البَاطِلِ (وَهُوَ المُرَادُ هُنَا بالطَّاغُوتِ)،وَقَدْ أُمِرُوا بِأَنْ يَكْفُرُوا بِه،وَبِحُكْمِ الجَاهِلِيَّةِ،وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْعُوهُمْ الى اتِّبَاعِه لِيُضِلَّهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَشَرْعِهِمْ وَهُدَى رَبِّهِمْ،وَيُبْعِدَهُمْ عَنْهَا .

وَإِذَا دُعِيَ هَؤُلاءِ – الذينَ يَدَّعُونَ الإِيمَانَ،ثُمَّ يُرِيدُونَ التَّحَاكُمَ إلى الطَّاغُوتِ – إلى رَسُولِ اللهِ لِلتَّحَاكُمِ لَدَيْه،وفْقاً لِمَا شَرَعَ اللهُ،اسْتَكْبَرُوا وَأَعْرَضُوا وَرَغِبُوا عَنْ حُكْمِ رَسُولِ اللهِ إعْرَاضاً مُتَعَمَّداً مِنْهُمْ .

فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُهُمْ إذَا سَاقَتْهُمُ المَقَادِيرُ إلَيكَ فِي مَصَائِبَ تَحِلُّ بِهِمْ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ،وَاحْتَاجُوا إلَيْكَ فِي ذَلِكَ،ثُمَّ جَاؤُوكَ يَعْتَذِرُونَ إلَيْكَ،وَيَحْلِفُونَ باللهِ أَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا بِذَهَابِهِمْ إلى غَيْرِكَ،وَبِتَحَاكُمِهِمْ إلَى أَعْدَائِكَ،إلا المُدَارَاةَ وَالمُصَانَعَةَ (إحْسَاناً وَتَوْفِيقاً)،لاَ اعْتِقَاداً مِنْهُمْ بِصِحَّةِ تِلْكَ الحُكُومَةِ .[١٩]

إن المقتضى الفطري البديهي للإيمان،أن يتحاكم الإنسان إلى ما آمن به،وإلى من آمن به. فإذا زعم أنه آمن بالله وما أنزل،وبالرسول وما أنزل إليه. ثم دعي إلى هذا الذي آمن

[١٩] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٥٣، بترقيم الشاملة آليا)

به،ليتحاكم إلى أمره وشرعه ومنهجه كانت التلبية الكاملة هي البديهية الفطرية. فأما حين يصد ويأبى فهو يخالف البديهية الفطرية. ويكشف عن النفاق. وينبيء عن كذب الزعم الذي زعمه من الإيمان! وإلى هذه البديهية الفطرية يحاكم الله - سبحانه - أولئك الذين يزعمون الإيمان بالله ورسوله. ثم لا يتحاكمون إلى منهج الله ورسوله. بل يصدون عن ذلك المنهج حين يدعون إليه صدودا! ثم يعرض مظهرا من مظاهر النفاق في سلوكهم حين يقعون في ورطة أو كارثة بسبب عدم تلبيتهم للدعوة إلى ما أنزل الله وإلى الرسول أو بسبب ميلهم إلى التحاكم إلى الطاغوت. ومعاذيرهم عند ذلك. وهي معاذير النفاق:«فَكَيْفَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ - بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ - ثُمَّ جاؤُكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ:إِنْ أَرَدْنا إِلَّا إِحْساناً وَتَوْفِيقاً» ..

وهذه المصيبة قد تصيبهم بسبب انكشاف أمرهم في وسط الجماعة المسلمة - يومذاك - حيث يصبحون معرضين للنبذ والمقاطعة والازدراء في الوسط المسلم. فما يطيق المجتمع المسلم أن يرى من بينه ناسا يزعمون أنهم آمنوا بالله وما أنزل،وبالرسول وما أنزل إليه ثم يميلون إلى التحاكم لغير شريعة الله أو يصدون حين يدعون إلى التحاكم إليها .. إنما يقبل مثل هذا في مجتمع لا إسلام له ولا إيمان. وكل ما له من الإيمان زعم كزعم هؤلاء وكل ما له من الإسلام دعوى وأسماء! أو قد تصيبهم المصيبة من ظلم يقع بهم نتيجة التحاكم إلى غير نظام الله العادل ويعودون بالخيبة والندامة من الاحتكام إلى الطاغوت في قضية من قضاياهم. أو قد تصيبهم المصيبة ابتلاء من الله لهم. لعلهم يتفكرون ويهتدون ..

وأياما كان سبب المصيبة فالنص القرآني،يسأل مستنكرا:فكيف يكون الحال حينئذ! كيف يعودون إلى الرسول - ﷺ -:«يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا إِحْساناً وَتَوْفِيقاً» ...

إنها حال مخزية .. حين يعودون شاعرين بما فعلوا ... غير قادرين على مواجهة الرسول - ﷺ - بحقيقة دوافعهم. وفي الوقت ذاته يحلفون كاذبين:أنهم ما أرادوا بالتحاكم إلى الطاغوت - وقد يكون هنا هو عرف الجاهلية - إلا رغبة في الإحسان والتوفيق! وهي دائما دعوى كل من يحيدون عن الاحتكام إلى منهج الله وشريعته:أنهم يريدون اتقاء الإشكالات والمتاعب والمصاعب،التي تنشأ من الاحتكام إلى شريعة الله! ويريدون التوفيق

بين العناصر المختلفة والاتجاهات المختلفة والعقائد المختلفة .. إنها حجة الذين يزعمون الإيمان – وهم غير مؤمنين – وحجة المنافقين الملتوين .. هي هي دائما وفي كل حين![٢٠]

وقال ابن كثير:"ذَكَرَ الْجُوَيْنِيُّ شَيْئًا مِنَ الْيَاسَاقِ مِنْ ذَلِكَ،أَنَّهُ مَنْ زَنَا قُتِلَ،مُحْصَنًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُحْصَنٍ،وَكَذَلِكَ مَنْ لَاطَ قُتِلَ،وَمَنْ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ قُتِلَ،وَمَنْ سَحَرَ قُتِلَ،وَمَنْ تَجَسَّسَ قُتِلَ،وَمَنْ دَخَلَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فَأَعَانَ أَحَدَهُمَا قُتِلَ،وَمَنْ بَالَ فِي الْمَاءِ الْوَاقِفِ قُتِلَ،وَمَنِ انْغَمَسَ فِيهِ قُتِلَ،وَمَنْ أَطْعَمَ أَسِيرًا أَوْ سَقَاهُ أَوْ كَسَاهُ بِغَيْرِ إِذْنِ أَهْلِهِ قُتِلَ،وَمَنْ وَجَدَ هَارِبًا وَلَمْ يَرُدَّهُ قُتِلَ،وَمَنْ رَمَى إِلَى أَحَدٍ شَيْئًا مِنَ الْمَأْكُولِ قُتِلَ،بَلْ يُنَاوِلُهُ مِنْ يَدِهِ إِلَى يَدِهِ،وَمَنْ أَطْعَمَ أَحَدًا شَيْئًا فَلْيَأْكُلْ مِنْهُ أَوَّلًا،وَلَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ أَمِيرًا لِأَسِيرٍ،وَمَنْ أَكَلَ وَلَمْ يُطْعِمْ مَنْ عِنْدَهُ قُتِلَ،وَمَنْ ذَبَحَ حَيَوَانًا ذُبِحَ مِثْلَهُ،بَلْ يَشُقُّ جَوْفَهُ،وَيَتَنَاوَلُ قَلْبَهُ بِيَدِهِ يَسْتَخْرِجُهُ مِنْ جَوْفِهِ أَوَّلًا.

وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ مُخَالَفَةٌ لِشَرَائِعِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى عِبَادِهِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،فَمَنْ تَرَكَ الشَّرْعَ الْمُحْكَمَ الْمُنَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ،وَتَحَاكَمَ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ الْمَنْسُوخَةِ كَفَرَ،فَكَيْفَ بِمَنْ تَحَاكَمَ إِلَى"الْيَاسَاقِ"وَقَدَّمَهَا عَلَيْهِ؟ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَفَرَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ.قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة:٥٠]"".وَقَالَ تَعَالَى:{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء:٦٥]."[٢١]

قدوتكم فرعون:

أنتم قدوتكم فرعون وليس رسول الله ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون،قال تعالى:{قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ } [غافر:٢٩]

[٢٠] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ١٠٣٨)

[٢١] –[البداية والنهاية ط هجر ١٧/ ١٦٢]

إنني لا أقول لكم إلا ما أراه صوابا،وأعتقده نافعا.وإنه لهو الصواب والرشد بلا شـــك ولا جدال! وهل يرى الطغاة إلا الرشد والخير والصواب؟! وهل يسمحون بأن يظن أحد أنهم قد يخطئون؟! وهل يجوز لأحد أن يرى إلى جوار رأيهم رأيا؟! وإلا فلم كانوا طغاة؟![٢٢]

إن من المستغرب حقا أن يخشى أصحاب السلطان والقهر المعتمدين على الجند أو الجيش أو العسكر المدجج بأنواع الأسلحة الفتاكة،من الأنبياء والرسل والقادة المصلحين الـــذين ليس لهم إلا البيان القوي،والحجة الهادفة،والكلمة المؤثرة. وما ذاك إلا لأن الحق فوق القوة وأثبت منها وأنفذ،لذا تهتز العروش بصوت الحق،ولا يتأثر أصحابها ببأس الأقويـــاء،وقوة الشجعان.

فهذا فرعون الطاغية ملك مصر يحذر رجلا عاديا هو موسى عليه السلام لا سند له مـــن قوة مادية أو سلاح أو عسكر.[٢٣]

صفات الخلفاء الراشدين:

وأما الخلفاء الراشدون فقالوا:فعَنِ الْحَسَنِ ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ خَطَـــبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:"إِنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ التَّقْوَى،وَأَحْمَقَ الْحُمْقِ الْفُجُـــورُ ، أَلَا وَإِنَّ الصِّدْقَ عِنْدِي الْأَمَانَةُ،وَالْكَذِبَ الْخِيَانَةُ ، أَلَا وَإِنَّ الْقَوِيَّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ مِنْهُ الْحَقَّ،وَالضَّعِيفَ عِنْدِي قَوِيٌّ حَتَّى آخُذَ لَهُ الْحَقَّ ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْـــتُ بِأَخْيَرِكُمْ"قَالَ الْحَسَنُ:هُوَ وَاللهِ خَيْرُهُمْ غَيْرُ مُدَافَعٍ ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ يَهْضِـــمُ نَفْسَـــهُ. ثُـــمَّ قَالَ:"وَلَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَفَانِي هَذَا الْأَمْرَ أَحَدُكُمْ"- قَالَ الْحَسَـــنُ:صَـــدَقَ وَاللهِ - وَإِنْ أَنْـــتُمْ أَرَدْتُمُونِي عَلَى مَا كَانَ اللهُ يُقِيمُ نَبِيَّهُ مِنَ الْوَحْيِ مَا ذَلِكَ عِنْدِي ، إِنَّمَا أَنَا بَشَـــرٌ،فَرَاعُونِي. فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى السُّوقِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:"أَيْنَ تُرِيدُ؟"قَالَ:السُّوقَ. قَالَ:"قَدْ جَاءَكَ مَا يَشْغَلُكَ عَنِ السُّوقِ "،قَالَ:سُبْحَانَ اللهِ يَشْغَلُنِي عَـــنْ عِيَـــالِي. قَـــالَ:تُعْـــرِضُ بِالْمَعْرُوفِ،قَالَ:"وَيْحَ عُمَرَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا يَسَعُنِي أَنْ آكُلَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْئًا"قَالَ:فَأَنْفِقْ

---

[٢٢] -[في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٨٠]

[٢٣] - التفسير المنير للزحيلي (٢٤/ ١١٩)

فِي سَنَتَيْنِ وَبَعْضِ أُخْرَى ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ. فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ:قَدْ كُنْتُ قُلْتُ لِعُمَرَ:إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا يَسَعَنِي أَنْ آكُلَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْئًا،فَغَلَبَنِي فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَخُذُوا مِنْ مَالِي ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَرُدُّوهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ. قَالَ:فَلَمَّا أُتِيَ بِهَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:"رَحِمَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ،لَقَدْ أَتْعَبَ مَنْ بَعْدَهُ تَعَبًا شَدِيدًا "[٢٤]

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَرَسِيِّ،مِنْ حَرَسِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ:دَخَلَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ،فَقَالَ:«السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَجِيرُ» فَقَالَ النَّاسُ:مَهْ،الْأَمِيرُ يَا أَبَا مُسْلِمٍ،ثُمَّ قَالَ:«السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَجِيرُ» فَقَالَ النَّاسُ:الْأَمِيرُ،فَقَالَ مُعَاوِيَةُ:دَعُوا أَبَا مُسْلِمٍ فَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ،فَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ:«إِنَّمَا مَثَلُكَ مَثَلُ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَوَلَّاهُ مَاشِيَتَهُ وَجَعَلَ لَهُ الْأَجْرَ عَلَى أَنْ يُحْسِنَ الرِّعْيَةَ،وَيُوَفِّرَ جِزَازَهَا وَأَلْبَانَهَا،فَإِنْ هُوَ أَحْسَنَ رِعْيَتَهَا وَوَفَّرَ جِزَازَهَا حَتَّى تَلْحَقَ الصَّغِيرَةُ وَتَسْمَنَ الْعَجْفَاءُ أَعْطَاهُ أَجْرَهُ وَزَادَهُ زِيَادَةً،وَإِنْ هُوَ لَمْ يُحْسِنْ رِعْيَتَهَا وَأَضَاعَهَا حَتَّى تَهْلَكَ الْعَجْفَاءُ وَتَعْجَفَ السَّمِينَةُ وَلَمْ يُوَفِّرْ جِزَازَهَا وَأَلْبَانَهَا غَضِبَ عَلَيْهِ فَعَاقَبَهُ وَلَمْ يُعْطِهِ الْأَجْرَ» فَقَالَ مُعَاوِيَةُ:مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ"[٢٥]

وعن شَبِيبَ بْنِ شَيْبَةَ قَالَ:دَخَلْتُ عَلَى الْمَهْدِي،فَقَالَ لِي:يَا أَبَا مَعْمَرٍ حَدِّثْنِي عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ،فَوَاللهِ لَرَأَيْتُهُ يَوْمًا،وَدَخَلَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ،فَقَالَ لَهُ:يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،إِنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَاكَ الدُّنْيَا بِكَمَالِهَا،فَاشْتَرِ نَفْسَكَ مِنْهُ بِبَعْضِهَا،وَاعْلَمْ أَنَّكَ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ،وَسَائِلُكَ عَنْ مَثَاقِيلِ الذَّرِّ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ،وَإِنَّهُ لا يَرْضَى مِنْكَ إِلا بِمَا لا تَرْضَى لِنَفْسِكَ إِلا بِهِ،وَأَنْتَ لا تَرْضَى إِلا بِأَنْ يَعْدِلَ عَلَيْكَ،وَاللهُ تَعَالَى لا يَرْضَى إِلا بِالْعَدْلِ عَلَى الرَّعِيَّةِ،يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّ وَرَاءَ بَابِكَ نَارًا،تَأَجَّجُ مِنَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ،وَاللهِ مَا يُعْمَلُ خَلْفَ بَابِكَ بِكِتَابِ اللهِ وَلا سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ،قَالَ:فَبَكَى أَبُو جَعْفَرٍ بُكَاءً شَدِيدًا،فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ مُجَالِدٍ:اكْفُفْ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ،فَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيْهِ،فَقَالَ:إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَيِّتٌ غَدًا،وَكُلُّ مَا تَرَى هَاهُنَا أَمْرٌ مُفْظِعٌ،وَأَنْتَ جِيفَةٌ بِالْعَرَاءِ،فَلا يُغْنِي عَنْكَ إِلا عَمَلُكَ،وَلَهَذَا الْجِدَارُ خَيْرٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكَ إِذَا طَوَيْتَ عَنْهُ النَّصِيحَةَ،وَأَفَقْتَ مِنَ الْفَضِيحَةِ،ثُمَّ قَالَ:يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّ هَؤُلاءِ

---

[٢٤] – [السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ٥٧٤](١٣٠٠٩) صحيح لغيره

[٢٥] – [فضيلة العادلين من الولاة لأبي نعيم ص: ١٦٦] (٤٦) حسن

اتَّخَذُوكَ سُلَّمًا لشَهَوَاتِهِمْ،فَكُلُّهُمْ يُوقِدُ عَلَيْكَ نَارَهُ،ثُمَّ تَلا « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ »[الْفَجْرُ:٦] إِلَى أَنْ بَلَغَ « إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ »[الْفَجْرُ:١٤]،يَا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِينَ،لِمَنْ عَمَلَ مِثْلَ أَعْمَالِهِمْ،وَفَعَلَ مِثْلَ فِعَالِهِمْ،يَا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِين،لَوْلا أَنَّهَا مَضَتْ عَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ،فَاعْلَمْ أَنَّكَ وَارِثُ مَنْ مضى وَمُورَثٌ غَدًا،وَقَادِمٌ عَلَى رَبِّكَ،وَمَجْزِيٌّ بِعَمَلِكَ،فَاتَّقِ لَيْلَةً تَمَخَّضُ عَنْ يَوْمٍ لا لَيْلَةَ بَعْدَهُ،وَهِي لَيْلَةُ الْقِيَامَةِ،قَالَ:فَخَلَعَ أَبُو جَعْفَرٍ خَاتِمَهُ،وَقَالَ:دُونَكَ مَا وَرَائِي يَا أَبَا عُثْمَانَ،فَادْعُ لِي أَصْحَابَكَ وَاسْتَعْمِلُهُمْ،فَوَاللهِ ؛ إِنِّي لآمُرُ عُمَالِي بِالْعَدْلِ،وَأَكْتُبُ ذَلِكَ فِي عُهُودِهِمْ،قَالَ:كَلاَّ،ادْعُ أَصْحَابِي لِعَدْلٍ تُظْهِرُهُ،وَاطْرُدْ هَؤُلاءِ الشَّيَاطِينَ عَنْ بَابِكَ،لأَنَّ أَهْلَ الدِّينِ لَنْ يَأْتُوكَ،وَهَؤُلاءِ بِبَابِكَ،لأَنَّهُمْ إِنْ عَمِلُوا بِمَا يُرْضِيكَ أَسْخَطُوا خَالِقَهُمْ،وَإِنْ عَمِلُوا بِمَا يُرْضِي خَالِقَهُمْ أَسْخَطُوكَ فَأَرْشَوْكَ،وَلَكِنْ اسْتَعْمِلْ عَلَى الْعَمَلِ الْوَاحِدِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةً،كُلُّمَا رَابَكَ وَاحِدٌ فَاعْزِلْهُ،وَوَلِّ غَيْرَهُ،فَوَاللهِ ؛ لَوْ عَلِمَ هَؤُلاءِ أَنَّكَ لا تَرْضَى مِنْهُمْ إِلا بِالْعَدْلِ،وَلا تُقَرِّبُهُمْ إِلا عَلَيْهِ،لَقَدْ تَقَرَّبَ إِلَيْكَ بِهِ مَنْ لا نِيَّةَ لَهُ فِيهِ،وَلا حِسْبَةَ،ثُمَّ قَامَ،فَخَرَجَ .[٢٦]

لا يقول لك أحد حولك أخطأت:

أنت أيها الحاكم لا يتجرأ أحد ممن حولك أن يقول لك:أخطأت أو أن الأمر على غير هذه الصفة فقدوتك المثلى فرعون وأمثاله من الطغاة

أيها الحاكم لقد قربت الفساق والفجار وأقصيت الأخيار الأبرار،فعَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ:سَمِعْتُ عَمَّتِي تَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ عَمَلًا فَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا،إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ،وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ»[٢٧]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:"مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ،وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ،إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ:بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ،وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ،فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى "[٢٨]

---

[٢٦] – [فضيلة العادلين من الولاةلأبي نعيم – الألفي ص: ٢٤][٤٣]

[٢٧] – [سنن النسائي ٧/ ١٥٩] (٤٢٠٤) صحيح

[٢٨] – [صحيح البخاري ٩/ ٧٧](٧١٩٨)

الحاكم الصالح يحبه شعبه ويحبهم:

والحاكم الصالح هو الذي يترضى عليه شعبه ويدعون له بالخير والرعاية،والفاسق يلعنونه ليل نهار،فعَنْ عَوْف بْنِ مَالك،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ:«خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ،وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ،وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ،وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»،قِيلَ:يَا رَسُولَ اللهِ،أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ:«لَا،مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ،وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ،فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ،وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»[٢٩]

قلت:هم يعاقبون من يصلي،أو يقصونه من عمله أو يؤذونه أشد الأذى

مجاهدة الحكام الظالمين:

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:«مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ،وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ،ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ،وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ،فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ،وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ،وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ،وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[٣٠]

كيل التهم الجاهزة لمن خالفه:

أيها الحاكم أنت تكيل التهم لأي واحد يعارضك ولو بكلمة أو رأي كما فعل الكفار والفجار بالرسل،وكما فعل فرعون بقوم موسى:

---

[٢٩] - [صحيح مسلم ٣/ ١٤٨١]٦٥ - (١٨٥٥)

[٣٠] - [صحيح مسلم ١/ ٦٩]٨٠ - (٥٠)

[ش (ثم إنها تخلف) الضمير في إنها هو الذي يسميه النحويون ضمير القصة والشأن ومعنى تخلف تحدث وأما الخلوف فهو جمع خلف وهو الخالف بشر وأما بفتح اللام فهو الخالف بخير هذا هو الأشهر (فنزل بقناة) هكذا هو في بعض الأصول المحققة وهو غير مصروف للعلمية والتأنيث وقناة واد من أودية المدينة عليه مال من أموالها]

أولا قال عن السحرة لما أسلموا،قال تعالى:قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧٣) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (٧٤) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (٧٦) [طه]

وقال تعالى:{ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١)} [الشعراء:٤٤ - ٥١]

فموسى عليه السلام لم ير السحرة إلا في هذا المكان،ومع هذا لما آمن السحرة بعدما عرفوا الحق قال فرعون عن السحرة وعن النبي موسى عليه السلام عليه السلام:" آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ"فهل هناك كذب وإفك أكثر من هذا.

وقال عن النبي موسى عليه السلام:{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ } [غافر:٢٦]

فموسى عليه السلام الذي يدعو لعبادة الله وحده مفسد في الأرض وفرعون الذي يقول للناس{ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦) } [النازعات:٢٤ - ٢٧] مصلح في الأرض ويهدي قومه لسبيل الرشاد ؟؟؟!!!!

فأي واحد يعارض حكمكم الباطل الجائر تقولون عنه:عميل إرهابي مأجور،مفسد في الأرض،مجرم ....

أيها الحاكم لست إلها ولا تجوز طاعتك في المعصية أبدا مهما كنت:

فعَنْ عَلِيٍّ،أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺبَعَثَ جَيْشًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا،فَأَوْقَدَ نَارًا فَقَالَ:ادْخُلُوهَا،فَأَرَادَ نَاسٌ أَنْ يَدْخُلُوهَا،وَقَالَ الْآخَرُونَ:إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا،فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ،فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا:«لَوْ دَخَلْتُمُوهَا لَمْ تَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»،وَقَالَ لِلْآخَرِينَ خَيْرًا،وَقَالَ أَبُو مُوسَى فِي حَدِيثِهِ:قَوْلًا حَسَنًا،وَقَالَ:«لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ،إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»[٣١]

وقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } [النساء:٥٩]

إن للعقل البشري وزنه وقيمته بوصفه أداة من أدوات المعرفة والهداية في الإنسان .. هذا حق .. ولكن هذا العقل البشري هو عقل الأفراد والجماعات في بيئة من البيئات،متأثرا بشتى المؤثرات .. ليس هناك ما يسمى «العقل البشري» كمدلول مطلق! إنما هناك عقلي وعقلك،وعقل فلان وعلان،وعقول هذه المجموعة من البشر،في مكان ما وفي زمان ما .. وهذه كلها واقعة تحت مؤثرات شتى تميل بها من هنا،وتميل بها من هناك .. ولا بد من ميزان ثابت،ترجع إليه هذه العقول الكثيرة فتعرف عنده مدى الخطأ والصواب في أحكامها وتصوراتها. ومدى الشطط والغلو،أو التقصير والقصور في هذه الأحكام

---

[٣١] - [سنن النسائي ٧/ ١٥٩](٤٢٠٥) صحيح

والتصورات. وقيمة العقل البشري هنا هو أنه الأداة المهيأة للإنسان،ليعرف بها وزن أحكامه في هذا الميزان .. الميزان الثابت،الذي لا يميل مع الهوى،ولا يتأثر بشتى المؤثرات.
ولا عبرة بما يضعه البشر أنفسهم من موازين .. فقد يكون الخلل في هذه الموازين ذاتها. فتختل جميع القيم .. ما لم يرجع الناس إلى ذلك الميزان الثابت القويم.
والله يضع هذا الميزان للبشر،للأمانة والعدل،ولسائر القيم،وسائر الأحكام،وسائر أوجه النشاط،في كل حقل من حقول الحياة:«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ،وَأُولِي الْأَمْرِ .. مِنْكُمْ .. فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شيء،فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ. إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» ..
وفي هذا النص القصير يبين الله – سبحانه – شرط الإيمان وحد الإسلام. في الوقت الذي يبين فيه قاعدة النظام الأساسي في الجماعة المسلمة وقاعدة الحكم،ومصدر السلطان .. وكلها تبدأ وتنتهي عند التلقي من الله وحده والرجوع إليه فيما لم ينص عليه نصا،من جزئيات الحياة التي تعرض في حياة الناس على مدى الأجيال مما تختلف فيه العقول والآراء والأفهام .. ليكون هنالك الميزان الثابت،الذي ترجع إليه العقول والآراء والأفهام!
إن «الحاكمية» لله وحده في حياة البشر – ما جل منها وما دق،وما كبر منها وما صغر – والله قد سن شريعة أودعها قرآنه. وأرسل بها رسولا يبينها للناس. ولا ينطق عن الهوى. فسنته – ﷺ – من ثم شريعة من شريعة الله.والله واجب الطاعة. ومن خصائص ألوهيته أن يسن الشريعة. فشزيعته واجبة التنفيذ. وعلى الذين آمنوا أن يطيعوا الله – ابتداء – وأن يطيعوا الرسول – بما له من هذه الصفة. صفة الرسالة من الله – فطاعته إذن من طاعة الله،الذي أرسله بهذه الشريعة،وببيانها للناس في سنته .. وسنته وقضاؤه – على هذا – جزء من الشريعة واجب النفاذ .. والإيمان يتعلق – وجودا وعدما – بهذه الطاعة وهذا التنفيذ – بنص القرآن:«إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» .. فأما أولو الأمر فالنص يعين من هم.
«وَأُولِي الْأَمْرِ .. مِنْكُمْ .. » أي من المؤمنين .. الذين يتحقق فيهم شرط الإيمان وحد الإسلام المبين في الآية .. من طاعة الله وطاعة الرسول وإفراد الله – سبحانه – بالحاكمية

وحق التشريع للناس ابتداء والتلقي منه وحده – فيما نص عليه – والرجوع إليه أيضا فيما تختلف فيه العقول والأفهام والآراء،مما لم يرد فيه نص لتطبيق المبادئ العامة في النصوص عليه. والنص يجعل طاعة الله أصلا وطاعة رسوله أصلا كذلك – بما أنه مرسل منه – ويجعل طاعة أولي الأمر .. منكم .. تبعا لطاعة الله وطاعة رسوله. فلا يكرر لفظ الطاعة عند ذكرهم،كما كررها عند ذكر الرسول – ﷺ – ليقرر أن طاعتهم مستمدة من طاعة الله وطاعة رسوله – بعد أن قرر أنهم «منكم» بقيد الإيمان وشرطه ..

وطاعة أولي الأمر .. منكم .. بعد هذه التقريرات كلها،في حدود المعروف المشروع من الله،والذي لم يرد نص بحرمته ولا يكون من المحرم عندما يرد إلى مبادئ شريعته،عند الاختلاف فيه .. والسنة تقرر حدود هذه الطاعة،على وجه الجزم واليقين:

في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنه – عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ – قَالَ « السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ،فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ،مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ،فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ »[٣٢] .

وعَنْ عَلِىٍّ – رضى الله عنه – قَالَ بَعَثَ النَّبِىُّ – ﷺ – سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ،وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ،فَغَضِبَ فَقَالَ أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِىُّ – ﷺ – أَنْ تُطِيعُونِى . قَالُوا بَلَى . قَالَ فَاجْمَعُوا لِى حَطَبًا . فَجَمَعُوا،فَقَالَ أَوْقِدُوا نَارًا . فَأَوْقَدُوهَا،فَقَالَ ادْخُلُوهَا . فَهَمُّوا،وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا،وَيَقُولُونَ فَرَرْنَا إِلَى النَّبِىِّ – ﷺ – مِنَ النَّارِ . فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ،فَسَكَنَ غَضَبُهُ،فَبَلَغَ النَّبِىَّ – ﷺ – فَقَالَ « لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،الطَّاعَةُ فِى الْمَعْرُوفِ »[٣٣] .

وأخرج عَنْ يَحْيَى بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ سَمِعْتُ جَدَّتِى تُحَدِّثُ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِىَّ –ﷺ– يَخْطُبُ فِى حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهُوَ يَقُولُ « وَلَوِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا »[٣٤].

---

[٣٢] – صحيح البخارى– المكتز [٢٣ /٣٦٣](٧١٤٤) وأخرجه الجماعة المسند الجامع [١٠ /١٢٥٩](٨١٥٩)

[٣٣] – صحيح البخارى– المكتز [١٤ /٢٥٦](٤٣٤٠) وصحيح مسلم– المكتز [١٢ /٢٥٥](٤٨٧١)

[٣٤] – صحيح مسلم– المكتز [١٢ /٢٤٨](٤٨٦٤)

وعن يَحْيَى بْنِ الْحُصَيْنِ،أَنَّهُ سَمِعَ جَدَّتَهُ قَالَتْ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَخْطُبُ بِعَرَفَاتٍ وَهُوَ يَقُولُ:وَلَوْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا،قَالَ عَبْدُ اللهِ:وسَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ:إِنِّي لأَرَى لَهُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ،وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ[٣٥].

بهذا يجعل الإسلام كل فرد أمينا على شريعة اللّه وسنة رسوله.أمينا على إيمانه هو ودينه.أمينا على نفسه وعقله.أمينا على مصيره في الدنيا والآخرة ..ولا يجعله بهيمة في القطيع تزجر من هنا أو من هنا فتسمع وتطيع! فالمنهج واضح،وحدود الطاعة واضحة.والشريعة التي تطاع والسنة التي تتبع واحدة لا تتعدد،ولا تتفرق،ولا يتوه فيها الفرد بين الظنون! ذلك فيما ورد فيه نص صريح.فأما الذي لم يرد فيه نص.وأما الذي يعرض من المشكلات والأقضية،على مدى الزمان وتطور الحاجات واختلاف البيئات – ولا يكون فيه نص قاطع،أو لا يكون فيه نص على الإطلاق ..مما تختلف في تقديره العقول والآراء والأفهام – فإنه لم يترك كذلك تيها.و لم يترك بلا ميزان.

و لم يترك بلا منهج للتشريع فيه والتفريع ..ووضع هذا النص القصير،منهج الاجتهاد كله،وحدده بحدوده وأقام «الأصل» الذي يحكم منهج الاجتهاد أيضا.

«فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» ..ردوه إلى النصوص التي تنطبق عليه ضمنا.فإن لم توجد النصوص التي تنطبق على هذا النحو،فردوه إلى المبادئ الكلية العامة في منهج اللّه وشريعته ..وهذه ليست عائمة،ولا فوضى،ولا هي من المجهلات التي تتيه فيها العقول كما يحاول بعض المخادعين أن يقول.وهناك – في هذا الدين – مبادئ أساسية واضحة كل الوضوح،تغطي كل جوانب الحياة الأساسية،وتضع لها سياجا خرقه لا يخفى على الضمير المسلم المضبوط بميزان هذا الدين

«إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» ..تلك الطاعة للّه والطاعة للرسول،ولأولي الأمر المؤمنين القائمين على شريعة اللّه وسنة الرسول ..ورد ما يتنازع فيه إلى اللّه والرسول

---

[٣٥] – مسند أحمد (عالم الكتب) [٨ /٨٠٩](٢٧٢٦٩) ٢٧٨١٢ صحيح

فالعبرة هي الحكم بما أنزل الله ليس إلا،ولا قيمة لأي حاكم مهما علا كعبه إذا لم يحكم بما أنزل الله .

..هذه وتلك شرط الإيمان باللّه واليوم الآخر.كما أنها مقتضى الإيمان باللّه واليوم الآخر ..فلا يوجد الإيمان ابتداء وهذا الشرط مفقود ..ولا يوجد الإيمان،ثم يتخلف عنه أثره الأكيد.

وبعد أن يضع النص المسألة في هذا الوضع الشرطي،يقدمها مرة أخرى في صورة «العظة» والترغيب والتحبيب على نحو ما صنع في الأمر بالأمانة والعدل ثم التحبيب فيها والترغيب:«ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» ..ذلك خير لكم وأحسن مآلا.خير في الدنيا وخير في الآخرة.وأحسن مآلا في الدنيا وأحسن مآلا في الآخرة كذلك ..فليست المسألة أن اتباع هذا المنهج يؤدي إلى رضاء اللّه وثواب الآخرة – وهو أمر هائل،عظيم – ولكنه كذلك يحقق خير الدنيا وحسن مآل الفرد والجماعة في هذه الحياة القريبة.

إن هذا المنهج معناه:أن يستمتع «الإنسان» بمزايا منهج يضعه له اللّه ..اللّه الصانع الحكيم العليم البصير الخبير ..منهج بريء من جهل الإنسان،وهوى الإنسان،وضعف الإنسان.وشهوة الإنسان ..منهج لا محاباة فيه لفرد،ولا لطبقة،ولا لشعب،ولا لجنس،ولا لجيل من البشر على جيل ..لأن اللّه رب الجميع،ولا تخالجه – سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا – شهوة المحاباة لفرد،أو طبقة،أو شعب،أو جنس،أو جيل.

ومنهج من مزاياه،أن صانعه هو صانع هذا الإنسان ..الذي يعلم حقيقة فطرته،والحاجات الحقيقية لهذه الفطرة،كما يعلم منحنيات نفسه ودروبها ووسائل خطابها وإصلاحها،فلا يخبط – سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا – في تيه التجارب بحثا عن منهج يوافق.ولا يكلف البشر ثمن هذه التجارب القاسية،حين يخبطون هم في التيه بلا دليل! وحسبهم أن يجربوا في ميدان الإبداع المادي ما يشاءون.فهو مجال فسيح جد فسيح للعقل البشري.وحسبهم كذلك أن يحاول هذا العقل تطبيق ذلك المنهج ويدرك مواضع القياس والاجتهاد فيما تتنازع فيه العقول.

ومنهج من مزاياه أن صانعه هو صانع هذا الكون،الذي يعيش فيه الإنسان.فهو يضمن للإنسان منهجا تتلاءم قواعده مع نواميس الكون فلا يروح يعارك هذه النواميس.بل يروح يتعرف إليها،ويصادقها،وينتفع بها ..والمنهج يهديه في هذا كله ويحميه.

ومنهج من مزاياه أنه – في الوقت الذي يهدي فيه الإنسان ويحميه – يكرمه ويحترمه ويجعل لعقله مكانا للعمل في المنهج ..مكان الاجتهاد في فهم النصوص الواردة.ثم الاجتهاد في رد مالم يرد فيه نص إلى النصوص أو إلى المبادئ العامة للدين ..ذلك إلى المجال الأصيل،الذي يحكمه العقل البشري،ويعلن فيه سيادته الكاملة:ميدان البحث العلمي في الكون والإبداع المادي فيه [٣٦] ..

«ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» ..وصدق اللّه العظيم.

أيها الحاكم سوف تموت فإن كنت عادلا نجوت وإن كنت ظالما هلكت وأهلكت

قال تعالى:{ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } [آل عمران:١٨٥]

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ سَتَذُوقُ طَعْمَ المَوْتِ،وَتُحِسُّ بِمُفَارَقَةِ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ . وَاسْتَدَّلَ بَعْضُهُمْ بِهَذِهِ الآيَةِ عَلَى أَنَّ الأَرْوَاحَ لاَ تَمُوتُ بِمَوتِ البَدَنِ،لأَنَّ الذَّوْقَ شُعُورٌ لاَ يُحِسُّ بِهِ إِلاَّ الحَيُّ،وَهُوَ تَعَالَى وُحْدَهُ الحَيُّ الذِي لاَ يَمُوتُ . وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُحْشَرُ النَّاسُ إِلى اللهِ،وَتُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ أُجُورَهَا عَمَّا اكْتَسَبَتْهُ مِنْ أَعْمَالٍ،فَمِنْ جُنِّبَ النَّارَ،وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ،فَقَدْ فَازَ كُلَّ الفَوْزِ .

وَالحَيَاةُ الدُّنْيَا لَيْسَتْ إِلاَّ مَتَاعاً تَافِهاً زَائِلاً،صَاحِبُهُ مَغْرُورٌ مَخْدُوعٌ،وَهُوَ مَتَاعٌ مَتْرُوكٌ يُوشِكُ أَنْ يَضْمَحِلَّ عَنْ أَهْلِهِ .[٣٧]

إنه لا بد من استقرار هذه الحقيقة في النفس:حقيقة أن الحياة في هذه الأرض موقوتة،محدودة بأجل ثم تأتي نهايتها حتما .. يموت الصالحون ويموت الطالحون. يموت المجاهدون ويموت القاعدون. يموت المستعلون بالعقيدة ويموت المستذلون للعبيد. يموت الشجعان الذين يأبون الضيم،ويموت الجبناء الحريصون على الحياة بأي ثمن .. يموت ذوو

---

[٣٦] – [في ظلال القرآن ٢/ ٦٩١]

[٣٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٧٨، بترقيم الشاملة آليا)

الاهتمامات الكبيرة والأهداف العالية،ويموت التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص.

الكل يموت .. «كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ» .. كل نفس تذوق هذه الجرعة،وتفارق هذه الحياة .. لا فارق بين نفس ونفس في تذوق هذه الجرعة من هذه الكأس الدائرة على الجميع. إنما الفارق في شيء آخر. الفارق في قيمة أخرى. الفارق في المصير الأخير:«وَإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ. فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ» ..

هذه هي القيمة التي يكون فيها الافتراق. وهذا هو المصير الذي يفترق فيه فلان عن فلان. القيمة الباقية التي تستحق السعي والكد. والمصير المخوف الذي يستحق أن يحسب له ألف حساب:«فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ» ..

ولفظ «زُحْزِحَ» بذاته يصور معناه بجرسه،ويرسم هيئته،ويلقي ظله! وكأنما للنار جاذبية تشد إليها من يقترب منها،ويدخل في مجالها! فهو في حاجة إلى من يزحزحه قليلا قليلا ليخلصه من جاذبيتها المنهومة! فمن أمكن أن يزحزح عن مجالها،ويستنقذ من جاذبيتها،ويدخل الجنة .. فقد فاز ..

صورة قوية. بل مشهد حي. فيه حركة وشد وجذب! وهو كذلك في حقيقته وفي طبيعته. فللنار جاذبية! أليست للمعصية جاذبية؟ أليست النفس في حاجة إلى من يزحزحها زحزحة عن جاذبية المعصية؟ بلى! وهذه هي زحزحتها عن النار! أليس الإنسان – حتى مع المحاولة واليقظة الدائمة – يظل أبدا مقصرا في العمل .. إلا أن يدركه فضل الله؟ بلى! وهذه هي الزحزحة عن النار حين يدرك الإنسان فضل الله،فيزحزحه عن النار! «وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ» ..

إنها متاع. ولكنه ليس متاع الحقيقة،ولا متاع الصحو واليقظة .. إنها متاع الغرور. المتاع الذي يخدع الإنسان فيحسبه متاعا. أو المتاع الذي ينشئ الغرور والخداع! فأما المتاع الحق. المتاع الذي يستحق الجهد في تحصيله .. فهو ذاك .. هو الفوز بالجنة بعد الزحزحة عن النار.وعندما تكون هذه الحقيقة قد استقرت في النفس. عندما تكون النفس قد

أخرجت من حسابها حكاية الحرص على الحياة – إذ كل نفس ذائقة الموت على كل حال – وأخرجت من حسابها حكاية متاع الغرور الزائل ..[٣٨]

وقال تعالى:{ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) } [العنكبوت:٥٧ – ٥٩]

أَيْنَمَا كُنْتُمْ يُدْرِككُمُ المَوْتُ،فَكُونُوا فِي طَاعَةِ اللهِ،وَحَيْثُ أَمَرَكُمْ اللهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ،فَالمَوْتُ آتٍ لا مَحَالَةَ،وَلا مَفَرَّ مِنْهُ وَلا مَهْرَبَ،ثُمّ تُرْجَعُونَ إِلى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعِنْدَهُ الحِسَابُ والجَزَاءُ .

وَالذِينَ آمَنُوا باللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ،وَعَمِلُوا بِمَ أَمَرهُمُ اللهُ فَأَطَاعُوهُ فِيهِ،وانْتَهَوا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ،فإِنّهُ تَعَالى يَعِدُهُمْ وَعْداً حَقّاً أَنَّهُ سَيُنْزِلُهُمْ فِي الجَنَّةِ قُصُوراً،وأَمَاكِنَ مُرتَفِعَةً (غُرَفاً) تَجْرِي فِي أَرْضِهَا الأَنْهَارُ وَسَيبْقَونَ فِيهَا خَالِدِين،أَبداً،جَزَاءً لَهُمْ عَلَى مَا عَمِلُوا .وَمَا حَصَلُوا عَلَيهِ مِنْ جَزاءٍ كَرِيمٍ هُوَ نِعْمَ الأَجْرُ لِمَنْ عَمِلَ صَالِحاً . وَهؤُلاءِ العَامِلُون،الذِينَ فَازُوا بِغُرفاتِ الجَنَّة،هُمُ الذِينَ صَبَرُوا عَلَى أَذَى المُشْرِكِينَ،وَعَلَى شَدَائِدِ الهِجْرَةِ،وَعَلَى الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ،وَتَوَكَّلُوا عَلَى رَبِّهِمُ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِم .[٣٩]

فالموت حتم في كل مكان،فلا داعي أن يحسبوا حسابه،وهم لا يعلمون أسبابه. وإلى الله المرجع والمآب. فهم مهاجرون إليه،في أرضه الواسعة،وهم عائدون إليه في نهاية المطاف. وهم عباده الذين يؤويهم إليه في الدنيا والآخرة. فمن ذا يساوره الخوف،أو يهجس في ضميره القلق،بعد هذه اللمسات؟

ومع هذا فإنه لا يدعهم إلى هذا الإيواء وحده بل يكشف عما أعده لهم هناك. وإنهم ليفارقون وطنا فلهم في الأرض عنه سعة. ويفارقون بيوتا فلهم في الجنة منها عوض. عوض من نوعها وأعظم منها:

---

[٣٨] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٨٥٥)

[٣٩] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٢٧٩، بترقيم الشاملة آليا)

«وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ،خالِدِينَ فِيها».

وهنا يهتف لهم بالعمل والصبر والتوكل على الله:«نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ،الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» .. وهي لمسة التثبيت والتشجيع لهذه القلوب،في موقف القلقلة والخوف والحاجة إلى التثبيت والتشجيع.[٤٠]

أيها الحاكم الجائر لن يتركك الله تعالى بلا عقاب

قال تعالى:{ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)} [إبراهيم:٤٢-٥٢]

وإن هذا المثل ليتجدد في الحياة ويقع كل حين. فكم من طغاة يسكنون مساكن الطغاة الذين هلكوا من قبلهم. وربما يكونون قد هلكوا على أيديهم. ثم هم يطغون بعد ذلك ويتجبرون ويسيرون حذوك النعل بالنعل سيرة الهالكين فلا تهز وجدانهم تلك الآثار الباقية التي يسكنونها،والتي تتحدث عن تاريخ الهالكين،وتصور مصائرهم للناظرين. ثم يؤخذون إخذة الغابرين،ويلحقون بهم وتخلو منهم الديار بعد حين! ثم يلتفت السياق بعد أن يسدل

---

[٤٠] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٣٤٩٨)

عليهم الستار هناك،إلى واقعهم الحاضر،وشدة مكرهم بالرسول والمؤمنين،وتدبيرهم الشر في كل نواحي الحياة. فيلقي في الروع أنهم مأخوذون إلى ذلك المصير،مهما يكن مكرهم من العنف والتدبير:«وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ .. وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ» .. إن الله محيط بهم وبمكرهم،وإن كان مكرهم من القوة والتأثير حتى ليؤدي إلى زوال الجبال،أثقل شيء وأصلب شيء،وأبعد شيء عن تصور التحرك والزوال. فإن مكرهم هذا ليس مجهولا وليس خافيا وليس بعيدا عن متناول القدرة. بل إنه لحاضر «عند الله» يفعل به كيفما يشاء.

«فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ. إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقامٍ» .. فما لهذا المكر من أثر،وما يعوق تحقيق وعد الله لرسله بالنصر وأخذ الماكرين أخذ عزيز مقتدر:«إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقامٍ» .. لا يدع الظالم يفلت،ولا يدع الماكر ينجو .. وكلمة الانتقام هنا تلقي الظل المناسب للظلم والمكر،فالظالم الماكر يستحق الانتقام،وهو بالقياس إلى الله تعالى،يعني تعذيبهم جزاء ظلمهم وجزاء مكرهم،تحقيقا لعدل الله في الجزاء. وسيكون ذلك لا محالة:«يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّماواتُ» ..

ولا ندري نحن كيف يتم هذا،ولا طبيعة الأرض الجديدة وطبيعة السماوات،ولا مكانها ولكن النص يلقي ظلال القدرة القادرة التي تبدل الأرض وتبدل السماوات في مقابل ذلك المكر الذي مهما اشتد فهو ضئيل عاجز حسير. وفجأة نرى ذلك قد تحقق:«وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ» ..

وأحسوا أنهم مكشوفون لا يسترهم ساتر،ولا يقيهم واق. ليسوا في دورهم وليسوا في قبورهم. إنما هم في العراء أمام الواحد القهار .. ولفظة «القهار» هنا تشترك في ظل التهديد بالقوة القاهرة التي لا يقف لها كيد الجبابرة. وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال.

ثم ها نحن أولاء أمام مشهد من مشاهد العذاب العنيف القاسي المذل،يناسب ذلك المكر وذلك الجبروت:«وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ سَرابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ وَتَغْشى وُجُوهَهُمُ النَّارُ»

فمشهد المجرمين:اثنين اثنين مقرونين في الوثاق،يمرون صفا وراء صف .. مشهد مذل دال كذلك على قدرة القهار. ويضاف إلى قرنهم في الوثاق أن سرابيلهم وثيابهم من مادة شديدة القابلية للالتهاب،وهي في ذات الوقت قذرة سوداء .. «من قطران» .. ففيها الذل والتحقير،وفيها الإيحاء بشدة الاشتعال بمجرد قربهم من النار! «وَتَغْشى وُجُوهَهُمُ النَّارُ» .. فهو مشهد العذاب المذل المتلظي المشتعل جزاء المكر والاستكبار .. «لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ. إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ» .. ولقد كسبوا المكر والظلم فجزاؤهم القهر والذل. إن الله سريع الحساب. فالسرعة في الحساب هنا تناسب المكر والتدبير الذي كانوا يحسبونه يحميهم ويخفيهم،ويعوق انتصار أحد عليهم. فها هم أولاء يجزون ما كسبوا ذلا وألما وسرعة حساب! وفي النهاية تختم السورة بمثل ما بدأت،ولكن في إعلان عام جهير الصوت،عالي الصدى،لتبليغ البشرية كلها في كل مكان:«هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ،وَلِيُنْذَرُوا بِهِ،وَلِيَعْلَمُوا أَنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ،وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ».

إن الغاية الأساسية من ذلك البلاغ وهذا الإنذار،هي أن يعلم الناس «أَنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ» .. فهذه هي قاعدة دين الله التي يقوم عليها منهجه في الحياة. وليس المقصود بطبيعة الحال مجرد العلم،إنما المقصود هو إقامة حياتهم على قاعدة هذا العلم .. المقصود هو الدينونة لله وحده،ما دام أنه لا إله غيره. فالإله هو الذي يستحق أن يكون ربا - أي حاكما وسيدا ومتصرفا ومشرعا وموجها - وقيام الحياة البشرية على هذه القاعدة يجعلها تختلف اختلافا جوهريا عن كل حياة تقوم على قاعدة ربوبية العباد للعباد - أي حاكمية العباد للعباد ودينونة العباد للعباد - وهو اختلاف يتناول الاعتقاد والتصور،ويتناول الشعائر والمناسك كما يتناول الأخلاق والسلوك،والقيم والموازين وكما يتناول الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية،وكل جانب من جوانب الحياة الفردية والجماعية على السواء.

إن الاعتقاد بالألوهية الواحدة قاعدة لمنهج حياة متكامل وليس مجرد عقيدة مستكنة في الضمائر. وحدود العقيدة أبعد كثيرا من مجرد الاعتقاد الساكن .. إن حدود العقيدة تتسع وتترامى حتى تتناول كل جانب من جوانب الحياة .. وقضية الحاكمية بكل فروعها في الإسلام هي قضية عقيدة. كما أن قضية الأخلاق بجملتها هي قضية عقيدة. فمن العقيدة

ينبثق منهج الحياة الذي يشتمل الأخلاق والقيم كما يشتمل الأوضاع والشرائع سواء بسواء ..

ونحن لا ندرك مرامي هذا القرآن قبل أن ندرك حدود العقيدة في هذا الدين،وقبل أن ندرك مدلولات:«شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» على هذا المستوى الواسع البعيد الآماد. وقبل أن نفهم مدلول:العبادة لله وحده ونحدده بأنه الدينونة لله وحده لا في لحظات الصلاة،ولكن في كل شأن من شؤون الحياة!

إن عبادة الأصنام التي دعا إبراهيم – عليه السلام – ربه أن يجنبه هو وبنيه إياها،لا تتمثل فقط في تلك الصورة الساذجة التي كان يزاولها العرب في جاهليتهم،أو التي كانت تزاولها شتى الوثنيات في صور شتى،مجسمة في أحجار أو أشجار،أو حيوان أو طير،أو نجم أو نار،أو أرواح أو أشباح.

إن هذه الصور الساذجة كلها لا تستغرق كل صور الشرك بالله،ولا تستغرق كل صور العبادة للأصنام من دون الله. والوقوف بمدلول الشرك عند هذه الصور الساذجة يمنعنا من رؤية صور الشرك الأخرى التي لا نهاية لها ويمنعنا من الرؤية الصحيحة لحقيقة ما يعتور البشرية من صور الشرك والجاهلية الجديدة! ولا بد من التعمق في إدراك طبيعة الشرك وعلاقة الأصنام بها كما أنه لا بد من التعمق في معنى الأصنام،وتمثل صورها المتجددة مع الجاهليات المستحدثة! إن الشرك بالله – المخالف لشهادة أن لا إله إلا الله – يتمثل في كل وضع وفي كل حالة لا تكون فيها الدينونة في كل شأن من شؤون الحياة خالصة لله وحده. ويكفي أن يدين العبد لله في جوانب من حياته،بينما هو يدين في جوانب أخرى لغير الله،حتى تتحقق صورة الشرك وحقيقته .. وتقديم الشعائر ليس إلا صورة واحدة من صور الدينونة الكثيرة .. والأمثلة الحاضرة في حياة البشر اليوم تعطينا المثال الواقعي للشرك في أعماق طبيعته .. إن العبد الذي يتوجه لله بالاعتقاد في ألوهيته وحده ثم يدين لله في الوضوء والطهارة والصلاة والصوم والحج وسائر الشعائر. بينما هو في الوقت ذاته يدين في حياته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لشرائع من عند غير الله. ويدين في قيمه وموازينه الاجتماعية لتصورات واصطلاحات من صنع غير الله.

ويدين في أخلاقه وتقاليده وعاداته وأزيائه لأرباب من البشر تفرض عليه هذه الأخـــلاق والتقاليد والعادات والأزياء – مخالفة لشرع الله وأمره – إن هذا العبد يزاول الشـــرك في أخص حقيقته ويخالف عن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمـــدا رســـول الله في أخـــص حقيقتها .. وهذا ما يغفل عنه الناس اليوم فيزاولونه في ترخص وتميـــع،وهم لا يحســـبونه الشرك الذي كان يزاوله المشركون في كل زمان ومكان! والأصنام .. ليس من الضروري أن تتمثل في تلك الصور الأولية الســـاذجة .. فالأصـــنام ليســـت ســـوى شـــعارات للطاغوت،يتخفى وراءها لتعبيد الناس باسمها،وضمان دينونتهم له من خلالها ..

إن الصنم لم يكن ينطق أو يسمع أو يبصر .. إنما كان السادن أو الكاهن أو الحاكم يقوم من ورائها يتمتم حولها بالتعاويذ والرقى .. ثم ينطق باسمها بما يريد هو أن ينطـــق لتعبيـــد الجماهير وتذليلها! فإذا رفعت في أي أرض وفي أي وقت شعارات ينطق باسمها الحكـــام والكهان،ويقررون باسمها ما لم يأذن به الله من الشرائع والقـــوانين والقـــيم والمـــوازين والتصرفات والأعمال ... فهذه هي الأصنام في طبيعتها وحقيقتها ووظيفتها! إذا رفعـــت «القومية» شعارا،أو رفع «الوطن» شعارا،أو رفع «الشعب» شعارا،أو رفعت «الطبقـــة» شعارا ... ثم أريد الناس على عبادة هذه الشعارات من دون الله وعلـــى التضـــحية لهـــا بالنفوس والأموال والأخلاق والأعراض. بحيث كلما تعارضـــت شـــريعة الله وقوانينـــه وتوجيهاته وتعليماته مع مطالب تلك الشعارات ومقتضياتها،نحيت شـــريعة الله وقوانينـــه وتوجيهاته وتعاليمه،ونفذت إرادة تلك الشعارات – أو بالتعبير الصحيح الدقيق:

إرادة الطواغيت الواقفة وراء هذه الشعارات – كانت هذه هي عبادة الأصنام من دون الله .. فالصنم ليس من الضروري أن يتمثل في حجر أو خشبة ولقد يكون الصنم مـــذهبا أو شعارا! إن الإسلام لم يجيء لمجرد تحطيم الأصنام الحجرية والخشبية! و لم تبذل فيـــه تلـــك الجهود الموصولة،من موكب الرسل الموصول و لم تقدم من أجله تلك التضحيات الجســـام وتلك العذابات والآلام،لمجرد تحطيم الأصنام من الأحجار والأخشاب!

إنما جاء الإسلام ليقيم مفرق الطريق بين الدينونة لله وحده في كل أمر وفي كل شأن وبين الدينونة لغيره في كل هيئة وفي كل صورة .. ولا بد من تتبع الهيئات والصـــور في كـــل

وضع وفي كل وقت لإدراك طبيعة الأنظمة والمناهج القائمة،وتقرير ما إذا كانت توحيدا أم شركا؟ دينونة لله وحده أم دينونة لشتى الطواغيت والأرباب والأصنام!

والذين يظنون أنفسهم في «دين الله» لأنهم يقولون بأفواههم «نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»،ويدينون لله فعلا في شؤون الطهارة والشعائر والزواج والطلاق والميراث .. بينما هم يدينون فيما وراء هذا الركن الضيق لغير الله ويخضعون لشرائع لم يأذن بها الله – وكثرتها مما يخالف مخالفة صريحة شريعة الله – ثم هم يبذلون أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وأخلاقهم – أرادوا أم لم يريدوا – ليحققوا ما تتطلبه منهم الأصنام الجديدة. فإذا تعارض دين أو خلق أو عرض مع مطالب هذه الأصنام،نبذت أوامر الله فيها ونفذت مطالب هذه الأصنام ... الذين يظنون أنفسهم «مسلمين» وفي «دين الله» وهذا حالهم .. عليهم أن يستفيقوا لما هم فيه من الشرك العظيم!!!

إن دين الله ليس بهذا الهزل الذي يتصوره من يزعمون أنفسهم «مسلمين» في مشارق الأرض ومغاربها!

إن دين الله منهج شامل لجزئيات الحياة اليومية وتفصيلاتها. والدينونة لله وحده في كل تفصيل وكل جزئية من جزئيات الحياة اليومية وتفصيلاتها – فضلا على أصولها وكلياتها – هي دين الله،وهي الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه. وإن الشرك بالله لا يتمثل فحسب في الاعتقاد بألوهية غيره معه ولكنه يتمثل ابتداء في تحكيم أرباب غيره معه.

وإن عبادة الأصنام لا تتمثل في إقامة أحجار وأخشاب بقدر ما تتمثل في إقامة شعارات لها كل ما لتلك الأصنام من نفوذ ومقتضيات! ولينظر الناس في كل بلد لمن المقام الأعلى في حياتهم؟ ولمن الدينونة الكاملة؟ ولمن الطاعة والاتباع والامتثال؟

فإن كان هذا كله لله فهم في دين الله. وإن كان لغير الله – معه أو من دونه – فهم في دين الطواغيت والأصنام .. والعياذ بالله .. ![41]

وقال تعالى:{ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ

[41] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٢٧٦٦)

يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣)} [الأعراف: ٩٠ - ٩٣]

قَالَ الكُبَرَاءُ الكَافِرُونَ مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ،لِمَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ:لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيباً فِيمَا يَقُولُ،وَفِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ،وَأَقْرَرْتُمْ بِنُبُوَّتِهِ،وَآمَنْتُمْ بِمَا آمَنَ بِهِ،وَكَفَرْتُمْ بِأَصْنَامِكُمْ . . وَبِمَا كَانَ عَلَيهِ آبَاؤُكُمْ مِنْ دِينٍ وَعَادَاتٍ،كُنْتُمْ خَاسِرِينَ .

وَقَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى:" وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً والذين آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الذين ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ"فَاهْتَزَّتْ بِهِمُ الأَرْضَ بِفِعْلِ زَلْزَلَةٍ شَدِيدَةْ،فَأَصْبَحُوا هَالِكِينَ فِي دِيَارِهِمْ لاَ حَرَاكَ بِهِمْ،وَهُمْ مُكِبُّونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى العَاقِبَةَ التِي صَارَ إِلَيْهَا قَوْمُ شُعَيبٍ،فَقَدْ هَلَكَ الذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً،فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُم أَحَداً وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُقِيمُوا فِي دِيَارِهِمْ،وَالذِينَ كَذَّبُوا شُعَيباً كَانُوا هُمُ الذِينَ خَسِرُوا الدُّنْيا وَالآخِرَةَ،أَمَّا الذِينَ اتَّبُعُوهُ فَكَانُوا هُمُ الفَائِزُونَ المُفْلِحِينَ .

وَبَعْدَ أَنْ نَزَلَ بِهِمْ عَذَابُ اللهِ وَدَمَارُهُ تَوَلَّى شُعَيْبٌ عَنْهُمْ،وَانْصَرَفَ عَنْ دِيَارِهِمْ،وَخَاطَبَهُمْ مُقَرِّعاً،فَقَالَ لَهُمْ:لَقَدْ نَصَحْتُ لَكُمْ يَا قَوْمِي،وَبَلَّغْتُكُمْ مَا أَرْسَلَنِي بِهِ رَبِّي إِلَيكُمْ،مِنْ دَعْوَةٍ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ،فَكَفَرْتُمْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ،فَدَمَّرَكُمُ اللهُ،وَلِذَلِكَ فَإِنَّنِي لاَ يُمْكِنُ أَنْ آسَفَ وَأَحْزَنَ عَلَى قَوْمٍ جَحَدُوا بِوحْدَانِيَّةِ اللهِ،وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ .[٤٢]

إنها ملامح المعركة التي تتكرر ولا تتغير .. إن الطواغيت يتوجهون أولا إلى الداعية ليكف عن الدعوة. فإذا استعصم بإيمانه وثقته بربه،واستمسك بأمانة التبليغ وتبعته،ولم يرهبه التخويف بالذي يملكه الطغاة من الوسائل .. تحولوا إلى الذين اتبعوه يفتنونهم عن دينهم بالوعيد والتهديد،ثم بالبطش والعذاب .. إنهم لا يملكون حجة على باطلهم،ولكن يملكون أدوات البطش والإرهاب ولا يستطيعون إقناع القلوب بجاهليتهم - وبخاصة تلك التي عرفت الحق فما عادت تستخف بالباطل - ولكنهم يستطيعون البطش بالمصرين على الإيمان،الذي أخلصوا الدينونة لله فأخلصوا له السلطان.

---

[٤٢] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٠٤٥، بترقيم الشاملة آليا)

ولكنه من سنة الله الجارية أنه عندما يتمحض الحق والباطل،ويقفان وجها لوجه في مفاصلة كاملة تجري سنة الله التي لا تتخلف .. وهكذا كان .. «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ،فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ» .. الرجفة والجثوم،جزاء التهديد والاستطالة،وبسط الأيدي بالأذى والفتنة ..

ويرد السياق على قولتهم:«لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ» .. وهي التي قالوها مهددين متوعدين للمؤمنين بالخسارة! فيقرر – في تهكم واضح – أن الخسران لم يكن من نصيب الذين اتبعوا شعيبا،إنما كان من نصيب قوم آخرين:«الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا. الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كانُوا هُمُ الْخاسِرِينَ» ..

ففي ومضة ها نحن أولاء نراهم في دارهم جاثمين. لا حياة ولا حراك. كأن لم يعمروا هذه الدار،وكأن لم يكن لهم فيها آثار! ويطوي صفحتهم مشيعة بالتبكيت والإهمال،والمفارقة والانفصال،من رسولهم الذي كان أخاهم،ثم افترق طريقه عن طريقهم،فافترق مصيره عن مصيرهم،حتى لم يعد يأسى على مصيرهم الأليم،وعلى ضيعتهم في الغابرين:«فَتَوَلَّى عَنْهُمْ،وَقالَ:يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ،فَكَيْفَ آسى عَلى قَوْمٍ كافِرِينَ؟ » ..

إنه من ملة وهم من ملة. فهو أمة وهم أمة. أما صلة الأنساب والأقوام،فلا اعتبار لها في هذا الدين،ولا وزن لها في ميزان الله .. فالوشيجة الباقية هي وشيجة هذا الدين،والارتباط بين الناس إنما يكون في حبل الله المتين ..[٤٣]

ونهايتك سوف تكون كنهاية فرعون

قال تعالى:{ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩) } [الدخان:٢٥ – ٢٩]

---

[٤٣] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ١٧٨٤)

كَم تَرَكَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمُهُ قَبْلَ مَهلِكِهِمْ فِي أَرْضِهِمْ مِنْ بَسَاتِينَ نَضِرَةٍ،وَحَدَائِقَ غَنَّاءَ،وَعُيُونِ ماءٍ جَارِيةٍ وَأَنْهَارٍ .وَكَمْ تَرَكُوا مِنْ زُرُوعٍ نَاضِرَةٍ،وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةٍ .وَعَيْشٍ رَغِيدٍ كَانُوا يَتَفَكَّهُونَ فِيهِ فَيَأْكُلُونَ مَا شَاؤُوا،وَيَلْبَسُونَ مَا أَحَبُّوا . فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ،وَهكَذَا يَفْعَلُ اللهُ بِالذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَهُ،وَيُخَالِفُونَ عَنْ أَمرِهِ فإِنَّهُ يُبِيدُهُمْ وَيُورِثُ أَرْضَهُمْ قَوْماً آخرِينَ لَيْسُوا مِنْهُمْ فِي شيءٍ قَرابةً ولا ديناً .

وَقَدْ كَانَ هؤلاءِ الطُّغَاةُ العُتَاةُ هَيِّنِينَ عَلَى اللهِ،وَعَلى عِبادِ اللهِ،إِذْ لَم يَكُنْ لَهُمْ عَمَلٌ صَالِحٌ يُرَفَعُ إِلى السَّماءِ،وَلاَ عَمَلُ خَيرٍ مَعَ عِبَادِ اللهِ فِي الأَرضِ يُذكرُ لهم،فَلم تبكِ لفَقْدِهِم الأرضُ ولا السَّماءُ،وَلم يُمْهَلُوا لِتَوْبَةٍ،وَإِنَّما عَجَّلَ اللهُ لَهُمُ العَذَابَ دُونَ إِبْطَاءٍ . عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:سَأَلَ رَجُلٌ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:هَلْ تَبْكِي السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ عَلَى أَحَدٍ؟ فَقَالَ لَهُ:لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ،إِنَّهُ لَيْسَ [مِنْ] عَبْدٍ إِلَّا لَهُ مُصَلًّى فِي الْأَرْضِ،وَمَصْعَدُ عَمَلِهِ مِنَ السَّمَاءِ. وَإِنَّ آلَ فِرْعَوْنَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَمَلٌ صَالِحٌ فِي الْأَرْضِ،وَلَا عَمَلٌ يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ،ثُمَّ قَرَأَ عَلِيٌّ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ}.[٤٤]

لقد ذهب هؤلاء الطغاة الذين كانوا ملء الأعين والنفوس في هذه الأرض:ذهبوا فلم يأس على ذهابهم أحد،ولم تشعر بهم سماء ولا أرض ولم ينظروا أو يؤجلوا عندما حل الميعاد:«فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ وَما كانُوا مُنْظَرِينَ» ..وهو تعبير يلقي ظلال الهوان،كما يلقي ظلال الجفاء .. فهؤلاء الطغاة المتعالون لم يشعر بهم أحد في أرض ولا سماء. ولم يأسف عليهم أحد في أرض ولا سماء. وذهبوا ذهاب النمال،وهم كانوا جبارين في الأرض يطأون الناس بالنعال! وذهبوا غير مأسوف عليهم فهذا الكون يمقتهم لانفصالهم عنه،وهو مؤمن بربه،وهم به كافرون! وهم أرواح خبيثة شريرة منبوذة من هذا الوجود وهي تعيش فيه! ولو أحس الجبارون في الأرض ما في هذه الكلمات من إيحاء لأدركوا

[٤٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٣١٨، بترقيم الشاملة آليا) وتفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٢٥٤) صحيح

هوائهم على الله وعلى هذا الوجود كله. ولأدركوا أنهم يعيشون في الكون منبوذين منه،مقطوعين عنه،لا تربطهم به آصرة،وقد قطعت آصرة الإيمان.[٤٥]

أيها الحاكم عندما تطبق القرآن وتحكم بالقرآن عقيدة وعبادة وشريعة ومنهج حياة فابق في كرسيك لا مطمع لنا بها

فنحن يمكن أن نتجاوز عن كل الشروط ما عدا الذكورة والإسلام والحكم بما أنزل الله تعالى،قال تعالى:{الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة:٣]

إن المؤمن يقف أولا:أمام إكمال هذا الدين يستعرض موكب الإيمان،وموكب الرسالات،وموكب الرسل،منذ فجر البشرية،ومنذ أول رسول - آدم عليه السلام - إلى هذه الرسالة الأخيرة. رسالة النبي الأمي إلى البشر أجمعين .. فماذا يرى؟ .. يرى هذا الموكب المتطاول المتواصل. موكب الهدى والنور. ويرى معالم الطريق،على طول الطريق. ولكنه يجد كل رسول - قبل خاتم النبيين - إنما أرسل لقومه. ويرى كل رسالة - قبل الرسالة الأخيرة - إنما جاءت لمرحلة من الزمان .. رسالة خاصة،لمجموعة خاصة،في بيئة خاصة .. ومن ثم كانت كل تلك الرسالات محكومة بظروفها هذه متكيفة بهذه الظروف .. كلها تدعو إلى إله واحد - فهذا هو التوحيد - وكلها تدعو إلى عبودية واحدة لهذا الإله الواحد - فهذا هو الدين - وكلها تدعو إلى التلقي عن هذا الإله الواحد والطاعة لهذا الإله الواحد - فهذا هو الإسلام - ولكن لكل منها شريعة للحياة الواقعية تناسب حالة الجماعة وحالة البيئة وحالة الزمان والظروف ..

حتى إذا أراد الله أن يختم رسالاته إلى البشر أرسل إلى الناس كافة،رسولا خاتم النبيين برسالة «للإنسان» لا لمجموعة من الأناسي في بيئة خاصة،في زمان خاص،في ظروف خاصة .. رسالة تخاطب «الإنسان» من وراء الظروف والبيئات والأزمنة لأنها تخاطب

---

[٤٥] - في ظلال القرآن للسيد قطب-ط١ - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٤٠٢٦)

فطرة الإنسان التي لا تتبدل ولا تتحور ولا يناالها التغيير:«فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» .. وفصل في هذه الرسالة شريعة تتناول حياة «الإنسان» من جميع أطرافها،وفي كل جوانب نشاطها وتضع لها المبادئ الكلية والقواعد الأساسية فيما يتطور فيها ويتحور بتغير الزمان والمكان وتضع لها الأحكام التفصيلية والقوانين الجزئية فيما لا يتطور ولا يتحور بتغير الزمان والمكان .. وكذلك كانت هذه الشريعة بمبادئها الكلية وبأحكامها التفصيلية محتوية كل ما تحتاج إليه حياة «الإنسان» منذ تلك الرسالة إلى آخر الزمان من ضوابط وتوجيهات وتشريعات وتنظيمات،لكي تستمر،وتنمو،وتتطور،وتتجدد حول هذا المحور وداخل هذا الإطار .. وقال الله – سبحانه – للذين آمنوا:«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ. وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي. وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً» ..

فأعلن لهم إكمال العقيدة،وإكمال الشريعة معا .. فهذا هو الدين .. ولم يعد للمؤمن أن يتصور أن بهذا الدين – بمعناه هذا – نقصا يستدعي الإكمال. ولا قصورا يستدعي الإضافة. ولا محلية أو زمانية تستدعي التطوير أو التحوير .. وإلا فما هو بمؤمن وما هو بمقر بصدق الله وما هو بمرتض ما ارتضاه الله للمؤمنين! إن شريعة ذلك الزمان الذي نزل فيه القرآن،هي شريعة كل زمان،لأنها – بشهادة الله – شريعة الدين الذي جاء «للإنسان» في كل زمان وفي كل مكان لا لجماعة من بني الإنسان،في جيل من الأجيال،في مكان من الأمكنة،كما كانت تجيء الرسل والرسالات.

الأحكام التفصيلية جاءت لتبقى كما هي. والمبادئ الكلية جاءت لتكون هي الإطار الذي تنمو في داخله الحياة البشرية إلى آخر الزمان دون أن تخرج عليه،إلا أن تخرج من اطار الإيمان! والله الذي خلق «الإنسان» ويعلم من خلق هو الذي رضي له هذا الدين المحتوي على هذه الشريعة.

فلا يقول:إن شريعة الأمس ليست شريعة اليوم،إلا رجل يزعم لنفسه أنه أعلم من الله بحاجات الإنسان وبأطوار الإنسان! ويقف المؤمن ثانيا:أمام إتمام نعمة الله على المؤمنين،بإكمال هذا الدين وهي النعمة التامة الضخمة الهائلة.

النعمة التي تمثل مولد «الإنسان» في الحقيقة،كما تمثل نشأته واكتماله. «فالإنسان» لا وجود له قبل أن يعرف إلهه كما يعرفه هذا الدين له. وقبل أن يعرف الوجود الذي يعيش فيه كما يعرفه له هذا الدين. وقبل أن يعرف نفسه ودوره في هذا الوجود وكرامته على ربه،كما يعرف ذلك كله من دينه الذي رضيه له ربه.

و«الإنسان» لا وجود له قبل أن يتحرر من عبادة العبيد بعبادة الله وحده وقبل أن ينال المساواة الحقيقية بأن تكون شريعته من صنع الله وبسلطانه لا من صنع أحد ولا بسلطانه.

إن معرفة «الإنسان» بهذه الحقائق الكبرى كما صورها هذا الدين هي بدء مولد «الإنسان» .. إنه بدون هذه المعرفة على هذا المستوي يمكن أن يكون «حيوانا» أو أن يكون «مشروع إنسان» في طريقه إلى التكوين! ولكنه لا يكون «الإنسان» في أكمل صورة للإنسان،إلا بمعرفة هذه الحقائق الكبيرة كما صورها القرآن ..

والمسافة بعيدة بعيدة بين هذه الصورة،وسائر الصور التي اصطنعها البشر في كل زمان!

وإن تحقيق هذه الصورة في الحياة الإنسانية،لهو الذي يحقق «للإنسان» «إنسانيته» كاملة .. يحققها له وهو يخرجه بالتصور الاعتقادي،في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر،من دائرة الحس الحيواني الذي لا يدرك إلا المحسوسات،إلى دائرة «التصور» الإنساني،الذي يدرك المحسوسات وما وراء المحسوسات. عالم الشهادة وعالم الغيب .. عالم المادة وعالم ما وراء المادة .. وينقذه من ضيق الحس الحيواني المحدود! ويحققها له وهو يخرجه بتوحيد الله،من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده،والتساوي والتحرر والاستعلاء أمام كل من عداه. فإلى الله وحده يتجه بالعبادة،ومن الله وحده يتلقى المنهج والشريعة والنظام،وعلى الله وحده يتوكل ومنه وحده يخاف.. ويحققها له،بالمنهج الرباني،حين يرفع اهتماماته ويهذب نوازعه،ويجمع طاقته للخير والبناء والارتقاء،والاستعلاء على نوازع الحيوان،ولذائذ البهيمة وانطلاق الأنعام! ولا يدرك حقيقة نعمة الله في هذا الدين،ولا يقدرها قدرها،من لم يعرف حقيقة الجاهلية ومن لم يذق ويلاتها – والجاهلية في كل زمان وفي كل مكان هي منهج الحياة الذي لم يشرعه الله – فهذا الذي عرف الجاهلية وذاق ويلاتها .. ويلاتها في التصور والاعتقاد،وويلاتها في واقع

الحياة .. هو الذي يحس ويشعر،ويرى ويعلم،ويدرك ويتذوق حقيقة نعمة الله في هذا الدين الذي يعرف ويعاني ويلات الضلال والعمى،وويلات الحيرة والتمزق،وويلات الضياع والخواء،في معتقدات الجاهلية وتصوراتها في كل زمان وفي كل مكان .. هو الذي يعرف ويتذوق نعمة الإيمان.

والذي يعرف ويعاني ويلات الطغيان والهوى،وويلات التخبط والاضطراب،وويلات التفريط والإفراط في كل أنظمة الحياة الجاهلية،هو الذي يعرف ويتذوق نعمة الحياة في ظل الإيمان بمنهج الإسلام.

ولقد كان العرب المخاطبون بهذا القرآن أول مرة،يعرفون ويدركون ويتذوقون هذه الكلمات. لأن مدلولاتها كانت متمثلة في حياتهم،في ذات الجيل الذي خوطب بهذا القرآن.

كانوا قد ذاقوا الجاهلية .. ذاقوا تصوراتها الاعتقادية. وذاقوا أوضاعها الاجتماعي ة. وذاقوا أخلاقها الفردية والجماعية. وبلوا من هذا كله ما يدركون معه حقيقة نعمة الله عليهم بهذا الدين وحقيقة فضل الله عليهم ومنته بالإسلام.كان الإسلام قد التقطهم من سفح الجاهلية وساربهم في الطريق الصاعد،إلى القمة السامقة فإذا هم على القمة ينظرون من عل إلى سائر أمم الأرض من حولهم نظرتهم إلى ماضيهم في جاهليتهم كذلك.

كان الإسلام قد التقطهم من سفح الجاهلية في التصورات الاعتقادية حول ربوبية الأصنام،والملائكة،والجن،والكواكب،والأسلاف وسائر هذه الأساطير الساذجة والخرافات السخيفة لينقلهم إلى أفق التوحيد. إلى أفق الإيمان بإله واحد،قادر قاهر،رحيم ودود،سميع بصير،عليم خبير. عادل كامل. قريب مجيب. لا واسطة بينه وبين أحد والكل له عباد،والكل له عبيد .. ومن ثم حررهم من سلطان الكهانة،ومن سلطان الرياسة،يوم حررهم من سلطان الوهم والخرافة ..

وكان الإسلام قد التقطهم من سفح الجاهلية في الأوضاع الاجتماعي ة. من الفوارق الطبقية ومن العادات الزرية ومن الاستبداد الذي كان يزاوله كل من تهيأ له قدر من السلطان (لا كما هو سائد خطأ من أن الحياة العربية كانت تمثل الديمقراطية!).

وكان الإسلام قد التقطهم من سفح الجاهلية في التقاليد والعادات والأخلاق والصلات الاجتماعية .. كان قد التقطهم من سفح البنت الموءودة،والمرأة المنكودة،والخمر والقمار والعلاقات الجنسية الفوضوية،والتبرج والاختلاط مع احتقار المرأة ومهانتها،والثارات والغارات والنهب والسلب،مع تفرق الكلمة وضعف الحيلة أمام أي هجوم خارجي جدي،كالذي حدث في عام الفيل من هجوم الأحباش على الكعبة،وتخاذل وخذلان القبائل كلها،هذه القبائل التي كان بأسها بينها شديدا!

وكان الإسلام قد أنشأ منهم أمة تطل من القمة السامقة على البشرية كلها في السفح،في كل جانب من جوانب الحياة. في جيل واحد. عرف السفح وعرف القمة. عرف الجاهلية وعرف الإسلام. ومن ثم كانوا يتذوقون ويدركون معنى قول الله لهم:«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ،وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي،وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً» ..

ويقف المؤمن ثالثا:أمام ارتضاء الله الإسلام دينا للذين آمنوا .. يقف أمام رعاية الله – سبحانه – وعنايته بهذه الأمة،حتى ليختار لها دينها ويرتضيه .. وهو تعبير يشي بحب الله لهذه الأمة ورضاه عنها،حتى ليختار لها منهج حياتها ..

وإن هذه الكلمات الهائلة لتلقي على عاتق هذه الأمة عبئا ثقيلا،يكافىء هذه الرعاية الجليلة .. أستغفر الله .. فما يكافىء هذه الرعاية الجليلة من الملك الجليل شيء تملك هذه الأمة بكل أجيالها أن تقدمه .. وإنما هو جهد الطاقة في شكر النعمة،ومعرفة المنعم .. وإنما هو إدراك الواجب ثم القيام بما يستطاع منه،وطلب المغفرة والتجاوز عن التقصير والقصور فيه.

إن ارتضاء الله الإسلام دينا لهذه الأمة،ليقتضي منها ابتداء أن تدرك قيمة هذا الاختيار. ثم تحرص على الاستقامة على هذا الدين جهد ما في الطاقة من وسع واقتدار .. وإلا فما أنكد وما أحمق من يهمل – بله أن يرفض – ما رضيه الله له،ليختار لنفسه غير ما اختاره الله! .. وإنها – إذن – لجريمة نكدة لا تذهب بغير جزاء،ولا يترك صاحبها يمضي ناجيا أبدا وقد رفض ما ارتضاه له الله .. ولقد يترك الله الذين لم يتخذوا الإسلام دينا لهم،يرتكبون ما يرتكبون ويمهلهم إلى حين .. فأما الذين عرفوا هذا الدين ثم تركوه أو

رفضوه .. واتخذوا لأنفسهم مناهج في الحياة غير المنهج الذي ارتضاه لهم الله .. فلن يتركهم الله أبدا ولن يمهلهم أبدا،حتى يذوقوا وبال أمرهم وهم مستحقون![٤٦]

وعَنْ يَحْيَى بْنِ الحُصَيْنِ،عَنْ أُمِّهِ قَالَتْ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَقُولُ:"يَا أَيُّهَا النَّاسُ،اتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا،وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ مَا أَقَامَ فِيكُمْ كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ "[٤٧]

أيها الحاكم مهما أخذت بأسباب البقاء سوف تموت رغما عنك فانظر إلى عاقبتك

قال تعالى:{ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } [آل عمران:١٨٥]

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ سَتَذُوقُ طَعْمَ المَوْتِ،وَتُحِسُّ بِمُفَارَقَةِ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ . وَاسْتَدَّلَ بَعْضُهُمْ بِهَذِهِ الآيَةِ عَلَى أَنَّ الأَرْوَاحَ لاَ تَمُوتُ بِمَوتِ البَدَنِ،لأَنَّ الذَّوْقَ شُعُورٌ لاَ يُحِسُّ بِهِ إِلاَّ الحَيُّ،وَهُوَ تَعَالَى وُحْدَهُ الحَيُّ الذِي لاَ يَمُوتُ . وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُحْشَرُ النَّاسُ إِلى اللهِ،وَتُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ أُجُورَهَا عَمَّا اكْتَسَبَتْهُ مِنْ أَعْمَالٍ،فَمَنْ جُنِّبَ النَّارَ،وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ،فَقَدْ فَازَ كُلَّ الفَوْزِ .

وَالحَيَاةُ الدُّنْيَا لَيْسَتْ إِلاَّ مَتَاعاً تَافِهاً زَائِلاً،صَاحِبُهُ مَغْرُورٌ مَخْدُوعٌ،وَهُوَ مَتَاعٌ مَتْرُوكٌ يُوشِكُ أَنْ يَضْمَحِلَّ عَنْ أَهْلِهِ .[٤٨]

وقال تعالى:{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ } [الحشر:٢٠]

لا يستويان طبيعة وحالا،ولا طريقا ولا سلوكا،ولا وجهة ولا مصيرا. فهما على مفرق طريقين لا يلتقيان أبدا في طريق. ولا يلتقيان أبدا في سمة. ولا يلتقيان أبدا في خطة. ولا يلتقيان أبدا في سياسة. ولا يلتقيان أبدا في صف واحد في دنيا ولا آخرة ..

---

[٤٦] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ١٢٢٢)

[٤٧] – [مسند أحمد ط الرسالة ٢٧/ ٢٠٩](١٦٦٤٩) صحيح

[٤٨] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٧٨، بترقيم الشاملة آليا)

«أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفائِزُونَ» .. يثبت مصيرهم ويدع مصير أصحاب النار مسكوتا عنه. معروفا. وكأنه ضائع لا يعنى به التعبير![٤٩]

وقال تعالى:{إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) } [النبأ:٢١ - ٣٠]

وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ العَظِيمِ تَكُونُ جَهَنَّمُ مُعَدَّةً وَمُرْصَدَةً لِلطَّاغِينَ،وَخَزَنَتُهَا يَتَرَقَّبُونَ مَنْ يَسْتَحِقُّهَا بِسُوءِ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا . وَتَكُونُ النَّارُ مُعَدَّةً وَمُرْصَدَةً لِلطُّغَاةِ العَاتِينَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ،وَتَكُونُ مَرْجِعَهُمْ وَمَصِيرَهُمْ .

وَسَيَمْكُثُونَ فِي النَّارِ دُهُوراً مُتَلاَحِقَةً،يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضاً . وَلاَ يَذُوقُ المُجْرِمُونَ فِي جَهَنَّمَ بَرْداً يُبَرِّدُ حَرَّ السَّعِيرِ،وَلاَ شَرَاباً يَرْوِيهِمْ مِنَ العَطَشِ .وَلاَ يَذُوقُونَ فِي النَّارِ إِلاَّ الحَمِيمَ (وَهُوَ المَاءُ المُتَناهِي فِي الحَرَارَةِ)،والغَسَّاقَ (وَهُوَ القَيْحُ والصَّدِيدُ المُنْتِنُ والعَرَقُ الذي يَسِيلُ مِنْ أَجْسَادِ أَهْلِ النَّارِ) . وَهَذَا الذي صَارُوا إِلَيهِ مِنَ العُقُوبَةِ وَالعَذَابِ،هُوَ جَزَاءٌ مُوَافِقٌ لأَعْمَالِهِم المُنْكَرَةِ،التي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا،فَكَأَنَّمَا وَافَقَ العَذَابُ الذَّنْبَ . وَقَدِ ارْتَكَبُوا المُنْكَرَاتِ،وَكَفَرُوا وَأَجْرَمُوا لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ سَيَرْجِعُونَ إِلَى اللهِ،وَأَنَّهُ سَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ .وَكَانُوا يُكَذِّبُونَ تَكْذِيباً شَدِيداً بِجَمِيعِ البَرَاهِينِ،وَالآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِ اللهِ تَعَالَى،وَوَحْدَانِيَّتِهِ،وَعَلَى صِدْقِ النُّبُوَّاتِ،وَعَلَى صِدْقِ مَا جَاءَ فِي القُرْآنِ المُنَزَّلِ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى .وَقَدْ أَحْصَى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ جَمِيعَ أَعْمَالِهِمْ،وَأَثْبَتَهَا المَلاَئِكَةُ المُطَهَّرُونَ الحَفَظَةُ فِي صَحَائِفِ أَعْمَالِ هَؤُلاَءِ كِتَابَةً،وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجْحَدُوا شَيْئاً مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَيُقَالُ لأَهْلِ النَّارِ ذُوقُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ العَذَابِ الأَلِيمِ،فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً مِنْ جِنْسِهِ .[٥٠]

---

[٤٩] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٤٤١١)

[٥٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٥٧٠، بترقيم الشاملة آليا)

وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَد إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ،لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ،فَيَنْظُرُ أَمَامَهُ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ،وَيَنْظُرُ عَنْ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ،وَيَنْظُرُ عَنْ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ،فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ»[٥١]

وعَنِ الْحَسَنِ،قَالَ:عَادَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ،قَالَ مَعْقِلٌ:إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ،إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:«مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً،يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ،إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»[٥٢]

فكر بمصيرك يوم القيامة وجرائمك التي ستلقاها أمامك:

أيها الحاكم انظر إلى نفسك عندما يقال،{ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)} [الإسراء:١٣ - ١٥]

وَالإِنْسَانُ مُلْتَزِمٌ بِعَمَلِهِ،وَمَسْؤُولٌ عَنْهُ . وَهَذا العَمَلُ مُلْتَصِقٌ بِالإِنْسَانِ،وَمُلاَزِمٌ لَهُ مُلاَزَمَةَ القِلاَدَةِ لِلعُنُقِ،لاَ يَنْفَكُّ عَنْهُ بِحَالٍ،وَسَيُؤَاخِذُهُ اللهُ عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ،فَيُخْرِجُ لَهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ صَحِيفَةَ أَعْمَالِهِ كُلِّهَا،لاَ يَغِيبُ عَنْهَا عَمَلٌ صَغِيرٌ وَلاَ كَبِيرٌ،لِيُحَاسَبَ عَلَى هَذِهِ الأَعْمَالِ جَمِيعِهَا .

وَيُقَالُ لِكُلِّ وَاحِد يَوْمَ القِيَامَةِ:إِقْرَأْ كِتَابَكَ الَّذِي يَحْوِي أَعْمَالَكَ كُلَّهَا،صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا،يَكْفِيكَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ المُحَاسِبَ عَلَى نَفْسِكَ،وَقَدْ عَدَلَ مَعَكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيباً عَلَى نَفْسِكَ .

---

[٥١] - [سنن ابن ماجه ١/ ٥٩٠](١٨٤٣) صحيح

[٥٢] - [صحيح مسلم ١/ ١٢٥]٢٢٧ - (١٤٢)

[ش (عاد عبيد الله) أي زاره في مرض موته وكان عبيد الله إذ ذاك أمير البصرة لمعاوية (يسترعيه الله رعية) يعني يفوض إليه رعاية رعية وهي بمعنى المرعية وقوله يموت خبر ما وغش الراعي الرعية تضييعه ما يجب عليه في حقهم]

مَنِ اسْتَقَامَ عَلَى طَرِيقِ الحَقِّ وَاتَّبَعَهُ،وَاتَّبَعَ النُّورَ الذي بُعِثَ به مُحَمَّدُ ﷺ فإِنَّهُ يَكُونُ قَدِ اهْتَدَى،وَتَكُونُ عَاقِبَةُ هُدَاهُ عَلَى نَفْسِه،وَمَنْ ضَلَّ عَنِ الحَقِّ،وَزَاغَ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ،فَإِنَّمَا يَجْنِي عَلَى نَفْسِه،وَيَعُودُ وَبَالُ سَعْيِه عَلَيْهِ هُوَ،وَلاَ يَحْمِلُ أَحَدٌ ذَنْبَ أَحَدٍ،وَلاَ يَجْنِي جَانٍ إِلاَّ عَلَى نَفْسِه .

وَيَقُولُ تَعَالَى:إِنَّهُ لاَ يُعَذِّبُ أَحَداً إِلاَّ بَعْدَ قِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَيْهِ،يَدْعُونَهُ إِلَى الحَقِّ .[٥٣]

وانظر كيف تعرض على ربك {وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)} [الكهف:٤٨،٤٩]

وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَحْشُرُ اللهُ الخَلاَئِقَ،فَيَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَفّاً وَاحِداً،وَيُقَرِّعُ اللهُ تَعَالَى الكُفَّارَ المُنْكِرِينَ لِلْبَعْثِ وَالنُّشُورِ عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ،وَيَقُولُ لَهُمْ:لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ،وَكُنْتُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ هَذا لَنْ يَكُونَ،وَالآنَ اسْتَبَانَ لَكُمْ أَنَّهُ حَقٌّ .

وَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ فَرْدٍ كِتَابُ أَعْمَالِه،وَفِيهِ جَمِيعُ مَا عَمِلَهُ فِي حَيَاتِهِ،مِنْ حَسَنٍ وَقَبِيحٍ،وَمِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ . وَيَرَى المُجْرِمُونَ أَعْمَالَهُمُ القَبِيحَةُ مُحْصَاةً بِتَمَامِهَا،لَمْ يَنْقُصْ مِنْهَا شَيءٌ،وَيَعْلَمُونَ أَنَّ العَذَابَ وَاقِعٌ بِهِمْ،فَيُشْفِقُونَ مِمَّا سَيَحُلُّ بِهِمْ،وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ:يَا وَيْلَتَنَا،وَيَا حَسْرَتَنَا،عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيا،مَا لِهَذا الكِتَابِ لاَ يَتْرُكُ صَغِيراً مِنْ أَعْمَالِنَا وَذُنُوبِنَا،وَلاَ كَبِيراً إِلاَّ أَحْصَاهُ وَوَعَاهُ؟ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ حَاضِراً لِيُحَاسَبُوا عَلَيْهِ،وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً مِنْ خَلْقِه .[٥٤]

تذكر من ظلمت،من قتلت بغير حق،من أكلت ماله،أو انتهكت حرماته،أنت وأزلامك وأتباعك

---

[٥٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٠٤٣، بترقيم الشاملة آليا)

[٥٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢١٨٨، بترقيم الشاملة آليا)

تذكر أيها المفلس الحقيقي،{وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) } [الكهف]

وَأَحَاطَتِ الكَوَارِثُ بِثِمَارِ جَنَّتِهِ الَّتِي يَقُولُ إِنَّهُ لاَ يَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ أَبَداً،وَحَلَّ بِهَا مَا كَانَ يُحَذِّرُهُ مِنْهُ صَاحِبُهُ المُؤْمِنُ،مِنْ دَمَارٍ وَغَوْرِ مَاءٍ { وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ }،فَأَصْبَحَتِ الجَنَّةُ بَلْقَعاً يَبَاباً خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا،فَأَخَذَ يَضْرِبُ كَفّاً بِكَفٍّ أَسَفاً وَنَدَماً وَحُزْناً عَلَى مَا حَلَّ بِهَا،وَعَلَى مَا أَنْفَقَ عَلَيْهَا مِنْ مَالٍ،وَيَقُولُ:يَا لَيْتَنِي ثُبْتُ لِرُشْدِي فَلَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً .

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ جَمَاعَةٌ (فِئَةٌ) مِنْ عَشِيرَةٍ،أَوْ أَهْلٍ،وَوَلَدٍ،مِمَّنْ كَانَ يَفْتَخِرُ بِهِمْ،وَيَعْتَزُّ،يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُ،وَمَنْعَ مَا أَرَادَهُ اللهُ بِهِ . وَبِجَنَّتَيْهِ مِنْ خَرَابٍ وَدَمَارٍ،وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً بِقُوَّتِهِ عَنِ انْتِقَامِ اللهِ مِنْهُ .

وَفِي مِثْلِ هذِهِ الحَالِ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالمِحَنِ،تَكُونُ المُوَالاَةُ،وَتَكُونُ النُّصْرَةُ للهِ وَحْدَهُ . وَفِي الشَّدَائِدِ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى اللهِ تَعَالَى،يُعْلِنُونَ خُضُوعَهُمْ وَاعْتِرَافَهُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ،فَهُوَ خَيْرُ مَنْ أَنَابَ،وَخَيْرُ مَنْ جَازَى . وَالأَعْمَالُ التِي تَكُونُ خَالِصَةً للهِ عَزَّ وَجَلَّ،تَكُونُ عَاقِبَتُهَا خَيْراً وَرَشَداً لِفَاعِلِيهَا .[٥٥]

وهو مشهد شاخص كامل:الثمر كله مدمر كأنما أخذ من كل جانب فلم يسلم منه شيء. والجنة خاوية على عروشها مهشمة محطمة. وصاحبها يقلب كفيه أسفا وحزنا على ماله الضائع وجهده الذاهب. وهو نادم على إشراكه بالله،يعترف الآن بربوبيته ووحدانيته. ومع أنه لم يصرح بكلمة الشرك،إلا أن اعتزازه بقيمة أخرى أرضية غير قيمة الإيمان كان شركا ينكره الآن،ويندم عليه ويستعيذ منه بعد فوات الأوان. هنا يتفرد الله بالولاية والقدرة:فلا قوة إلا قوته،ولا نصر إلا نصره. وثوابه هو خير الثواب،وما يبقى عنده للمرء من خير فهو خير ما يتبقى"[٥٦]

---

[٥٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢١٨٢، بترقيم الشاملة آليا)

[٥٦] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٢٩٦٣)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:«أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا:الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ،فَقَالَ:«إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ،وَصِيَامٍ،وَزَكَاةٍ،وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا،وَقَذَفَ هَذَا،وَأَكَلَ مَالَ هَذَا،وَسَفَكَ دَمَ هَذَا،وَضَرَبَ هَذَا،فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ،وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ،فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ،ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[٥٧]

وعَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا عُثْمَانَ النَّهْدِيَّ،يُحَدِّثُ عَنْ سَلْمَانَ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:«تُرْفَعُ لِلرَّجُلِ صَحِيفَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،حَتَّى يَرَى أَنَّهُ نَاجٍ،فَمَا تَزَالُ مَظَالِمُ بَنِي آدَمَ تَتْبَعُهُ حَتَّى مَا تَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ،وَيُزَادُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ»[٥٨]

وَمَا أَوْعَدَهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي أَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا} [النساء:١٠]،وَفِي أَكْلِ الرِّبَا {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} [البقرة:٢٧٥]،وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَانِعِ الزَّكَاةِ {الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [التوبة:٣٤]،إِلَى قَوْلِهِ {فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ} [التوبة:٣٥]،فَكَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِعُقُوبَاتِ هَذِهِ الْجِنَايَاتِ كَذَلِكَ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺبِعُقُوبَةِ الظَّالِمِ لِلْمُسْلِمِينَ بِأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ،وَضَرْبِ أَبْشَارِهِمْ،وَشَتْمِ أَعْرَاضِهِمْ،أَنَّهُمْ يُعَاقَبُونَ بِالْعُقُوبَاتِ الَّتِي أَوْعَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَعَدَّهَا لِلْخَطَايَا الَّتِي اكْتَسَبَهَا الْمَظْلُومُ،فَعَاقَبَ الظَّالِمَ بِتِلْكَ الْعُقُوبَاتِ فَتَكُونُ تِلْكَ الْعُقُوبَاتُ بِمَا اكْتَسَبَ مِنَ الظُّلْمِ الَّذِي نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ،فَيَكُونُ ذَلِكَ عِقَابًا لِفِعْلِ اكْتَسَبَهُ كَانَ قَدْ نُهِيَ عَنْهُ فَلَمْ يَنْتَهِ،فَعَاقَبَهُ بِتِلْكَ الْعُقُوبَةِ،وَأَحْبَطَ حَسَنَاتِهِ،بِمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يُثِبْ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ ثَوَابَهَا اسْتُحِقَّتْ عَلَيْهِ فَيَكُونُ كَمَنِ اكْتَسَبَ مَالًا فِي الدُّنْيَا فَجَمَعَ مِنْهُ،وَكَانَتْ عَلَيْهِ

---

[٥٧] – [صحيح مسلم ٤/ ١٩٩٧]٥٩ – (٢٥٨١) [ش (إن المفلس من أمتي) معناه أن هذا حقيقة المفلس أما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلسا وليس هو حقيقة المفلس لأن هذا الأمر يزول وينقطع بموته وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه]

[٥٨] – المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٤٥)(٢٢٦٨) صحيح

دُيُونٌ فَأَخَذَ مَا جَمَعَ أَرْبَابُ الدُّيُونِ فَلَمْ يَبْقَ فِي يَدَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ،كَذَلِكَ مَا اكْتَسَبَ هَذَا الظَّالِمُ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَصَدَقَةٍ فَاسْتَحَقَّ ثَوَابَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَكَانَتْ تَحْصُلُ لَهُ ، لَوْلَا مَا جَنَى مِنْ تِلْكَ الْمَظَالِمِ،فَلَمَّا قُوبِلَتْ حَسَنَاتُهُ بِسَيِّئَاتِهِ بِتِلْكَ الْمَظَالِمِ،وَلَوْلَا حَسَنَاتُهُ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَصَدَقَةٍ لَكَانَ يُعَاقَبُ عَلَى مَظَالِمِهِ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلظَّالِمِينَ،فَيَكُونُ هَذِهِ الْحَالُ وَهَذَا الْفِعْلُ مِنَ اللَّهِ بِهِ نَوْعًا مِنَ الْعُقُوبَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلظَّالِمِينَ عَلَى ظُلْمِهِمْ،وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ كَمَا زَعَمَ هَذَا الزَّاعِمُ أَنَّهُ يُعَاقَبُ بِمَا لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الذَّنْبِ بَلْ عُوقِبَ بِذَنْبٍ اكْتَسَبَهُ،وَمَعْصِيَةٍ عَمِلَهَا،وَكَانَ ثَوَابُ حَسَنَاتِ الظَّالِمِ جَزَاءً لِلْمَظْلُومِ فِيمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ،وَثَوَابًا عَلَى صَبْرِهِ عِنْدَمَا ظُلِمَ،كَمَا قَالَ اللَّهُ {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى:٤٣] فَيَكُونُ ذَلِكَ الثَّوَابُ ثَوَابًا عَلَى مَا اكْتَسَبَهُ مِنْ صَبْرِهِ وَفَضْلًا زَادَهُ اللَّهُ مِنْ عِنْدِهِ،فَهَذَا قَدْ أُثِيبَ عَلَى مَا عَمِلَهُ،وَالظَّالِمُ عُوقِبَ عَلَى فِعْلِهِ،وَمَعْنَى أَخْذِ الْحَسَنَاتِ وَطَرْحِ السَّيِّئَاتِ نَوْعٌ مِنَ الْعُقُوبَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلظَّالِمِينَ،فَقَدْ وَزِرَ هَذَا الْوَازِرُ وِزْرَهُ،وَلَا وِزْرَ غَيْرِهِ،وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة:٣٢]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:«لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا»[٥٩]

فَإِذَا جَازَ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْ سِنِينَ إِثْمُ مَنْ عَمِلَ بَعْدَهُ،كَذَلِكَ يَجُوزُ أَنْ يُطْرَحَ سَيِّئَاتُ مَنْ عَمِلَهَا عَلَى مَنْ لَمْ يَعْمَلْهَا،فَابْنُ آدَمَ إِنَّمَا قَتَلَ نَفْسًا وَاحِدَةً وَيُطْرَحُ عَلَيْهِ آثَامُ كُلِّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَذَلِكَ جَزَاءُ فِعْلِهِ،كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ عُقُوبَةَ ابْنِ آدَمَ فِي النَّارِ إِثْمَهُ وَآثَامَ الْقَاتِلِينَ،لَا أَنْ يَكُونَ يُؤَاخَذُ بِذَنْبِ غَيْرِهِ،وَيُعَاقَبُ عَلَى مَعْصِيَةٍ لَمْ يَعْمَلْهَا،كَذَلِكَ الظَّالِمُ جَعَلَ اللَّهُ عُقُوبَتَهُ أَنْ يُعَاقَبَ بِآثَامِ مَنْ ظَلَمَهُ،وَيَكُونُ ذَلِكَ عُقُوبَةً لَهُ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ،وَعَلَى مَا اكْتَسَبَهُ،لَا أَنْ يَكُونَ مُؤَاخَذًا بِذَنْبِ غَيْرِهِ،أَوْ مُعَاقَبًا بِمَا لَمْ يَجْنِهِ،فَحَصَلَ آخِرُ الْأَمْرِ أَنْ يُجَازَى الْمَظْلُومُ عَلَى ظُلْمِهِ ثَوَابَ حَسَنَاتِ ظَالِمِهِ،وَذَلِكَ جَزَاؤُهُ الَّذِي جَازَاهُ اللَّهُ بِهِ،وَعِوَضُ مَا أُخِذَ مِنْهُ أَوْ جُنِيَ عَلَيْهِ،وَثَوَابُ صَبْرِهِ عَلَى مَا

[٥٩] – صحيح البخاري (٩/ ٣)(٦٨٦٧)

أَصَابَهُ،فَقَدْ قَالَ اللَّـهُ تَعَـالَى {إِنَّمَـا يُـوَفَّى الصَّـابِرُونَ أَجْـرَهُمْ بِغَيْـرِ حِسَـابٍ} [الزمر:١٠]،وَيُعَاقَبُ الظَّالِمُ بِذَهَابِ حَسَنَاتِه،وَعُقُوبَةِ مَا جَنَـى الْمَظْلُومُ،وَذَلِـكَ جَـزَاءُ ظُلْمِه،وَعُقُوبَةُ مَا جَنَتْهُ يَدُهُ وَلِسَانُهُ،فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ ظُلْمٌ وَلَا جَوْرٌ،وَلَا الْقَوْلُ بِالْإِحْبَاطِ كَمَا يَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ،فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ بِأَنَّ مَنْ أَتَى كَبِيرَةً وَمَاتَ عَلَيْهَا حَبِطَتْ حَسَنَاتُهُ الَّتِي اكْتَسَبَهَا مُدَّةَ عُمْرِه،وَلَمْ يَنْفَعْهُ إِيمَانُهُ بِاللَّه فِي مُدَّةِ سَبْعِينَ سَنَةً،وَلَا طَاعَتُهُ الَّتِي اكْتَسَبَهَا،بَلْ هُوَ فِـي النَّارِ خَالِدًا مُخَلَّدًا مَعَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ. وَأَمَّا الَّذِي قُلْنَاهُ فَإِنَّ هَذَا الظَّالِمَ لَمْ تَحْـبَطْ أَعْمَالُهُ ، بَلْ أُسْقِطَتْ حَسَنَاتُهُ عِنْدَ عُقُوبَاتٍ كَثِيرَةٍ،أَلَا يَرَى أَنَّهُ اقْتَصَّ مِنْهُ فَوَفَّتْ حَسَـنَاتُهُ بِجِنَايَاتِه،أَوْ نَقَصَتْ جِنَايَاتُهُ وَزَادَتْ حَسَنَاتُهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ،وَإِنْ زَادَتْ جِنَايَاتُهُ فَإِنَّمَا يُعَاقَـبُ فِي النَّارِ بِقَدْرِ مَا زَادَ مِنْ جِنَايَتِه فَيَكُونُ عُقُوبَتُهُ أَخَفَّ،وَمُدَّةُ لُبْثِه فِي النَّارِ أَقَلَّ،وَلَوْلَا حَسَنَاتُهُ لَطَالَ لُبْثُهُ فِي النَّارِ،وَاشْتَدَّتْ عُقُوبَتُهُ فِيهَا {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَـكُ حَسَـنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء:٤٠][٦٠]

[٦٠] – بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي (ص: ٣٨٥)

المبحث الثاني
الأحكام الشرعية لفراعنة الدول العربية

أيها الأحبة الكرام:

هؤلاء الفراعنة الذين يجثمون على صدور هذه الأمة لا يمثلون الأمة بحال،ولا تجوز طاعتهم،ولا بيتعهم،ويجب الخروج عليهم ...لكي تتخلص الأمة من رجسهم ....

وقد تكلمنا عن هذا الموضوع بمقالات كثيرة،وغالبها في كتابي"الأحكام الشرعية للثورات العربية "

وقد قتل أحد هؤلاء الفراعنة وهو الطاغية القذافي فما هي الأحكام الشرعية المتعلقة به ؟

أقول وبالله التوفيق:

أولا– كان القذافي مرتدا زنديقا حلال الدم

فقد أنكر السنة النبوية،وأنكر بعض كلام الله تعالى،وألف كتابا خليطا من الحق والباطل والهلوسات وهو الكتاب الأخضر الذي يغني عن رسالات السماء على حد زعمه ...،وكان يبطش بالأخيار الأبرار،ويدك بهم بالسجون الجهنمية،وينكل بهم،وكان يحكم بغير ما أنزل الله،ويوالي أعداء الله ورسوله،وينهب خيرات الأمة ويبددها في غير ما خلقت له ....فقد طغى في البلاد وأكثر فيها الفساد،فاستحق أن يصب عليه الله سوط عذاب ....

ثانيا– كانت آخر أيامه أسوأ من أولها

وكلها سوء فقد قتل وشرد الآلاف،فلم يكن في قلبه أي نوع من الرحمة والشفقة على الشعب الليبي لأنه في الأصل ابن حرام أمه يهودية وأبوه نصراني راهب زنى بأمه وهي تخدم في دير بليبيا ....

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:«مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»[٦١]

---

[٦١] – الأدب المفرد مخرجا (ص: ٤٧)(٩٥) صحيح

ثالثا– هذا الطاغية الصنم مات على غير ملة الإسلام

فهو بالأصل غير مسلم ومحارب لله ولرسوله ..

وقد كانت نهايته في أسوأ وأوسخ مكان تبعاً لأصله ...

رابعا– لا يجوز الترحم عليه أبدا

بل ينبغي لعنه كما لعن الطغاة والفراعنة من قبل،قال تعالى:{وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) **وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ** (٦٠)} [هود:٥٩،٦٠]

وَكَانَ ذلِكَ مَصِيرَ قَوْمِ عَادٍ الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ،وَأَنْكَرُوا آيَاتِه،وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ (لأَنَّ مَنْ كَذَّبَ رَسُولاً فَقَدْ كَذَّبَ الرُّسُلَ جَمِيعاً) . وَاتَّبَعَ الدَّهْمَاءُ مِنْهُمْ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ،وَقَادَتِهِم الطُّغَاةِ،الذِينَ يَأْبَوْنَ الحَقَّ،وَلا يُذْعِنُونَ لَهُ وَإِنْ قَامَ عَلَيهِ الدَّلِيلُ .وَبِسَبَبِ كُفْرِهِمْ هَذا وَعُتُوِّهِمْ،اسْتَحَقُّوا مِنَ اللهِ،وَالمَلاَئِكَةِ،وَالنَّاسِ،لَعْنَةً فِي الدُّنْيا كُلَّمَا ذُكِرُوا،وَتَتْبَعُهُمُ اللَّعْنَةُ يَوْمَ القِيَامَةِ حِينَمَا يُنَادى عَلَيْهِ عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ:أَلاَ إِنَّ عَاداً كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَلا بُعْداً لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ .[٦٢]

وقال تعالى:{ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ (٤١) **وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ** (٤٢)} [القصص]

خامساً– لا يجوز الاستغفار له ولا الترحم عليه

---

[٦٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٥٣٣، بترقيم الشاملة آليا)

كما لا يجوز الاستغفار ولا الترحم على المنافقين،قال تعالى:{ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥) } [التوبة]

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،أَنَّهُ قَالَ:لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ،دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺلِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ،فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺوَثَبْتُ إِلَيْهِ،فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أُبَيٍّ وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا:كَذَا وَكَذَا؟ أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ،فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺوَقَالَ:«أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ» فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ،قَالَ:«إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ،لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا» قَالَ:فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺثُمَّ انْصَرَفَ،فَلَمْ يَمْكُثْ إِلَّا يَسِيرًا،حَتَّى نَزَلَتِ الآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةٌ:{وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا} [التوبة:٨٤] إِلَى قَوْلِهِ {وَهُمْ فَاسِقُونَ} [التوبة:٨٤] قَالَ:فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺيَوْمَئِذٍ،وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ"[٦٣]

وعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:قَالَ عُمَرُ:وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاثٍ،قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى؟ فَنَزَلَتْ:{وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة:١٢٥]،وَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنَّ نِسَاءَكَ يَدْخُلُ عَلَيْهِنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ،فَلَوْ أَمَرْتَهُنَّ أَنْ يَحْتَجِبْنَ؟ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ،وَاجْتَمَعَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺنِسَاؤُهُ فِي الْغَيْرَةِ،فَقُلْتُ لَهُنَّ:{عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكُنَّ} [التحريم:٥]،قَالَ:فَنَزَلَتْ كَذَلِكَ .[٦٤]

وقال ابن كثير:"أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺأَنْ يبرأ من المنافقين وأن لا يصلي على أحد منهم إذا مات،وأن لا يَقُومَ عَلَى قَبْرِهِ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُ أَوْ يَدْعُوَ لَهُ لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا عَلَيْهِ وَهَذَا حُكْمٌ عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ عُرِفَ نِفَاقُهُ،وَإِنْ كَانَ سَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ....وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺبَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَيْهِ لَا يُصَلِّي عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَلَا يَقُومُ عَلَى قَبْرِهِ"[٦٥]

---

[٦٣] – صحيح البخاري (٢/ ٩٧)(١٣٦٦)

[٦٤] – مسند أحمد ط الرسالة (١/ ٢٩٧)(١٥٧) صحيح

[٦٥] – تفسير ابن كثير ط العلمية (٤/ ١٦٩)

وقال تعالى:{ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥)} [التوبة:١١٣ - ١١٥]

وقال الطبري:"يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ:وَلَا تُصَلِّ يَا مُحَمَّدُ عَلَى أَحَدٍ مَاتَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْخُرُوجِ مَعَكَ أَبَدًا. {وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} [التوبة:٨٤] يَقُولُ:وَلَا تَتَوَلَّ دَفْنَهُ وَتُقْبِرْهُ،مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ:قَامَ فُلَانٌ بِأَمْرِ فُلَانٍ:إِذَا كَفَاهُ أَمْرَهُ. {إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ} [التوبة:٨٤] يَقُولُ إِنَّهُمْ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللَّهِ وَرِسَالَةَ رَسُولِهِ،وَمَاتُوا وَهُمْ خَارِجُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُفَارِقُونَ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ. "[٦٦]

سادساً- وفي فتاوى الشبكة الإسلامية:"لا تجوز الصلاة على الكافر بإجماع أهل العلم،ففي المهذب في الفقه الشافعي:وإن مات كافر لم يصل عليه لقول الله تعالى:وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ. ولأن الصلاة لطلب المغفرة،والكافر لا يغفر له فلا معنى للصلاة عليه. انتهى.

وقال الإمام النووي في المجموع:وأجمعوا على تحريم الصلاة على الكافر. انتهى.

وقال ابن العربي في أحكام القرآن:قوله تعالى:وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم.. الآية:نص في الامتناع من الصلاة على الكفار. انتهى.والله أعلم." [٦٧]

وفي فتاوى واستشارات الإسلام اليوم:"وإنما تحرم الصلاة على الكفار والمشركين،كما قال تعالى:"مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى" [التوبة:١١٣]،وكذلك من علم نفاقه لا تجوز الصلاة عليه،لأنه سبحانه نهى نبيه أن يصلي

---

[٦٦] - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١١/ ٦١٠)

[٦٧] - فتاوى الشبكة الإسلامية (١١/ ١٢٥٧١)تحريم الصلاة على الكافر

على المنافقين فقال:"وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ"[التوبة:٨٤] "فتاوى واستشارات الإسلام اليوم (١٥/ ٩٤)

سابعاً- وفي موسوعة الفقه الإسلامي:" حكم الصلاة على الكفار والمنافقين:

١ - الكافر إذا مات لا يغسل ولا يكفن،ولا تجوز الصلاة عليه،ولا الاستغفار له،ولا الترحم عليه،ولا دفنه في مقابر المسلمين؛ لأنه مات على الكفر الموجب للخلود في النار.

قال الله تعالى:{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣)} [التوبة:١١٣].

٢ - يشرع لأقارب الميت الكافر وأهله أن يواروه بالتراب إذا لم يوجد من يواريه.

٣ - يصلي المسلمون على كل ميت منهم،ومن علم بنفاق أحد فلا يصلي عليه.قال الله تعالى:{وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤)} [التوبة:٨٤].[٦٨]

ثامنا- يجب أن يعلم الطغاة جميعاً أنهم بشر وليسوا آلهة

وأنهم سوف يموتون رغما عن أنوفهم،قال تعالى:{ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجمعة:٨]

وقال تعالى:{وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)} [العنكبوت]

تاسعا- هؤلاء ومن اتبعهم إلى جهنم وبئس المهاد

---

[٦٨] - موسوعة الفقه الإسلامي (٢/ ٧٦٧)

قال تعالى:{وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) } [غافر:٤٥،٤٦]

وقال تعالى:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩)} [هود]

عاشرا –الطواغيت في هذه الحياة كثيرون

ولكن رءوسهم خمسة،كما ذكر ذلك العلامة ابن القيم وغيره.

الأول:إبليس لعنه الله فإنه رأس الطواغيت وهو الذي يدعو إلى الضلال والكفر والإلحاد،ويدعو إلى النار فهو رأس الطواغيت. قال –تعالى–:(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)[(٣٦) سورة النحل].

والثاني:من عبد من دون الله وهو راض بذلك،فإن من رضي أن يعبده الناس من دون الله،فإنه يكون طاغوتًا كما قال –تعالى–:(قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)[(٦٠) سورة المائدة].

فالذي يعبد من دون الله،وهو راض بذلك هذا طاغوت،أما إذا لم يرض بذلك فليس كذلك.

والثالث:من ادعى شيئًا من علم الغيب،فمن ادعى أنه يعلم الغيب فهو طاغوت؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله –سبحانه وتعالى–،قال –تعالى–:({ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ } [النمل:٦٥].

فالذي يدعي أنه يعلم الغيب هذا يجعل نفسه شريكًا لله –عز وجل– في علم الغيب فهو طاغوت.

والرابع:من دعا الناس إلى عبادة نفسه،فالذي يدعو الناس إلى أن يعبدوه،ويريد أن يكون إلهًا ولو لم يقل إنه إله،لكن إذا دعا الناس إلى أن يتقربوا إليه بالعبادة ويزعم أنه يشفي مرضاهم،وأنه يقضي حوائجهم التي لا يقدر عليها إلا الله -عز وجل- وأنه يقدر أن يضرهم بما لا يقدر،قال -تعالى-:(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا)[(٥١) سورة النساء].

" وَحَكَى الْقَفَّالُ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ الْجِبْتَ أَصْلُهُ جِبْسٌ،فَأُبْدِلَتِ السِّينُ تَاءً،وَالْجِبْسُ هُوَ الْخَبِيثُ الرَّدِيءُ،وَأَمَّا الطَّاغُوتُ فَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الطُّغْيَانِ،وَهُوَ الْإِسْرَافُ فِي الْمَعْصِيَةِ،فَكُلُّ مَنْ دَعَا إِلَى الْمَعَاصِي الْكِبَارِ لَزِمَهُ هَذَا الِاسْمُ"[٦٩]

والخامس:من حكم بغير ما أنزل الله -عز وجل- ؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- يقول:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١)} [النساء:٦٠،٦١]،فالذي يحكم بغير ما أنزل الله،وهو يرى أن حكمه بغير ما أنزل الله أصلح للناس،وأنفع للناس،أوأنه مساو لما أنزل الله،أوأنه مخير بين أن يحكم بما أنزل الله،أو يحكم بغيره،أو أن الحكم بغير ما أنزل الله جائز،فهذا يعتبر طاغوتًا وهو كافر بالله -عز وجل-.

والمؤمن مطالب بمحاربة الطاغوت واجتناب كل ما يؤدي إلى عبادته أو الوقوع في شركه (بفتح الشين أو بكسرها)،قال -تعالى-:{ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)} [الزمر:١٧،١٨]. "[٧٠]

---

[٦٩] - تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٠/ ١٠١)

[٧٠] - وانظر :إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٢٤٣)

الحادي عشر – الجهات التي تشترك في صناعة الطاغوت:

وإذا كانت الطاغوتية لها رؤوس خمسة كما أسلفنا،فإن هناك نوع من الطاغوتية في الحكم والسياسة حذر الدين الحنيف منها،وهي موضوعنا في هذه السطور،وهذه الطاغوتية صناعة يصنعها البشر ووسيلة يتخذونها لاستعباد الناس واسترقاقهم بعد أن جاء الإسلام لتحرير الإنسان من الرق والعبودية،ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد،وهناك جهات أربع تشترك في صناعة الطاغوت وهي:

١– نفسه الأمارة بالسوء:

أول من يصنع الحاكم الطاغوتي نفسه الأمارة بالسوء،والتي تجعله يسير وراء هواه ويتخذه إلها ومعبودا،قال – تعالى –:(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)[(٢٣) سورة الجاثية].

فيزل الحاكم على حكم العاطفة من غير تحكيم العقل أو الرجوع إلى شرع أو تقدير لعاقبة،فإذا ما تحدث تحدث عن هوى،وإذا ما قاتل قاتل عن عصبية ومصلحة،قال – تعالى –:(الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)[(٧٦) سورة النساء].

فهو في حكمه يرى نفسه أعقل الناس وأذكاهم وأرجحهم رأيا وأوفرهم عقلا،فلا يصلح للحكم غيره،فهو المعصوم الذي لا يخطئ والمصان الذي لا يهان،وعلى الناس أن لا ترى إلا بعينه ولا تسمع إلا بأذنه،كما قال فرعون لقومه:(قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)[(٢٩) سورة غافر].

بل يرى نفسه أفضل من أبي بكر الذي حينما تولى الخلافة خطب في الناس قائلا:"أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ فَإِنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي،وَإِنْ أَسَأْت فَقَوّمُونِي،الصّدْقُ أَمَانَةٌ وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ وَالضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ إنْ شَاءَ اللّهُ وَالْقَوِيّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الْحَقّ مِنْهُ إنْ شَاءَ اللّهُ لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ إلّا ضَرَبَهُمْ اللّهُ بِالذّلّ وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطّ إلّا عَمّهُمْ اللّهُ

بِالْبَلَاءِ أَطِيعُونِي مَا أَطَعْت اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِذَا عَصَيْت اللّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِـي عَلَـيْكُمْ. قُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمْكُمْ اللّهُ.[٧١]

وأفضل من عمر –رضي الله عنه– الذي وهو على المنبر يخضع لأمر الله –تعالى–،ويقـول للمسلمين أمامه: أيها الناس من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومه،فقام له رجل وقـال:والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا،فقال عمر:الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة مـن يقوم اعوجاج عمر بسيفه."[٧٢]

وأوفى عقلا من عمر بن عبد العزيز الذي قال عنه شَيْبَةُ بْنُ مُسَاوِرٍ:أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ،خَطَبَ فَقَالَ:«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ نَبِيًّا،وَلَمْ يُنْزِلْ بَعْدَ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا،فَمَا أَحَلَّ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَلَالٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،وَمَا حَرَّمَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،أَلَا وَإِنِّي لَسْتُ بِقَاضٍّ،وَلَكِنِّي مُنَفِّذٌ،وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ،وَلَكِنِّي مُتَّبِعٌ،وَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْكُمْ،غَيْرَ أَنِّي أَثْقَلُكُمْ حِمْلًا،أَلَا وَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَـدٍ مِـنْ خَلْقِ اللَّهِ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ،أَلَا هَلْ أَسْمَعْتُ؟؟»[٧٣]

وهذا ما يصوره له خياله المريض فيظن أنه الزعيم الملهم والقائد الموحى إليه،فيصاب بعـد ذلك بمرض جنون العظمة،الذي يحوله من حاكم إلى طاغوت،فيتكبر ويتجبر ويتعالى على الحق.

٢– بطانة السوء الفاسدة:

الصانع الثاني للحاكم الطاغوتي:بطانة السوء الفاسدة التي تزين له الشر،وتقلب له الحـق باطلا والباطل حقا،ولقد نهانا الله –تعالى– عن موالاة بطانة السوء،قال – تعالى –:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنـتُمْ تَعْقِلُـونَ)[(١١٨) سورة آل عمران].

---

[٧١] – السهيلي: الروض الأنف ٤/٤٥٠.والسيرة النبوية لابن كثير (٤/ ٤٩٣) وسيرة ابن هشام ت السـقا (٢/ ٦٦١) صحيح لغيره

[٧٢] – أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١/ ١٤٢)

[٧٣] – سنن الدارمي (١/ ٤٠٢)(٤٤٧) صحيح

وأن نوالي من هم أولياء الطاغوت،قتال – سبحانه –:(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[(٢٥٧) سورة البقرة].

فمن سخط الله على الحاكم أن يجعل له بطانة فاسدة لا تأمره إلا بالشر والسوء،عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:"مَا اسْتُخْلِفَ خَلِيفَةٌ إِلَّا لَهُ بِطَانَتَانِ:بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالخَيْرِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ،وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ،وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ "[٧٤]

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ،إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ،وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ،وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ،إِنْ نَسِيَ لَمْ يَذْكُرْهُ،وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ»[٧٥]

فبطانة الشر يستخفها الحاكم ولا يقرب غيرها،لأنها هي التي تواليه وتحابيه،قال –تعالى– عن قوم فرعون:{ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ } [الزخرف:٥٤].

واستخفاف الطغاة للجماهير أمر لا غرابة فيه فهم يعزلون الجماهير أولا عن كل سبل المعرفة،ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها،ولا يعودوا يبحثون عنها ويلقون في روعهم ما يشاءون من المؤثرات حتى تنطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة. ومن ثم يسهل استخفافهم بعد ذلك،ويلين قيادهم،فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشمال مطمئنين! ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلا وهم فاسقون لا يستقيمون على طريق،ولا يمسكون بحبل الله،ولا يزنون بميزان الإيمان. فأما المؤمنون فيصعب خداعهم واستخفافهم واللعب بهم كالريشة في مهب الريح. ومن هنا يعلل القرآن استجابة الجماهير لفرعون فيقول:«فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ. إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ»[٧٦]

---

[٧٤] – صحيح البخاري (٨/ ١٢٥)(٦٦١١)

[ش (خليفة) هو من يقوم مقام الذاهب ويسد مسده من الحكام والأمراء والقضاة والولاة. (بطانتان) مثنى بطانة وبطانة الرجل خاصته وأهل مشورته في الأمور. (تحضه) تحثه على فعله وتؤكد عليه فيه. (المعصوم) المحفوظ من شر بطانة السوء والوقوع فيما يجر إلى الهلاك]

[٧٥] – صحيح ابن حبان – مخرجا (١٠/ ٣٤٥)(٤٤٩٤) صحيح

[٧٦] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – (ص: ٤٠٠٣)

٣- علماء السلطة المنافقون:

وهناك علماء السلطة المنافقون الذين يضفون نوعاً من الشرعية الدينية على الحاكم الطاغوتي المستبد،فيحلون له الحرام ويحرمون له الحلال،قال - تعالى -:{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٦٠) } [يونس].

بل ويساعدونه على التسلط والاستبداد بفتواهم التي لا يرعون فيها ذمة،ولا يصونون بها علماً،مما يجعل الحاكم يستمد منهم وجوده وشرعيته،فينسون النصح له،فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:«الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا:لِمَنْ؟ قَالَ:«لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».[٧٧]

ولا يرون مقاومة ظلمه وجبروته،ويطوعون النصوص الدينية لخدمته فيلون أعناقها ويؤلونها حسب ما يراه ويعتقده،فيدعون أن طاعة الحاكم وإن كان طاغوتياً ظالما واجبة ولا يجوز الخروج عليه،لقول الله -تعالى-:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا))[(٥٩) سورة النساء].

ولا يذكرون اتفاق المفسرين على أن طاعة الله مطلقة وطاعة رسوله مطلقة،ولكن طاعة ولي الأمر مقيدة بالمعروف،ولذا لم تكرر الآية لفظ «وأطيعوا» عند ذكر أولى الأمر.

وعَنْ عَلِيٍّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:"لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ "[٧٨]

وقول الله -تعالى-:{وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) } [الشعراء].وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ،أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ»[٧٩]

---

[٧٧] - صحيح مسلم (١/ ٧٤)٩٥ - (٥٥)

[٧٨] - مسند أحمد ط الرسالة (٢/ ٣٣٣)(١٠٩٥) صحيح

[٧٩] - سنن أبي داود (٤/ ١٢٤)(٤٣٤٤) صحيح لغيره

وعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ،أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺوَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ،أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:«كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»[٨٠]

فكم من علماء ديـن أفسـدوا الحـاكم بفتـاويهم وأنـاموا الشـعوب وخـذلوهم بتأويلاتهم،ونشروا اليأس بين الناس في التغيير والإصلاح بكلامهـم.عَـنْ عِمْـرَانَ بْـنِ حُصَيْنٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:"إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مُنَافِقٌ عَلِيمُ اللِّسَانِ "[٨١]

وعَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ،قَالَ:قَـالَ لِـي عُمَـرُ:«هَـلْ تَعْـرِفُ مَـا يَهْـدِمُ الْإِسْـلَامَ؟» قَالَ:قُلْتُ:لَا،قَالَ:«يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ،وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ وَحُكْمُ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ»[٨٢]

وعن أَبِي تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيِّ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ،يَقُولُ:كُنْتُ مُخَاصِرَ النَّبِـيِّ ﷺيَوْمًـا إِلَـى مَنْزِلِهِ،فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:"غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِي مِـنَ الـدَّجَّالِ"فَلَمَّـا خَشِـيتُ أَنْ يَدْخُلَ،قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،أَيُّ شَيْءٍ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِكَ مِنَ الدَّجَّالِ؟ قَالَ:"الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ "[٨٣]

٤- الشعوب المستكينة المستسلمة:

شتان شتان بين حاكم يحبه شعبه ويرون فيه القدوة والمثل،وبين حاكم يرى فيـه شـعبه السوط الذي يجلد ظهورهم كل يوم،عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ:«خِيَـارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ،وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ،وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ،وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»[٨٤]

قال الشاعر:

فإذا أحبَّ اللهُ باطنُ عبده *** ظهرتْ عليه مواهبُ الفتاحِ
وإذا صفتْ للهِ نيةُ مصلحٍ *** مالَ العبادُ عليـهِ بالأرواحِ

وقال الشاعر:

لهفي على العرب أعلاما ممزقة *** وراءها كل طبّال وزمّار

---

[٨٠] – السنن الكبرى للنسائي (٧/ ١٩٣)(٧٧٨٦) صحيح

[٨١] – شعب الإيمان (٣/ ٢٧٢)(١٦٣٩) صحيح

[٨٢] – سنن الدارمي (١/ ٢٩٥)(٢٢٠) صحيح

[٨٣] – مسند أحمد ط الرسالة (٣٥/ ٢٢٣)(٢١٢٩٧) صحيح لغيره

[٨٤] – صحيح مسلم (٣/ ١٤٨١)٦٥ - (١٨٥٥)

تقسّمتنا شعارات يروّجها *** في شعبنا كل طاغوت وغدّار
وصوّروه عدوا متّهما *** وسلّطوا كل هتّاف و ثرثار
إن الشعوب إذا ضلّت حقيقتها *** أمسى بها العبد نخّاسا لأحرار
والجيش من دون إيمان ومعتقد *** ظأن يساق إلى حانوت جزّار

فهذا الحاكم المستبد يجعل الشعوب تستبد معه،وتواليه في استبداده بدل أن تكون هي المعين على إصلاحه وتقويمه،فتكون من أدوات صنع الطواغيت طواعية أو كرهاً،وكان الواجب عليها أن تقاوم الظلم وتجابه الفساد،وتعمل على إزالة الطغيان والاستبداد." [٨٥]

الثاني عشر – بشار ومعمر وموقعة «ذات المجاري»

حمد الماجد

الاثنين ٢٧ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ ٢٤ اكتوبر ٢٠١١ العدد ١٢٠١٨

لن أضع سكيني مع السكاكين التي تكاثرت على جسد قذافي ليبيا بعد سقوطه،فيكفيه الصفعات واللكمات والجرجرة والمرمطة والسباب والشتائم واللعنات التي كالها له الثوار قبل إعدامه ثأرا لأربعين سنة من الذل والإهانة والكبت والاستبداد والنهب والترويع والقهر لشعب عربي حر،الذي يهمنا هنا عدد من الدروس وهي تعني «الجميع»،لكنها تتوجه لبشار سوريا وصالح اليمن بالدرجة الأولى،أهمها أن الشعوب المقهورة المكلومة المظلومة أطول نفسا من النظم الظالمة،فالشعب الليبي قدم نحو خمسين ألف شهيد،وكان مستعدا لتقديم أضعافها ثمنا زهيدا في سبيل تخليص الشعب الليبي من هذا الطاغوت الأخرق،الشعوب لديها دافعية أقوى لأنها تريد أن تفك قيد الظلم والطغيان،وأما الأنظمة فليس لديها سوى دافعية البقاء في السلطة التي تشبه دافعية زعماء العصابات والميليشيات المجرمة.

كان بشار وصالح يراهنان على أنهما سيكسبان لعبة «عض الأصابع» ظنا منهما أن مبارك وبن علي استعجلا في التنحي،وأن المفروض على مبارك الأخذ بالنصيحة الشهيرة «دول

---

[٨٥] -http://www.saaid.net/Doat/hamesabadr/٢٣٧.htm.

شوية عيال» يقصدون بها مظاهرات ميدان التحرير،ولهذا قاوم القذافي وبشار وصالح بشراسة كي يفك شعوبهم أسنانهم في لعبة العض،فجاء السقوط المدوي للقذافي،الذي فتح أسنانه مع شدة عض أسنان شعبه،كوقع الصاعقة على الرئيسين السوري واليمني،لأن انتصار شعب ليبيا يعتبر هذه المرة الأول من نوعه في ثورات الربيع العربي؛ إذ إن الثورتين المصرية والتونسية كانتا سلميتين،فكان الرهان على فشل الثورة المسلحة للشعب الليبي قويا كي يكون أحد حلول قمع الثورتين،إلا أن موقعة «ذات المجاري» أثبتت سقوط هذا الرهان كما سقط القذافي في تلك الموقعة وداخل تلك المجاري.

تخيلوا لو أن نظام القذافي استطاع إخماد ثورة شعبه،بالتأكيد سيكون تأثير الهزيمة كارثيا على الشعبين السوري واليمني؛ إذ إنها ستكون حافزا لتكرارها في هذين البلدين،ولهذا كان الوجوم والترقب والخوف الدفين سيد الموقفين في دمشق وصنعاء عندما وصلتهما أخبار هزيمة القذافي وقتله بهذه الصورة المذلة،وبانتهاء معركة ذات المجاري أوصدت الأبواب أمام النظامين السوري واليمني للتعويل على الحل العسكري،ولا مفر الآن إلا بتقديم إصلاحات حقيقية وجذرية وإلا فمجاري الصرف الصحي أحسن ما يمكن أن تقدمه لهما تجربة القذافي،فربما أفلحت معهما في النفاذ بجلديهما،لقد التقط الشعبان السوري واليمني إشارة مصرع القذافي فارتفعت آمالهما بنهاية آلامهما،والتقطها النظامان فأدركا نهاية آمالهما وبداية آلامهما.

وحتى بقية الدول العربية الوادعة الآمنة يجب أن لا تنظر إلى سقوط القذافي المرعب على أنه لا يعنيها،فالشعوب،أحببنا أم كرهنا،صارت تلهم بعضها بعضا،ولا أدل على ذلك من الصين التي حاولت حجب أخبار الثورات العربية عن شعبها،وهي النائية عن عالمنا العربي دينا ولغة وجغرافية وثقافة،فالشعوب العربية أولى بالتأثر خاصة أن التواصل بينها أمسى بنقرة زر على لوحة المفاتيح،إذن،الجزم بالبعد عن تأثير هذا الحراك على الشعوب العربية نوع من المقامرة عالية الخطورة،الثورات طوفان،وعلى بقية الدول العربية أن تحمي كياناتها بإصلاحات جوهرية ومحاربة للفساد والالتفات بصورة جادة لمطالب الشباب.

وأخيرا أود أن أشير إلى أن مسلسل سقوط الأنظمة العربية كان متنوعا؛ في مصر وتـــونس سقط الرئيس قبل سقوط النظام،وفي ليبيا سقط النظام قبل سقوط الـــرئيس،وفي ســـوريا واليمن كل المعطيات تدل على سقوط النظام والرئيس في آن واحد.[٨٦]

الثالث عشر – قصيدة الشيخ في هلاك القذافي .. يا طغاة العرب اعتبـــــروا

علامَ تعجُّبٌ منكمْ علاما ؟! **

أليـــسَ الله ينتقـــمُ إنتقاما
أليسَ الله فوقهـــمُ جميعـــاً **
يُعزُّ نواصيـــاً،ويذلُّ هاما
ويُسقطُ إن أرادَ برأسِ مُلْكٍ **
فيسكنُـــهُ إذا شاءَ الرِّجَاما*
ويخسف بالطغاة إلى حضيضٍ **
بما ظلموا،وما اجترموا اجتراما
يديلُ الدهرَ مُلْكاً بعد ملكٍ **
ويُعطي،أو يحرِّمها حَرَاما
بكفٍّ يقبضُ الأرضينَ طرَّا **
وبالأخرى سماوات ترامى
وأنفاس البريـــــة في نظامٍ **
يسيـــرُّهُ فينتظُـــمُ الأناما
بقدرتِهِ نظـــامُ الكوْنِ يمضي **
إلـــى أجَـــلٍ يَتمُّ به تماما
إلـــى أجلٍ يقيمُ بِهِ حِسابا **
ويكشف عن خطايانا اللِّثاما

---

[٨٦] - http://www.aawsat.com/leader.asp?sec...&issueno=١٢٠١٨

فيغفرُ أو يعذِّبُ في جَحيمٍ **
ويقطعُ ذلكَ اليومَ الخِصاما
فسبحانَ الذي يُحيِّي ويُفْني **
يردُّ الحيَّ في رَمْسٍ عِظاما
فلا ملكٌ على الأزمان باقٍ **
على حالٍ ولا السلطان داما
يحيلُ الملكَ ذُلاًّ بعدَ عـــزٍّ **
إذا السُّلطان عن عدْلٍ تعامى
ويرفع عادلاً بملوكِ عـــدْلٍ **
لمجدهُمُ،ويجعلها الختامـــا

حامد بن عبدالله العلي[٨٧]

الرِّجَاما- القبـــور

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[٨٧] - http://www.h-alali.org/q_open.php?id=cab٧da٨٤fb-٥-e١١e-٠-٨١e٠--٨a١d٠d٠fbc٨b

المبحث الثالث

مقتل القذافي دروس وعبر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله الطيبين الطاهرين،السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كل منا قد علم بمقتل الرئيس الليبي معمر القذافي -عليه من الله ما يستحق- ولي مع هذا الحدث والأحداث الحالية والسابقة التي تمر علينا من نزع الملك من بعض الرؤساء والحكام بعض الوقفات التي لابد للمؤمن أن يتدبرها ويستفيد منها ويتعظ بها.

١- عظمة الله جل في علاه:

عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ،أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:"يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى،ثُمَّ يَقُولُ:أَنَا الْمَلِكُ،أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ،ثُمَّ يَقُولُ:أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ "[٨٨]

نعم فيُعلم أنه لا ملك ولا جبار ولا متكبر ولا قوي ولا عظيم إلا الله قال عز من قائل:{ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) } [الحشر:٢٢ - ٢٤].

وذكر ابنُ بطوطة الرحالة المسلم المغربي الشهير أنه مر على مقبرة دُفن فيها ألفُ ملكٍ عليها لوحةٌ مكتوبٌ فيها:

وسلاطينُهم سلِ الطين عنهمُ *** والرؤوسُ العظامُ صارتْ عظامًا

٢- نزع الملك:

---

[٨٨] - صحيح مسلم (٤/ ٢١٤٨)٢٤ - (٢٧٨٨)

يقول الله تعالى:{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [آل عمران:٢٦].

إنها الحقيقة الناشئة من حقيقة الألوهية الواحدة .. إله واحد فهو المالك الواحد .. هو «مال الملك» بلا شريك .. ثم هو من جانبه يملك من يشاء ما يشاء من ملكه. يملكه إياه تمليك العارية يستردها صاحبها ممن يشاء عندما يشاء. فليس لأحد ملكية أصيلة يتصرف فيها على هواه. إنما هي ملكية معارة له خاضعة لشروط المملك الأصلي وتعليماته فإذا تصرف المستعير فيها تصرفا مخالفا لشرط المالك وقع هذا التصرف باطلا. وتحتم على المؤمنين رده في الدنيا. أما في الآخرة فهو محاسب على باطله ومخالفته لشرط المملك صاحب الملك الأصيل ..

وكذلك هو يعز من يشاء ويذل من يشاء بلا معقب على حكمه،وبلا مجير عليه،وبلا راد لقضائه،فهو صاحب الأمر كله بما أنه – سبحانه – هو الله .. وما يجوز أن يتولى هذا الاختصاص أحد من دون الله.

وفي قوامة الله هذه الخير كل الخير .. فهو يتولاها سبحانه بالقسط والعدل. يؤتي الملك من يشاء ويترع الملك ممن يشاء بالقسط والعدل. ويعز من يشاء ويذل من يشاء بالقسط والعدل. فهو الخير الحقيقي في جميع الحالات وهي المشيئة المطلقة والقدرة المطلقة على تحقيق هذا الخير في كل حال:«بِيَدِكَ الْخَيْرُ» .. «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ..[٨٩]

فكم من الملوك والرؤساء من نزع الملك منه نزعًا. فبعد العز والمنعة والرفعة رأينا البعض يشنق والآخر يطرد خائفًا ذليلا وآخر يسجن ويحاكم على سرير المرض وآخر يحرق وجهه وصدره من أثر قنبلة وآخر يقاطع ويضيق عليه فلا يجد مخرجًا إلا قتل شعبه وآخر يطارد ويحاصر ويقتل وهو مختبئ ذليل.

قال الله عز وجل:{يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } [غافر:١٦].

---

[٨٩] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ –(ص: ٦٤٩)

والله لا يخفى عليه منهم شيء في كل وقت وفي كل حال. ولكنهم في غير هذا اليوم قد يحسبون أنهم مستورون،وأن أعمالهم وحركاتهم خافية،أما اليوم فيحسون أنهم مكشوفون،ويعلمون أنهم مفضوحون ويقفون عارين من كل ساتر حتى ستار الأوهام!

ويومئذ يتضاءل المتكبرون،ويتروي المتجبرون،ويقف الوجود كله خاشعا،والعباد كلهم خضعا. ويتفرد مالك الملك الواحد القهار بالسلطان. وهو سبحانه متفرد به في كل آن. فأما في هذا اليوم فينكشف هذا للعيان،بعد انكشافه للجنان. ويعلم هذا كل منكر ويستشعره كل متكبر. وتصمت كل نأمة وتسكن كل حركة. وينطلق صوت جليل رهيب يسأل ويجيب فما في الوجود كله يومئذ من سائل غيره ولا مجيب:«لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟".. «للَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ» ..[٩٠]

وعَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ،قَالَ:هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺفَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا:وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ،رَجُلٍ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ،لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ»[٩١]

٣ – عاقبة الظلم وخيمة:

الظلم،الذي حرمه الله سبحانه وتعالى على نفسه وحرمه على الناس،فعَنْ أَبِي ذَرٍّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي،وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا،فَلَا تَظَالَمُوا "[٩٢]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:«اتَّقُوا الظُّلْمَ،فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَاتَّقُوا الشُّحَّ،فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»[٩٣]

---

[٩٠] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ –(ص: ٣٨٦٧)

[٩١] – صحيح مسلم (٣/ ١٦٨٨)٢١ – (٢١٤٣)

[٩٢] – صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٤)٥٥ – (٢٥٧٧)

[٩٣] – صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٦)٥٦ – (٢٥٧٨)

[ش (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) قال القاضي قيل هو على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة سبيلا حين يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم ويحتمل أن الظلمات هنا الشدائد وبه فسروا قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر أي شدائدهما ويحتمل أنها عبارة عن الأنكال والعقوبات (واتقوا الشح فإن

فعندما تكبر فرعون وجنوده وطغوا وبغوا وظلموا وأكثروا في الأرض الفساد قال الله عنهم:{فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ } [القصص:٤٠].

هكذا في اختصار حاسم. أخذ شديد ونبذ في اليم. نبذ كما تحذف الحصاة أو كما يرمى بالحجر. اليم الذي ألقي في مثله موسى الطفل الرضيع،فكان مأمنا وملجأ. وهو ذاته الذي ينبذ فيه فرعون الجبار وجنوده فإذا هو مخافة ومهلكة. فالأمن إنما يكون في جناب الله،والمخافة إنما تكون في البعد عن ذلك الجناب.

«فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ» .. فهي عاقبة مشهودة معروضة للعالمين. وفيها عبرة للمعتبرين،ونذير للمكذبين. وفيها يد القدرة تعصف بالطغاة والمتجبرين في مثل لمح البصر،وفي أقل من نصف سطر! وفي لمحة أخرى يجتاز الحياة الدنيا ويقف بفرعون وجنوده في مشهد عجيب .. يدعون إلى النار،ويقودون إليها الأتباع والأنصار:«وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ» ..

فيا بئساها دعوة! ويا بئساها إمامة! «وَيَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ» .. فهي الهزيمة في الدنيا،وهي الهزيمة في الآخرة،جزاء البغي والاستطالة. وليست الهزيمة وحدها،إنما هي اللعنة في هذه الأرض،والتقبيح في يوم القيامة:«وَأَتْبَعْناهُمْ فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً،وَيَوْمَ الْقِيامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ».

ولفظة «الْمَقْبُوحِينَ» ترسم بذاتها صورة القبح والفضيحة والتشنيع،وجو التفزز والاشمئزاز. ذلك في مقابل الاستعلاء والاستكبار في الأرض،وفتنة الناس بالمظهر والجاه،والتطاول على الله وعلى عباد الله.[٩٤]

الشح أهلك من كان قبلكم) قال القاضي يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا بأنهم سفكوا دماءهم ويحتمل أنه هلاك الآخرة وهذا الثاني أظهر ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة قال جماعة الشح أشد البخل وأبلغ في المنع من البخل وقيل هو البخل مع الحرص وقيل البخل في أفراد الأمور والشح عام وقيل الشح الحرص على ما ليس عنده والبخل بما عنده]

[٩٤] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ –(ص: ٣٤٤٣)

فاعلموا أن دعوة المظلوم مستجابة لا ترد،فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺبَعَثَ مُعَاذًا إِلَى اليَمَنِ،فَقَالَ:«اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ،فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»[٩٥] فإلى كل ملك أو رئيس أو مسؤول،بل إلى كل فرد ذكـرًا كـان أم أنثـى لا تظلمـوا أحدًا،فإن عاقبة الظلم وخيمة في الدنيا والآخرة،وها نحن نشاهد كل ذلك عيانًا بيانًا.

وكما قال الشاعر:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا *** فالظلم آخره يأتيك بالندمِ

نامت عيونك والمظلوم منتبه *** يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

فتذكر أيها الظالم وأيتها الظالمة قول الله عز وجل:{ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّـا يَعْمَـلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣)} [إبراهيم]

والرسول – ﷺ – لا يحسب الله غافلا عما يعمل الظالمون. ولكن ظاهر الأمر يبدو هكذا لبعض من يرون الظالمين يتمتعون،ويسمع بوعيد الله،ثم لا يراه واقعا بهم في هـذه الحيـاة الدنيا. فهذه الصيغة تكشف عن الأجل المضروب لأخذهم الأخذة الأخيرة،التي لا إمهـال بعدها. ولا فكاك منها. أخذهم في اليوم العصيب الذي تشخص فيه الأبصار من الفـزع والهلع،فتظل مفتوحة مبهوتة مذهولة،مأخوذة بالهول لا تطرف ولا تتحـرك. ثم يرسـم مشهدا للقوم في زحمة الهول .. مشهدهم مسرعين لا يلوون على شيء،ولا يلتفتـون إلى شيء. رافعين رؤوسهم لا عن إرادة ولكنها مشدودة لا يملكون لها حراكا. يمتد بصـرهم إلى ما يشاهدون من الرعب فلا يطرف ولا يرتد إليهم. وقلوبهم من الفزع خاوية خالية لا تضم شيئا يعونه أو يحفظونه أو يتذكرونه،فهي هواء خواء.

هذا هو اليوم الذي يؤخرهم الله إليه. حيث يقفون هذا الموقف،ويعانون هـذا الرعـب. الذي يرتسم من خلال المقاطع الأربعة مذهلا آخذا بهم كالطائر الصغير في مخالب الباشق الرعيب:«إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ،لا يَرْتَدُّ إِلَـيْهِمْ طَرْفُهُمْ،وَأَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ» ..

---

[٩٥] – صحيح البخاري (٣/ ١٢٩)(٢٤٤٨)

فالسرعة المهرولة المدفوعة،في الهيئة الشاخصة المكرهة المشدودة،مع القلب المفزع الطائر الخاوي من كل وعي ومن كل إدراك.كلها تشي بالهول الذي تشخص فيه الأبصار ..[٩٦]

فلا يغتر الظلمة بإمهال الله لهم فله حكمة في ذلك ولكنه إذا أخذهم فإن أخذه أليم شديد،فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:«إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ:ثُمَّ قَرَأَ:{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود:١٠٢][٩٧]

وعَنْ جَابِرٍ،قَالَ:لَمَّا رَجَعَتْ مُهَاجِرَةُ الْحَبَشَةِ،إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ،قَالَ:«أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعْجَبَ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ»،قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ:يَا رَسُولَ اللَّه،بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ عَلَيْنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِهِمْ،تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ،فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ،فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا،ثُمَّ دَفَعَهَا عَلَى رُكْبَتَيْهَا،فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا،فَلَمَّا ارْتَفَعَت،الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ،ثُمَّ قَالَتْ:سَتَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ،وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ،وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانَا يَكْسِبُونَ،فَسَوْفَ تَعْلَمُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ عِنْدَهُ غَدًا،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«صَدَقَتْ،ثُمَّ صَدَقَتْ،كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ قَوْمًا لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ»[٩٨]

وكما قال الشاعر:

فاظلم كما شئت لا أرجوك مرحمة *** إنا إلى الله يوم الحشر نحتكم

وقال أبو العتاهية[٩٩]:

ستعلم يا ظلوم إذا التقينا غداً عند الإله من الظلوم
أما والله إنَّ الظُّلم شؤمٌ وما زال المسيء هو الظَّلوم
إلى ديانٍ يوم الدّين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

---

[٩٦] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ –(ص: ٢٧٦٥)

[٩٧] – صحيح البخاري (٦/ ٧٤)(٤٦٨٦) وصحيح مسلم (٤/ ١٩٩٧)٦١ – (٢٥٨٣)

[ش(ليملي) ليمهل. (لم يفلته) لم يخلصه و لم يتركه حتى يستوفي عقابه. (وكذلك) أي كما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب. (أخذ ربك) إهلاكه وعذابه. (أخذ القرى) أخذ أهلها / هود ١٠٢ /]

[٩٨] – صحيح ابن حبان – مخرجا (١١/ ٤٤٤)(٥٠٥٨) صحيح لغيره

[٩٩] –موسوعة الشعر الإسلامي (١٠٠/ ١)

ستعلم في الحساب إذا التقينا غداً عند الإله من الملوم

وقال آخر[١٠٠]:

لا تظلمن إذا كنت مقتدرا فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

٤- تفاهة الدنيا:

فكل هذه الأحداث تبين لنا بالبرهان القاطع الذي لا ريب فيه بأن هذه الدنيا ليست دار بقاء ولا كمال ولا راحة،بل هي دار عمل واستعداد للقاء الواحد الأحد،وهي بمثابة المزرعة للآخرة،فما تزرع هنا تلقاه هناك،ولم يذكرها الله جل في علاه ولا رسوله محمد ﷺ إلا بصيغة الذم والتحذير منها والانشغال بها عن الهدف الأسمى الذي خلقنا من أجله. فيقول الله عز وجل في سورة الحديد:{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) } [الحديد:٢٠،٢١].

وَاعْلَمُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا لَيْسَتْ إِلاَّ مَتَاعاً لِلَّهْوِ وَاللَّعِبِ،وَالزِّينَةِ والتَّفَاخُرِ وَالمُبَاهَاةِ بِكَثْرَةِ الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ،وَمَا مَثَلُهَا فِي نَضْرَتِهَا،وَسُرْعَةِ زَوَالِهَا،وَانْقِضَائِهَا إِلاَّ مَثَلُ أَرْضٍ أَصَابَهَا مَطَرٌ غَزِيرٌ فَأَخْرَجَتْ مِنَ النَّبَاتَاتِ مَا أَعْجَبَ الزُّرَّاعَ وَسَرَّهُمْ،وَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى تِلْكَ الحَالِ إِذْ بِهَذَا النَّبَاتِ قَدْ صَوَّحَ واصْفَرَّ وَأَخَذَ فِي اليَبَسِ وَالجِفَافِ،ثُمَّ يَصِيرُ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ . وَفِي الآخِرَةِ يَجِدُ النَّاسُ أَمَامَهُمْ إِمَّا عَذَاباً أَلِيماً جَزَاءً عَلَى أَعْمَالِهِمْ،إِنْ كَانُوا قَدْ آثَرُوا الدُّنْيَا،وَعَمِلُوا لَهَا،وَانْهَمَكُوا فِي مَلَذَّاتِهَا،وَإِمَّا ثَوَاباً كَرِيماً،وَرِضْوَانا مِنَ اللهِ،إِنْ كَانُوا قَدْ أَعْرَضُوا عَنِ الدُّنْيَا،وَعَمِلُوا فِي دُنْيَاهُمْ لآخِرَتِهِمْ،وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتَاعٌ زَائِلٌ خَادِعٌ يَغُرُّ مَنْ رَكَنَ إِلَيْهِ،وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ لاَ دَارَ سِوى هَذِهِ الدَّارِ الدُّنْيا .[١٠١]

---

[١٠٠] -موسوعة الشعر الإسلامي (١٠٠/ ١)

[١٠١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٩٧٣، بترقيم الشاملة آليا)

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ حُصِرَ بِالشَّامِ وَقَدْ تَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ:"سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَا يَنْزِلُ بِعَبْدٍ مُؤْمِنٍ مِنْ مَنْزِلَةِ شِدَّةٍ إِلَّا يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ بَعْدَهَا فَرَجًا وَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران:٢٠٠]"قَالَ:فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو عُبَيْدَةَ:"سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَّا بَعْدُ،فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} [الحديد:٢٠] إِلَى آخِرِهَا قَالَ:فَخَرَجَ عُمَرُ بِكِتَابِهِ فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَرَأَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ،ثُمَّ قَالَ:يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ،إِنَّمَا يُعَرِّضُ بِكُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنِ ارْغَبُوا فِي الْجِهَادِ »[١٠٢]

والحياة الدنيا حين تقاس بمقاييسها هي وتوزن بموازينها تبدو في العين وفي الحس أمرا عظيما هائلا. ولكنها حين تقاس بمقاييس الوجود وتوزن بميزان الآخرة تبدو شيئا زهيدا تافها. وهي هنا في هذا التصوير تبدو لعبة أطفال بالقياس إلى ما في الآخرة من جد تنتهي إليه مصائر أهلها بعد لعبة الحياة! لعب. ولهو. وزينة،وتفاخر. وتكاثر ... هذه هي الحقيقة وراء كل ما يبدو فيها من جد حافل واهتمام شاغل .. ثم يمضي يضرب لها مثلا مصورا على طريقة القرآن المبدعة .. «كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ» ..

والكفار هنا هم الزراع. فالكافر في اللغة هو الزارع،يكفر أي يحجب الحبة ويغطيها في التراب. ولكن اختياره هنا فيه تورية وإلماع إلى إعجاب الكفار بالحياة الدنيا!

«ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا» للحصاد. فهو موقوت الأجل،ينتهي عاجلا،ويبلغ أجله قريبا «ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً» .. وينتهي شريط الحياة كلها بهذه الصورة المتحركة المأخوذة من مشاهدات البشر المألوفة .. ينتهي بمشهد الحطام! فأما الآخرة فلها شأن غير هذا الشأن،شأن يستحق أن يحسب حسابه،وينظر إليه،ويستعد له:«وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ» .. فهي لا تنتهي في لمحة كما تنتهي الحياة الدنيا. وهي لا تنتهي إلى حطام كذلك النبات البالغ أجله .. إنها حساب وجزاء .. ودوام .. يستحق الاهتمام!

---

[١٠٢] – المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٣٢٩)(٣١٧٦) صحيح

«وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ» .. فما لهذا المتاع حقيقة ذاتية،إنما يستمد قوامه من الغرور الخادع كما أنه يلهي وينسي فينتهي بأهله إلى غرور خادع. وهي حقيقة حين يتعمق القلب في طلب الحقيقة. حقيقة لا يقصد بها القرآن العزلة عن حياة الأرض،ولا إهمال عمارتها وخلافتها التي ناطها بهذا الكائن البشري. إنما يقصد بها تصحيح المقاييس الشعورية والقيم النفسية،والاستعلاء على غرور المتاع الزائل وجاذبيته المقيدة بالأرض. هذا الاستعلاء الذي كان المخاطبون بهذه السورة في حاجة إليه ليحققوا إيمانهم. والذي يحتاج إليه كل مؤمن بعقيدة،ليحقق عقيدته ولو اقتضى تحقيقها أن يضحي بهذه الحياة الدنيا جميعا.

ومن ثم يدعوهم إلى السباق في ميدان السباق الحقيقي،للغاية التي تستحق السباق. الغاية التي تنتهي إليها مصائرهم،والتي تلازمهم بعد ذلك في عالم البقاء:«سابِقُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ،وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَالْأَرْضِ،أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ. وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» ..

وعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَفْصٍ قَالَ:«قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺيَوْمَ بَدْرٍ:{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ} ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ قَسْحَمٍ:بَخٍ بَخٍ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ حَفْصٍ:وَبَخٍ عَلَى وَجْهَيْنِ عَلَى التَّعَجُّبِ ، وَعَلَى الْإِنْكَارِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:» مَا أَرَدْتَ بِقَوْلِكَ:بَخٍ بَخٍ «؟ فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلِمْتَ أَنِّي إِنْ دَخَلْتُهَا كَانَ لِي فِيهَا سَعَةٌ. قَالَ:» أَجَلْ «، ثُمَّ إِنَّ ابْنَ قَسْحَمٍ قَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَمْ بَيْنِي وَبَيْنَهَا؟ قَالَ:» أَنْ تَلْقَاهَا وِلَاءَ الْقَوْمِ فَتَصْدُقُ اللَّهَ «، قَالَ:فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ ، وَقَالَ:» تَخَلَّى مِنْ طَعَامِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ تَقَدَّمْ «. فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ»[١٠٣]

فليس السباق إلى إحراز اللهو واللعب والتفاخر والتكاثر بسباق يليق بمن شبوا عن الطوق،وتركوا عالم اللهو واللعب للأطفال والصغار!

إنما السباق إلى ذلك الأفق،وإلى ذلك الهدف،وإلى ذلك الملك العريض:«جَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَالْأَرْضِ» .. وربما كان بعضهم في الزمن الخالي – قبل أن تكشف بعض

---

[١٠٣] – الجهاد لابن المبارك (ص: ٦٨)(٧٧) صحيح مرسل

الحقائق عن سعة هذا الكون - يميل إلى حمل مثل هذه الآية على المجاز،وكذلك حمل بعض الأحاديث النبوية. كذلك الحديث الذي أسلفنا عن أصحاب الغرف التي يتراءاها سكان الجنة كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب .. فأما اليوم ومراصد البشر الصغيرة تكشف عن الأبعاد الكونية الهائلة التي ليس لها حدود،فإن الحديث عن عرض الجنة،والحديث عن تراءي الغرف من بعيد،يقع قطعا موقع الحقيقة القريبة البسيطة المشهودة،ولا يحتاج إلى حمله على المجاز إطلاقا!

فإن ما بين الأرض والشمس مثلا لا يبلغ أن يكون شيئا في أبعاد الكون يقاس! وذلك الملك العريض في الجنة يبلغه كل من أراد،ويسابق إليه كل من يشاء. وعربونه:الإيمان بالله ورسله.

«ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ» .. «وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» .. وفضل الله غير محجوز ولا محجور. فهو مباح متاح للراغبين والسابقين. وفي هذا فليتسابق المتسابقون،لا في رقعة الأرض المحدودة الأجل المحدودة الأركان!

عَنْ أَبِي ذَرٍّ،أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - قَالُوا لِلنَّبِيِّ - ﷺ -:يَا رَسُولَ اللهِ،ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأَجْرِ،يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي،وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ،وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ،قَالَ - ﷺ -:أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَتَصَدَّقُونَ بِهِ،كُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ،وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ،وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ،وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ،وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ،وَنَهْيٌ عَنِ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ."[١٠٤]

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ،قَالَ:قَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ،ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ،يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي،وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ،وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ:فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - :أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ،إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً،وَبِكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً،وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةً قَالَ:قَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ،أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ يَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟

[١٠٤] - صحيح مسلم- المكتر [٦/ ٣١٦] (٢٣٧٦) وصحيح ابن حبان- ط٢ مؤسسة الرسالة [٣/ ١١٩] (٨٣٨)

قَالَ:أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الْحَرَامِ،أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ وَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلاَلِ،كَانَ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ. "[١٠٥]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِىِّ - ﷺ - فَقَالُوا ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلاَ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ،يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّى،وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ،وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا،وَيَعْتَمِرُونَ،وَيُجَاهِدُونَ،وَيَتَصَدَّقُونَ قَالَ «أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ،وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ،إِلاَّ مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ،وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ». فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا فَقَالَ بَعْضُنَا نُسَبِّحُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ،وَنَحْمَدُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ،وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ. فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ «تَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ،وَالْحَمْدُ لِلَّهِ،وَاللَّهُ أَكْبَرُ،حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ» .[١٠٦]

ولا بد لصاحب العقيدة أن يتعامل مع هذا الوجود الكبير ولا يحصر نفسه ونظره وتصوره واهتمامه ومشاعره في عالم الأرض الضيق الصغير .. لا بد له من هذا ليؤدي دوره اللائق بصاحب العقيدة. هذا الدور الشاق الذي يصطدم بحقارات الناس وأطماعهم،كما يصطدم بضلال القلوب والتواء النفوس. ويعاني من مقاومة الباطل وتشبثه بموضعه من الأرض ما لا يصبر عليه إلا من يتعامل مع وجود أكبر من هذه الحياة،وأوسع من هذه الأرض،وأبقى من ذلك الفناء ..

إن مقاييس هذه الأرض وموازينها لا تمثل الحقيقة التي ينبغي أن تستقر في ضمير صاحب العقيدة. وما تبلغ من تمثيل تلك الحقيقة إلا بقدر ما يبلغ حجم الأرض بالقياس إلى حجم الكون وما يبلغ عمر الأرض بالقياس إلى الأزل والأبد. والفارق هائل هائل لا تبلغ مقاييس الأرض كلها أن تحدده ولا حتى أن تشير إليه!

ومن ثم يبقى صاحب العقيدة في أفق الحقيقة الكبيرة مستعليا على واقع الأرض الصغير. مهما تضخم هذا الواقع وامتد واستطال. يبقى يتعامل مع تلك الحقيقة الكبيرة الطليقة من

---

[١٠٥] - مسند أحمد (عالم الكتب) [٧/ ١٩٨] (٢١٤٧٣) ٢١٨٠٥ صحيح

[١٠٦] - صحيح البخارى- المكتر [٣/ ٤٢٣] (٨٤٣) وصحيح مسلم- المكتر [٤/ ١٣٤] (١٣٧٥) -الدثور: جمع دثر وهو المال العظيم

قيود هذا الواقع الصغير. ويتعامل مع الوجود الكبير الذي يتمثله في الأزل والأبد. وفي ملك الآخرة الواسع العريض. وفي القيم الإيمانية الثابتة التي لا تهتز لخلل يقع في موازين الحياة الدنيا الصغيرة الخادعة .. وتلك وظيفة الإيمان في حياة أصحاب العقائد المختارين لتعديل قيم الحياة وموازينها،لا للتعامل بها والخضوع لمقتضياتها ...[١٠٧]

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ "[١٠٨]

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْأَزْرَقِ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْحَسَنِ عِظْنِي وَأَوْجِزْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ: «أَمَّا مُصْلِحُكَ وَمُصْلِحٌ بِهِ عَلَى يَدَيْكَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا بِالْيَقِينِ، وَالْيَقِينُ بِالتَّفَكُّرِ، وَالتَّفَكُّرُ بِالاعْتِبَارِ، فَإِذَا أَنْتَ تَفَكَّرْتَ فِي الدُّنْيَا لَمْ تَجِدْهَا أَهْلًا أَنْ تَبِيعَ بِهَا نَفْسَكَ، وَوَجَدْتَ نَفْسَكَ أَهْلًا أَنْ تُكْرِمَهَا بِهَوَانِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ وَمَنْزِلُ قُلْعَةٍ»[١٠٩]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَوْنٍ الْأَسَدِيِّ قَالَ: أَوَّلُ كَلَامٍ تَكَلَّمَ بِهِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَا شَاءَ صَنَعَ، وَمَا شَاءَ رَفَعَ، وَمَا شَاءَ وَضَعَ، وَمَا شَاءَ أَعْطَى، وَمَا شَاءَ مَنَعَ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ غُرُورٍ وَمَنْزِلُ بَاطِلٍ وَزِينَةُ تَقَلُّبٍ، تُضْحِكُ بَاكِيًا وَتُبْكِي ضَاحِكًا وَتُخِيفُ آمِنًا وَتُؤَمِّنُ خَائِفًا، تُفْقِرُ مُثْرِيهَا وَتُثْرِي فَقِيرَهَا، مَيَّالَةٌ لَاعِبَةٌ بِأَهْلِهَا، يَا عِبَادَ اللَّهِ اتَّخِذُوا كِتَابَ اللَّهِ إِمَامًا وَارْضَوْهُ حَكَمًا، وَاجْعَلُوهُ لَكُمْ قَائِدًا؛ فَإِنَّهُ نَاسِخٌ لِمَا كَانَ قَبْلَهُ وَلَنْ يَنْسَخَهُ كِتَابٌ بَعْدَهُ، اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَجْلُو كَيْدَ الشَّيْطَانِ، وَصَفَاصِفَهُ كَمَا يَجْلُو ضَوْءُ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِدْبَارَ اللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ»[١١٠]

وأخيرا اسمعوا هذه الخطبة النادرة لهذا الصحابي الجليل،فعَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَدَوِيِّ،قَالَ:خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ،فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ،ثُمَّ قَالَ:أَمَّا بَعْدُ،«فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ وَوَلَّتْ حَذَّاءَ،وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ،يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا،وَإِنَّكُمْ

---

[١٠٧] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – (ص: ٤٣٦٦)

[١٠٨] – شعب الإيمان (١٣/ ١٨٥)(١٠١٥٤) حسن

[١٠٩] – الزهد الكبير للبيهقي (ص: ١٥٠)(٣١٣)

[١١٠] – الزهد الكبير للبيهقي (ص: ٢١٥)(٥٤٦)

مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا،فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ،فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ،فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا،لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا،وَوَاللهِ لَتُمْلَأَنَّ،أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً،وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ،وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ،مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ،حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا،فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ،فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا،فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ،وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا،وَعِنْدَ اللهِ صَغِيرًا،وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ،حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا مُلْكًا،فَسَتَخْبُرُونَ وَتُجَرِّبُونَ الْأُمَرَاءَ بَعْدَنَا»[١١١]

فأدعوا نفسي وإياكم إلى الفرار إلى الله والمسارعة إلى الخيرات والبعد عن الذنوب والمنكرات والاستعداد للقاء رب الأرض والسماوات،جعلنا الله من أهل القلوب الحية النقية الطاهرة. والله أعلم وأعظم وأكرم.[١١٢]

يقول أبو البقاء الرندي[١١٣]:

لكل شيءٍ إذا ما تم نقصانُ فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسانُ
هي الأمورُ كما شاهدتها دُولٌ مَن سَرَّهُ زَمنٌ ساءَتهُ أزمانُ
وهذه الدار لا تُبقي على أحد ولا يدوم على حالٍ لها شان
يُمزق الدهر حتمًا كل سابغةٍ إذا نبت مشْرفيّاتٌ وخُرصانُ
وينتضي كلّ سيف للفناء ولوْ كان ابنَ ذي يزَن والغمدَ غُمدان
أين الملوك ذَوو التيجان من يمنٍ وأين منهم أكاليلٌ وتيجانُ ؟
وأين ما شاده شدَّادُ في إرمٍ وأين ما ساسه في الفرس ساسانُ ؟

---

[١١١] - صحيح مسلم (٤/ ٢٢٧٨)١٤ - (٢٩٦٧)

[ش (آذنت) أي أعلمت (بصرم) الصرم الانقطاع والذهاب (حذاء) مسرعة الانقطاع (صبابة) البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء (يتصابها) في القاموس تصابت الماء شربت صبابته (قعرا) قعر الشيء أسفله (كظيظ) أي ممتلئ (قرحت) أي صار فيها قروح وجراح من خشونة الورق الذي نأكله وحرارته (سعد بن مالك) هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه]

[١١٢] -http://muslm.net/vb/showthread.php?t=٤٥٨١٣٢

[١١٣] -موسوعة الشعر الإسلامي (٥٧/ ٦)

وأين ما حازه قارون من ذهب وأين عادٌ وشدادٌ وقحطانُ ؟

وقيل أيضا :[١١٤]

يا راقد الليل مسروراً بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

أفنى القرون التي كانت منعمة كر الجديدين إقبالا وإدبارا

كم قد أبادت صروف الدهر من ملك قد كان في الدهر نفاعاً وضرارا

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح في دنياه سفارا

هلا تركت من الدنيا معانقة حتى تعانق في الفردوس أبكارا

إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها فينبغي لك أن لا تأمن النارا

٥- آيات الرحمن في نهاية ملك ملوك الجرذان)

الله اكبر الله اكبر الله اكبر،الحمد لله ثم الحمد لله ثم الحمد لله،الحمد لله وحده ناصر المستضعفين ومعز المؤمنين ومذل الكافرين وقاهر الجبارين ومحطم الأكاسرة والقياصرة .

الحمد لله الذي أذل القذافي((ملك ملوك الجرذان)) الذي تأله في الأرض وطغى وتجبر وتكبر وعاث في الأرض الفساد وأهلك الزرع والضرع مدعيا بأنه مُصلح والذي لسان حاله كان يقول كما قال فرعون

(قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ)]غافر:٢٩ [

ومن هذا المنطلق الفرعوني اخترع أو اخترع له ما سماه((النظرية العالمية الثالثة))أي انه كان يعتبر أن هناك نظريتان تحكمان الشعوب((النظرية الرأسمالية))و((النظرية الاشتراكية)) و((كتابه البصل الأخضر هو النظرية العالمية الثالثة))التي يجب أن تكون بديلا لهما،أما الإسلام فلا وجود له في عقله المريض ولا في نظريته وهذا شيء طبيعي،فنظريته جاءت لتنسخ الإسلام القائم على العدل والرحمة،أما((نظريته الشيطانية)) التي أوحى له بها الشيطان اليهودي ملئت ليبيا ظلما وقهرا وعدوانا وحقداً وعذابات وآلاماً وفقراً وجوعاً وأيتاماً وأرامل وثكلى ورعباً وخوفاً وذعراً ودماراً وتخلفاً وحقداً وجنوناً،فلم يكن فيها لا شفقة ولا رحمة ولا ذرة خير،وبموجب نظريته هذه سلط زبانيته وجلاوزته وهامان على

[١١٤] - موسوعة الشعر الإسلامي (٥٧/ ٤)

رقاب الشعب الليبي،ومن ثم بعد أن كبر أبناءه الجرذان الذين رباهم على الشر زاد الطين بله على الشعب الليبي،فأطلق لهم العنان ليعيثوا في ليبيا وفي الأرض الفساد والخراب،فكانوا مضرب المثل في السفاهة والإجرام والفساد والتكبر والاستهتار بكل القيم والمفاهيم التي تحفظ كرامة الإنسان وترتقي به،فكانت أفعالهم مخزية في الداخل والخارج،فهل سيأتي من الجرذان خير فأخذوا يقرضون مقدرات الشعب الليبي،وأراد الجرذ الكبير أن يُورثهم ليبيا أرضاً وشعباً وكأنه يورثهم مُلكاً خاصا به ورثه عن أبيه الذي يوجد أكثر من رواية من هو أباه وعن أصله وفصله والرواية الأكثر مصداقية بأنه ابن يهودية وما فعله في ليبيا وشعبها تؤكد هذه الرواية،واعتبر أن إصلاح البشرية لا يمكن إلا بتطبيق((النظرية العالمية الثالثة))وليس((كتاب رب العالمين))وكيف لا وقد توج نفسه إلهاً أخر في الأرض والعياذ بالله فقد أراد أن يشارك الله في ملكه

((وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون))] البقرة: ١١+١٢ [

وكانت((نظريته العالمية الثالثة)) تستهزئ بآيات الله،فهو قد أنكر السنة،وكان يشتم الصحابة،ولكن الله كان له بالمرصاد،فخاب كل جبار عنيد،فكان هذا الطاغية المتأله يدّعي بموجب((نظريته العالمية الثالثة))بأنه لا يحكم وإنما الجماهير هي التي تحكم،وبأنه ليس إلا((مفجر عصر الجماهير ومحرض على الثورة))وبأنه قائد أممي،وبأن السلطة والثروة والسلاح بيد الشعب،وفي الحقيقة ما هو إلا مغتصب للسلطة والثروة والسلاح،وأما الجماهير لم يكنلها إلا الوهم والسراب والخوف والرعب والجوع والفقر والتخلف،وعليها أن تنادي باسمه وتلبي له ليلا ونهارا وليس لها إلا ما يمن به عليها وما يسد رمقها،وبموجب نظريته هذه ظن أن لن يقدر الله عليه فشارك الله في أمره وفي ملكوته،فسمى نفسه((ملك الملوك))وأن البشر كلهم عبيده،فصار يقول عن نفسه بأنه((زعيم العالم))وبأنه لا يقبل أن يكون زعيم ليبيا فقط ،مُحقراً ليبيا وشعبها وبأن الناس أجمعين يُحبونه ويتمنون رضاه، وبأنها على استعداد أن تموت من اجله وفي سبيله طلبا لمرضاته ودفاعا عن ((نظريته العالمية الثالثة))

ألم يقل هذا المتأله بأن الذي لا يحبه لا يستحق الحياة؟؟

ويا ويل من كان يناقشه أو يعترض عليه أو على نظريته الجهنمية،أو ادعى بأن هناك نظرية أفضل من نظريته ولو كان الإسلام كان يعلق على المشانق،فكان كل سنة في رمضان يُعلق خيرة شباب ليبيا على المشانق حتى يترع من قلوب الشعب الليبي فرحتهم بالشهر الفضيل،ولكن سنة الله في الظالمين والذين يعملون على مشاركته في ملكه وينسون أنفسهم لا تتخلف

{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢) إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)} [المائدة: ٣٢، ٣٣]

فمن منا لم يرى كيف كانت نهاية هذا الطاغية الظالم المجرم المستكبر الكافر اللعين ملك ملوك الجرذان صاحب((النظرية العالمية الثالثة))وهو حقيراً ذليلاً مخذولا مدحورا على يد الشعب الليبي الحر الآبي

.....

لقد كانت نهايته في جحر عبارة عن مجرى للمجاري لا تعيش فيه إلا((الجرذان والأوباش وطرائد الصحراء))فهو تحول إلى طريد للشعب الليبي،وهذا ما يفسر وصفه للشعب الليبي الحر الآبي((بالجرذان))فالجرذ يظن بأن جميع مخلوقات الله جرذان مثله،إنها نهاية كل جبار عنيد عتل بعد ذلك زنيم إن كان ذا مال وبنين.

إن نهاية القذافي ملك ملوك الجرذان((أية من آيات الرحمن و عبرة وموعظة لكل مدعي الالوهية ولكل من يريد أن يشارك الله في ملكه وجبروته وقدرته))

فهي أسوء نهاية لطاغية ممكن أن تخطر على بال بشر،حيث أذله الله ذلاً ذليلاً ليس له مثيل،حيث ذاق من كأس الرعب والذعر والإذلال والهوان الذي سقاه للشعب الليبي عبر

اثنين وأربعين عاما بعد أن رأى ملكه وسلطانه قد هلك،وأبناءه الجرذان منهم من قتل ومنهم من انفض من حوله وهرب ومنهم من هو هائم على وجهه في الصحراء .

وهل هناك نهاية أذل وأحقر واهون وأخزى وأبشع من أن ينتهي من كان يدعي الألوهية بأن جميع شعوب العالم عبيده ومن وصف شعبه بالجرذان في أنبوب لتصريف مياه المجاري؟؟؟

ومن منا لم يرى((ملك ملوك الجرذان))بعد إلقاء القبض عليه كيف ظهر على حقيقته؟؟

وكيف ذهبت عنه عظمته الزائفة ليتبين بأنها كانت سراب ووهم؟؟؟

وكيف تبين بعد أن أبطل ثوار ليبيا الأبطال سحره بأنه ليس أكثر من جرذ يستحق هذه النهاية المخزية ؟؟

فكم كان خائفا مذعورا ومرعوبا وهو يتوسل للثوار الأحرار بأن يرحموه هذه الرحمة التي كانت ممسوحة من عقله ووجدانه وضميره وثقافته ومن قاموسه،فهو لم يرحم الشعب الليبي طوال اثنين وأربعين عاما توحش خلالها،فبث الذعر والرعب والخوف في أنحاء ليبيا الم يتذكر في تلك اللحظة من كان يعلقهم على المشانق ظلما وعدوانا،

ألم يتذكر((مذبحة سجن بو سليم)) عندما ذبح ألف وأربعماية شاب من خيرة شباب ليبيا لا ذنب لهم إلا أن يقولوا ربنا الله؟؟؟

ألم يتذكر آباءهم وأبناءهم وأمهاتهم وزوجاتهم؟؟

ألم يتذكر أطفالهم أن قساوة قلبه تدل على انه يهودي؟؟

فحقا إنها نهاية تليق ((بملك ملوك الجرذان القذافي))وهي والله قد أذهبت غيظ قلوبنا،فهي((أية من آيات الرحمن)) وهي((أية لمن خلفه من الطواغيت))

.....

فلن تكون نهاية طاغية اليمن وطاغية سوريا وجميع الطواغيت اقل سوءا وخزيا من نهاية القذافي مهما علوا في الأرض بغير الحق والعاقل من اتعظ بغير،ولكن طواغيت العرب لا عقل عندهم،فسنة الله في الظالمين لا تتخلف،فإلى مزابل التاريخ يا((ملك ملوك الجرذان))يا من لم يتأسف عليك احد عنده ذرة من إنسانية أو شعور بالحرية أو الكرامة أو شرف،فإذا

وجد من يتأسف عليك فلن يكون إلا جرذ مثلك، والحمد لله رب العالمين الذي أراح الأمة عامة والشعب الليبي خاصة من هذا الكابوس الذي جثم على صدر الشعب الليبي طوال اثنين وأربعين عاما لم يروا فيها خيراً.

فسبحان الله أخر حوار دار بين هذا الطاغية والمجاهد الثائر البطل الذي أخرجه من الجحر، حيث قال وهو في حالة ذهول كاملة لهذا البطل المجاهد وهو يشده من ثيابه وهو في حالة يرثى لها وغير مستوعب لما يجري من حوله

((شو في خيركو،شو في خيركو)) وكلمة ((خير كو)) في اللهجة اللبيبة الدارجة تعني خير،أي كان يقول ((خير ماذا يجري خير ماذا يجري))فرد عليه الثائر البطل ((من فين إنشوف الخير وأنت زعيمنا،يعني لن نرى الخير وأنت زعيم الشعب الليبي)).

فهذا المستكبر المتأله ظن بان الله لن يقدر عليه،ومن اجل أن لا يحصل عليه انقلاب قام بموجب((نظريته العالمية الثالثة))بتفكيك الدولة الليبية ومؤسساتها وحل الجيش واستبدل الجيش بكتائب من المرتزقة الأفارقة لقتل الشعب الليبي إذا ما فكر بالثورة عليه،وأعلن كذبته الكبرى بأنه أصبح لا يحكم،وان السلطة والثروة والسلاح بيد الشعب

{وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠]

فأتاهمن حيث لم يحتسب فإذا بالسحر ينقلب عليه،فإذا بالشعب الليبي يبعثه الله من رحم هذا الواقع المتردي ليثور وينتفض في وجه هذا الساحر الدجال المشعوذ،وإذا به حقيقة يقوم بانتزاع السلطة والثروة والسلاح من يده ليقوم بثورة من أعظم الثورات في التاريخ،حتى أنها أجبرت من جاء بهذا الطاغية ليحكم ليبيا أن يتخلى عنه بعد أن أصبح ضرره أكثر من نفعه،فمن جنون العظمة التي أصابته نتيجة سلطته المطلقة صار يظن بأنه أعظم وأقوى من أسياده،وهذا ما دفع أمريكا والغرب أن لا يراهنوا على حصان أصبح عجوزاً وخاسرا،فانحازوا للشعب الليبي الثائر لعلهم يعيدون صياغة علاقتهم بالشعب الليبي مما ينقذ نفوذهم فيها،ولكن الشعب الليبي العظيم الحر الآبي الذي صنع ثورة ومن أعظم ثورات التاريخ لن يقبل بأن يفرط بأرضه وثرواته وسلاحه بعد أن استردها من((ملك ملوك الجرذان))

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) } [الأنعام: ٤٢ - ٤٤]

الحمد لله الذي يمهل ولا يُهمل،الحمد لله الذي أخذ هذا المتأله أخذ عزيزاً مقتدر،وإننا نبارك للشعب الليبي الحر الآبي بانتصار ثورته التي هي انتصار للعدل والحق والحرية وللعرب والمسلمين أجمعين وانتصار لفلسطين،وبتخلصه من هذا الكابوس الثقيل والمميت الذي جثم على صدره طويلاً[١١٥]

٦- هلاك القذافي.. والدرس المستفاد:

إنَّ لله في كونه سنناً لا يطرأ عليها تبديل، ولا يعتريها تغيير.

{وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [الأحزاب/٦٢].

{وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا} [الإسراء/٧٧].

{وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} [فاطر/٤٣].

وإنَّ من سنن الله في هذا الكون أنَّ ليلَ الظالم مهما طالَ فإنَّه إلى زوال.

ففي الحديث عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢][١١٦]

فلن يفلت ظالم من بأس الله.

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالْبَغْيِ»[١١٧]

---

[١١٥] - http://www.as-ansar.com/vb/showthread.php?t=٤٩٤٢٧

[١١٦] - صحيح البخاري (٦/ ٧٤) (٤٦٨٦)

[ش(ليملي) ليمهل. (لم يفلته) لم يخلصه ولم يتركه حتى يستوفي عقابه. (وكذلك) أي كما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب. (أخذ ربك) إهلاكه وعذابه. (أخذ القرى) أخذ أهلها / هود ١٠٢ /]

وعَنْ أَبِي بَكَرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " ذَنْبَانِ مُعَجَّلَانِ لَا يُؤَخَّرَانِ: الْبَغْيُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ"[١١٨]

فالحديث دال على أنَّ الظالم وقاطع الرحم لابد أن تنالهما عقوبة الله في الدنيا، وعذاب الآخرة أشد وأبقى.

وهذا البأس الذي قضت الأدلة بحلوله في ساحة الطغاة لا يمكن لأحد أن يصرفه عنهم، أو أن يحول بينه وبينهم إذا جاءهم، أو أن يرد منه شيئاً، قال تعالى في البقرة وآل عمران والمائدة: {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}، وقال: {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ}[الحج/٧١]. قال السعدي رحمه الله: "{وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} ينقذونهم من عذاب الله، أو يدفعون عنهم بعض ما نزل بهم" تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٤٠)

وكما أنه يدخل في الآيات عدمُ النصرة في الآخرة بصرف وجوههم عن النار، فإنه يراد منها الإنجاء مما يترل بهم من العقوبة في الدنيا. قال تعالى عن صاحب الجنتين: {وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا} [الكهف:٤٣]، وقال عن قارون: {فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ} [القصص:٨١].

ما الحكمة من تأخير نزول العذاب بالظالمين؟

في ذلك ثلاثُ حِكَم..

الحكمة الأولى: لتظهر آثار بعض أسماء الله. فمن أسماء الله: الحليم. والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة.

الحكمة الثانية: في هذا التأخير رفعة في درجات المظلوم.

رأى أحد الناس مظلوماً مصلوباً..، فقال: ربِّ إنَّ حلمك بالظالمين أضرَّ بالمظلومين. فرأى في منامه كأن القيامة قامت، ورأى المظلوم المصلوب في أعلى الجنة، ثم سمع من يقول له: إن حلمي بالظالمين، أورث المظلومين أعلى عليين.

---

[١١٧] – الأدب المفرد مخرجا (ص: ٣٧)(٦٧) صحيح

[١١٨] – مسند أحمد ط الرسالة (٣٤/ ١٥) (٢٠٣٨٠) صحيح لغيره

الحكمة الثالثة: ليزاد الطغاة إثماً إلى آثامهم. قال تعالى: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} [آل عمران/١٧٨].

متى يعتبر الطغاة؟

أيها الطغاة..

إنَّ لكم في سِيَر أسلافكم الماضين من الذين بغوا في الأرض فأكثروا فيها الفساد لعبرةً، ماذا كانت عاقبة بغيهم وظلمهم؟ أين فرعون الذي قال: {أنا ربكم الأعلى}؟ أين أبو جهل فرعون هذه الأمة؟ أين أمية بن خلف والملأ من قومه الذين اشتدت وطأتهم على المستضعفين من المؤمنين؟ أين البسيوني حمزة؟ أين مبارك؟ أين شارون؟ أين شين الهاربين المسمَّى بزين العابدين ماذا حل به؟ {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت/٤٠].

وعَنِ ابْنِ مَسْعُود، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " أُمِرَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ أَنْ يُضْرَبَ فِي قَبْرِهِ مِائَةَ جَلْدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُ وَيَدْعُو حَتَّى صَارَتْ جَلْدَةً وَاحِدَةً، فَجُلِدَ جَلْدَةً وَاحِدَةً، فَامْتَلَأَ قَبْرُهُ عَلَيْهِ نَارًا، فَلَمَّا ارْتَفَعَ عَنْهُ قَالَ: عَلَامَ جَلَدْتُمُونِي؟، قَالُوا: إِنَّكَ صَلَّيْتَ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ ، وَمَرَرْتَ عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ ".[١١٩]

فَهَذَا حَالُ مَنْ لَمْ يَنْصُرْ الْمَظْلُومَ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى نَصْرِهِ فَكَيْفَ حَالُ الظَّالِمِ؟ .

قَالَ بَعْضُهُمْ: رَأَيْت فِي الْمَنَامِ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ يَخْدُمُ الظَّلَمَةَ وَالْمَكَّاسِينَ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي حَالَةٍ قَبِيحَةٍ فَقُلْت لَهُ: مَا حَالُك؟ فَقَالَ شَرُّ حَالٍ، فَقُلْت لَهُ: إلَى أَيْنَ صِرْت؟ فَقَالَ إلَى عَذَابِ اللَّهِ، قُلْت: فَمَا حَالُ الظَّلَمَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟ قَالَ شَرُّ حَالٍ، أَمَا سَمِعْت قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} [الشعراء: ٢٢٧] .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: رَأَيْت رَجُلًا مَقْطُوعَ الْيَدِ مِنْ الْكَتِفِ وَهُوَ يُنَادِي مَنْ رَآنِي فَلَا يَظْلِمَنَّ أَحَدًا، فَتَقَدَّمْت إلَيْهِ وَقُلْت لَهُ: يَا أَخِي مَا قِصَّتُك؟ فَقَالَ يَا أَخِي قِصَّتِي عَجِيبَةٌ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْت

[١١٩] – شرح مشكل الآثار (٨/ ٢١٢)(٣١٨٥) صحيح

مِنْ أَعْوَانِ الظَّلَمَة، فَرَأَيْت يَوْمًا صَيَّادًا قَدْ اصْطَادَ سَمَكَةً كَبِيرَةً فَأَعْجَبَتْنِي، فَجِئْت إِلَيْهِ فَقُلْت: أَعْطِنِي هَذِهِ السَّمَكَةَ، فَقَالَ لَا أُعْطِيكَهَا أَنَا آخُذُ بِثَمَنِهَا قُوتًا لِعِيَالِي، فَضَرَبْته وَأَخَذْتهَا مِنْهُ قَهْرًا وَمَضَيْت بِهَا، قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا مَاشٍ بِهَا حَامِلَهَا إِذْ عَضَّتْ عَلَى إبْهَامِي عَضَّةً قَوِيَّةً فَلَمَّا جِئْت بِهَا إلَى بَيْتِي وَأَلْقَيْتهَا مِنْ يَدِي ضَرَبَتْ عَلَيَّ إبْهَامِي وَآلَمَتْنِي أَلَمًا شَدِيدًا حَتَّى لَمْ أَنَمْ مِنْ شِدَّةِ الْوَجَعِ وَوَرِمَتْ يَدِي فَلَمَّا أَصْبَحْت أَتَيْت الطَّبِيبَ وَشَكَوْت إلَيْهِ الْأَلَمَ فَقَالَ: هَذِهِ بُدُوُّ أَكَلَةٍ اقْطَعْهَا وَإِلَّا تَلِفَتْ يَدُك كُلُّهَا فَقَطَعْت إبْهَامِي ثُمَّ ضَرَبَتْ يَدِي فَلَمْ أُطِقْ النَّوْمَ وَلَا الْقَرَارَ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ، فَقِيلَ لِي اقْطَعْ كَفَّك فَقَطَعْتهَا وَانْتَشَرَ الْأَلَمُ إلَى السَّاعِدِ وَآلَمَنِي أَلَمًا شَدِيدًا وَلَمْ أُطِقْ النَّوْمَ وَلَا الْقَرَارَ وَجَعَلْت أَسْتَغِيثُ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ، فَقِيلَ لِي: اقْطَعْهَا مِنْ الْمِرْفَقِ فَانْتَشَرَ الْأَلَمُ إلَى الْعَضُدِ وَضَرَبَتْ عَلَيَّ عَضُدِي أَشَدَّ مِنْ الْأَلَمِ فَقِيلَ لِي: اقْطَعْ يَدَك مِنْ كَتِفك وَإِلَّا سَرَى إلَى جَسَدِك كُلِّه فَقَطَعْتهَا فَقَالَ لِي بَعْضُ النَّاسِ: مَا سَبَبُ أَلَمِك فَذَكَرْت لَهُ قِصَّةَ السَّمَكَةِ، فَقَالَ لِي: لَوْ كُنْت رَجَعْت مِنْ أَوَّلِ مَا أَصَابَك الْأَلَمُ إلَى صَاحِبِ السَّمَكَةِ فَاسْتَحْلَلْت مِنْهُ وَاسْتَرْضَيْته وَلَا قَطَعْت يَدَك، فَاذْهَبْ الْآنَ إلَيْهِ وَاطْلُبْ رِضَاهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ الْأَلَمُ إلَى بَدَنِك.

قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُهُ فِي الْبَلَدِ حَتَّى وَجَدْته فَوَقَعْت عَلَى رِجْلَيْهِ أُقَبِّلُهُمَا وَأَبْكِي وَقُلْت: يَا سَيِّدِي سَأَلْتُك بِاَللَّهِ إلَّا مَا عَفَوْت عَنِّي، فَقَالَ لِي: وَمَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْت أَنَا الَّذِي أَخَذْت مِنْك السَّمَكَةَ غَصْبًا، وَذَكَرْت لَهُ مَا جَرَى وَأَرَيْته يَدِي فَبَكَى حِينَ رَآهَا ثُمَّ قَالَ: يَا أَخِي قَدْ حَالَلْتُكَ مِنْهَا لِمَا قَدْ رَأَيْت بِك مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ، فَقُلْت لَهُ: بِاَللَّهِ يَا سَيِّدِي هَلْ كُنْت دَعَوْت عَلَيَّ لَمَّا أَخَذْتهَا مِنْك؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْت: اللَّهُمَّ هَذَا تَقَوَّى عَلَيَّ بِقُوَّتِهِ عَلَى ضَعْفِي وَأَخَذَ مِنِّي مَا رَزَقْتَنِي ظُلْمًا فَأَرِنِي فِيهِ قُدْرَتَك، فَقُلْت لَهُ: يَا سَيِّدِي قَدْ أَرَاك اللَّهُ قُدْرَتَهُ فِي وَأَنَا تَائِبٌ إلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا كُنْت عَلَيْهِ مِنْ خِدْمَةِ الظَّلَمَةِ وَلَا عُدْت أَقِفُ لَهُمْ عَلَى بَابٍ وَلَا أَكُونُ مِنْ أَعْوَانِهِمْ مَا دُمْت حَيًّا إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَبِاَللَّهِ التَّوْفِيقُ.الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٢٠٣)

السنة عند هلاك الطغاة:

إذا هلك الطغاة فثَمَّ أربعُ سنن..

السنة الأولى: الفرح بموته.

والثانية: شكر الله على ذلك.

والثالثة: التحميد.

والرابعة: والتكبير.

وعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ : انْتَهَيْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقَدْ ضُرِبَتْ رِجْلُهُ وَهُوَ صَرِيعٌ ، وَهُوَ يَذُبُّ النَّاسَ عَنْهُ بِسَيْفِهِ ، فَقُلْتُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْزَاكَ يَا عَدُوَّ اللهِ ، قَالَ : هَلْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ قَتَلَهُ قَوْمُهُ ، قَالَ : فَجَعَلْتُ أَتَنَاوَلُهُ بِسَيْفٍ لِي غَيْرِ طَائِلٍ ، فَأَصَبْتُ يَدَهُ ، فَنَدَرَ سَيْفُهُ ، فَأَخَذْتُهُ فَضَرَبْتُهُ بِهِ حَتَّى بَرَدَ ، ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّمَا أَقَلُّ مِنَ الأَرْضِ ، يَعْنِي مِنَ السُّرْعَةِ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : آللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ؟ فَرَدَّدَهَا عَلَيَّ ثَلاَثًا ، فَخَرَجَ يَمْشِي مَعِي حَتَّى قَامَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْزَاكَ يَا عَدُوَّ اللهِ ، هَذَا كَانَ فِرْعَوْنَ هَذِهِ الأُمَّةِ.[١٢٠]

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ: فَقُلْتُ: قَتَلْتُ أَبَا جَهْلٍ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»[١٢١]

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ، فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: «العَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلاَدُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ»[١٢٢]

أحكام تتعلق بموت الهالك القذافي:

- القذافي كافر مرتد عن دين الإسلام، لا يجوز دفنه في مقابر المسلمين ولا تشييعه.
- لا يجوز أن يستغفر للمشركين.
- لا يجوز إبداء عورة الكافر؛ لأن النظر إلى العورات محرم، والإبداء يقتضيه.

---

[١٢٠] - مصنف ابن أبي شيبة -دار القبلة (٢٠/ ٣٢٤)(٣٧٨٥٢) حسن

[١٢١] - الدعاء للطبراني (ص: ٣٢٩)(١٠٧٦) حسن

[١٢٢] - صحيح البخاري (٨/ ١٠٧) (٦٥١٢) وصحيح مسلم (٢/ ٦٥٦)٦١ - (٩٥٠)

- يجوز صلب الكافر والطاغية لأخذ العبرة.

- لا ينبغي أن تأخذنا رأفة حيال مصرع هذا الطاغية، فإنَّ موته وما لحقه من مهانة وذل لأمر تُشفى به صدور الثكالى والأرامل والأيتام والمؤمنين الذي رأوا ما فعله بالإخوة الثوار في ليبيا. قال ابن القيم رحمه الله: "سبحان الله كم بكت في تنعم الظالم عين أرملة، واحترقت كبد يتيم، وجرت دمعة مسكين، {كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ } [المرسلات: ٤٦]،{وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ } [ص: ٨٨]".بدائع الفوائد (٣/ ٢٤٢)

وسبحان الله كيف انتهت حياة الطاغية في المجاري وهو من كان ينعت شعبه بالجرذان!

والبلاء موكل بالمنطق.

- من نشر صور الطاغية بعد موته بغرض العظة والعبرة فهو مأجور على ذلك مثاب إن شاء الله.

- من الولاء للمؤمنين والعداوة للكافرين إظهار الفرح بموت هذا الطاغية.

الظلم ظلمات:

كَانَ يَزِيدُ بْنُ حَكِيمٍ يَقُولُ: مَا هِبْت أَحَدًا قَطُّ هَيْبَتِي رَجُلًا ظَلَمْته وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا نَاصِرَ لَهُ إلَّا اللَّهُ يَقُولُ لِي حَسْبِي اللَّهُ، اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَك.[١٢٣]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: «يَجِيءُ الظَّالِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ بَيْنَ الظُّلْمَاءِ وَالْوُعْرَةِ، لَقِيَهُ الْمَظْلُومُ، وَعَرَّفَهُ، وَعَرَّفَ مَا ظَلَمَهُ بِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الَّذِينَ ظُلِمُوا بِالَّذِينَ ظَلَمُوا حَتَّى يَنْتَزِعُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا حَسَنَاتِهِمْ رُدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مِثْلُ مَا ظَلَمُوا حَتَّى يُورَدُوا فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»[١٢٤]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقِصَاصِ، وَلَمْ أَسْمَعْهُ، فَابْتَعْتُ بَعِيرًا، فَشَدَدْتُ رَحْلِي عَلَيْهِ، ثُمَّ سِرْتُ شَهْرًا حَتَّى قَدِمْتُ مِصْرَ، فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُنَيْسٍ فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ. فَقَالَ: ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَأَتَاهُ فَأَخْبَرَهُ فَقَامَ يَطَأُ ثَوْبَهُ حَتَّى خَرَجَ

---

[١٢٣] - الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ١٩٩)

[١٢٤] - الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ٤٩٩)(١٤٢٠) حسن

إِلَيْه فَاعْتَنَقَنِي وَاعْتَنَقْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ وَلَمْ أَسْمَعْهُ فِي الْقِصَاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ أَمُوتَ أَوْ تَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: " يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ - أَوْ قَالَ: النَّاسَ - عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا " قَالَ: قُلْنَا: مَا بُهْمًا؟ قَالَ: " لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَعِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةَ " قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ ذَا، وَإِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ» قَالَ: وَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ} [غافر: ١٧][١٢٥]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ ضَرَبَ سَوْطًا ظُلْمًا اقْتُصَّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١٢٦]

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّه، أَنَّ كَعْبَ الْأَحْبَارِ، قَالَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " وَيْلٌ لِسُلْطَانِ الْأَرْضِ مِنْ سُلْطَانِ السَّمَاءِ. قَالَ عُمَرُ: إِلَّا مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ. فَقَالَ كَعْبٌ: إِلَّا مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ. وَكَبَّرَ عُمَرُ وَخَرَّ سَاجِدًا "[١٢٧]

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، أَنَّ كَعْبًا مَرَّ بِعُمَرَ وَهُوَ يَضْرِبُ رَجُلًا بِالدِّرَّةِ فَقَالَ كَعْبٌ: " عَلَى رِسْلِكَ يَا عُمَرُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ: «وَيْلٌ لِسُلْطَانِ الْأَرْضِ مِنْ سُلْطَانِ السَّمَاءِ، وَيْلٌ لِحَاكِمِ الْأَرْضِ مِنْ حَاكِمِ السَّمَاءِ» ، فَقَالَ عُمَرُ: إِلَّا مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ، فَقَالَ كَعْبٌ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَفِي كِتَابِ اللهِ الْمُنَزَّلِ مَا بَيْنَهُمَا حَرْفٌ إِلَّا مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ»[١٢٨]

ونادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر: أيا سليمان، أيا سليمان، اذكر يوم الأذان، فنزل عن المنبر ودعا بالرجل فقال له سليمان: فما يوم الأذان؟ فقال: (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّه عَلَى الظَّالِمِينَ)

---

[١٢٥] - المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٤٧٥)(٣٦٣٨) حسن

[١٢٦] - المعجم الأوسط (٢/ ١٢٠)(١٤٤٥) حسن

[١٢٧] - الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٦٠)(٨٩) صحيح لغيره

[١٢٨] - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٣٨٩)فيه انقطاع

(الأعراف:٤٤) قال: فما ظلامتك؟ قال: أرضي بمكان كذا أخذها وكيلك، فكتب إلى وكيله أن ادفع إليه أرضه وأرضي مع أرضه.[١٢٩]

وقيل: من سَلَبَ نعمةَ غيرِه سَلَبَ نعمتَه غيرُه.

ويقال: من طال عدوانه زال سلطانه.

وقيل: لو بغى جبل على جبل لدكّ الله الباغي منها.[١٣٠]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وَأُمُورُ النَّاسِ تَسْتَقِيمُ فِي الدُّنْيَا مَعَ الْعَدْلِ الَّذِي فِيهِ الِاشْتِرَاكُ فِي أَنْوَاعِ الْإِثْمِ: أَكْثَرُ مِمَّا تَسْتَقِيمُ مَعَ الظُّلْمِ فِي الْحُقُوقِ وَإِنْ لَمْ تَشْتَرِكْ فِي إثْمٍ؛ وَلِهَذَا قِيلَ: إنَّ اللَّهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً؛ وَلَا يُقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً. وَيُقَالُ: الدُّنْيَا تَدُومُ مَعَ الْعَدْلِ وَالْكُفْرِ وَلَا تَدُومُ مَعَ الظُّلْمِ وَالْإِسْلَامِ.فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةُ مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُ، مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»[١٣١]

فَالْبَاغِي يُصْرَعُ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مَغْفُورًا لَهُ مَرْحُومًا فِي الْآخِرَةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَدْلَ نِظَامُ كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا أُقِيمَ أَمْرُ الدُّنْيَا بِعَدْلٍ قَامَتْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِهَا فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَمَتَى لَمْ تَقُمْ بِعَدْلٍ لَمْ تَقُمْ وَإِنْ كَانَ لِصَاحِبِهَا مِنْ الْإِيمَانِ مَا يُجْزَى بِهِ فِي الْآخِرَةِ "[١٣٢]

اللهم أرنا في الطغاة قدرتك، وأنزل بهم بأسك، وخلِّص العباد من شرهم، وألحق من بقي منهم بأسلافهم الذين مضوا بأليم عقابك.[١٣٣]

[١٢٩] – التذكرة الحمدونية (٣/ ١٨٥)

[١٣٠] – البصائر والذخائر (٤/ ٩٦) والمستطرف في كل فن مستطرف (ص: ١١٦) وربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٣/ ٣٠٩)

[١٣١] – الأدب المفرد مخرجا (ص: ٢٤)(٢٩) صحيح

[١٣٢] – مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٤٦)

[١٣٣] – http://muslm.net/vb/showthread.php?t=٤٥٨٧١٩

المبحث الرابع

يا فرعون سوريا هل تعتبر بفرعون ليبيا ؟

سوف تموت كما مات كل الطغاة

بالتأكيد أنك رأيت كيف قتل أستاذك الطاغية الصنم فرعون ليبيا،وفي أوسخ مكان كان يتهم به الثوار زورا وبهتاناً .

قال تعالى:{وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣)} [النمل:٤٨ - ٥٣]

وَكَانَ فِي مَدينة الحِجْرِ (وهِيَ مَدِينَةُ ثمودَ) تسعةُ أفرادٍ (رَهْطٍ) مُجْرِمينَ طُغَاةٍ ، وكانُوا همْ دُعَاةَ قَوْمِهِمْ إلى الكُفْرِ والضَّلاَلِ ، وكانَ من عادَتِهِمُ الإفسادُ في الأَرضِ ، والأَمرُ بالفَسَادِ والضَّلاَلِ ، ولَمْ يَكُونوا منَ المُصلحينَ ، وقَدْ غَلَبُوا على قَومِهِمْ لأَنهمْ منْ رُؤَسائِهِم وَكُبَرائِهِم ، وَهُم الذينَ عَقَرُوا النَّاقَةَ ، وَهَمُّوا بقَتْلِ صَالحٍ غيْلَةً .

فقالَ أولئكَ المُفْسِدُونَ بعضُهُمْ لبعضٍ : تَعَالَوا نَتحالَفْ ، وَنَتَقَاسَمْ فِيمَا بَينَنَا عَلى أَنْ نَقتُلَ صَالِحاً لَيلاً غيْلَةً . فَبعدَ أَنْ قَتَلوا النَّاقَةَ أنذرَهُمْ صَالحٌ بأنهمْ سَيهْلكُون بعدَ ثلاثة أيامٍ ، فقالَ بعضُهُم لبعضٍ : هَلُمَّ فلْنَقْتلْ صَالحاً وأهلَهُ ، ثُمَّ لنقُولنَّ إنَّنا لا نَعلمُ شيئاً عَنْ مَصْرَعِهِمْ . فإذا كانَ صادقاً فيمَا يقولُ عَجَّلْنَا به قَبْلَنَا ، وإن كانَ كاذباً ألحَقْنَاه بناقَته ، وكانَ ذلكَ مكْراً منهمْ . فأتَوْهُ ليلاً لِيُبَيِّتُوه فِي أهْلِه ، فأهْلَكَهُمُ اللهُ تَعالى بالحِجَارَةِ ، و لَمَّ أَبْطَؤُوا على أَصْحَابِهِمْ أتَى هؤُلاَءِ إلى مَنْزِلِ صَالِحٍ فَوَجَدُوهُمْ قَدْ رُضِخُوا بالحِجَارةِ ، فَقَالَ أهلُهُمْ لصَالحٍ أنْتَ قَتَلْتَهُمْ .

وَيَقُولُ اللهُ تَعالى إنَّهُمْ دَبَّرُوا أمْراً لإهْلاكِ نَبيِّ اللهِ صَالحٍ ، فَدَبَّرَ اللهُ تَدْبيراً خَفيّاً مُحْكَماً أبْطَلَ مَكْرَهُمْ وَتَدْبيرَهُمْ ، وأهْلَكَهُمْ قَبْلَ أن يَصِلُوا إلى صَالِحٍ وأَهلِهِ بأَذىً ، وهُم لا

يَشْعُرون بأنَّ عينَ اللهِ سَاهِرةٌ تَرْعَى نَبِيَّهُ صَالحاً والمؤمنينَ ، وتعرفُ ما يُدَبِّرُهُ هؤلاءِ المُفْسِدُون .

وَكَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنْ دَمَّرَ اللهُ المُجرِمِينَ وَأَهْلَكَهُمْ مَعَ قَوْمِهِمْ أَجْمعِينَ ، فَلَمْ يُبقِ مِنَ الكُفَّارِ أَحَداً في دِيارِهِمْ .

وَهذهِ بُيُوتُهم أَصبَحَتْ خَاوِيةً خَالِيةً لا يَسْكُنَها أَحَدٌ ، وذلكَ عِقَابٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لَهُم بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ . وفِيمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ عَذابٍ وَهَلاَكٍ لَعِبَرَةٌ وَعِظَةٌ لِمَنْ يَنَظُرُ وَيَتَفكَّرُ في قُدرَةِ اللهِ وَتَدبِيرِه فَيَتَّعِظُ .

أَمَّا الذينَ آمنوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ صَالِحٌ ، واتَّقَوا رَبَّهُمْ وخَافُوهُ ، فَقَدْ أَنْجَاهُم اللهُ تَعَالَى مَعَ صَالِحٍ وَأهلِهِ .[١٣٤]

أبوك كان العبيد يقولون له:" قائدنا إلى الأبد الأمين حافظ الأسد"

ولكن أباك مات وشبع موتا،فليس قائدا إلى الأبد لا هو ولا غيره،قال تعالى:{ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)} [الرحمن:٢٦،٢٧]

وقال تعالى:{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ } [الزخرف:٥٤]

فالإفساد في الأرض – من وجهة نظرهم – هو الدعوة إلى ربوبية الله وحده حيث يترتب عليها تلقائيا بطلان شرعية حكم فرعون ونظامه كله. إذ أن هذا النظام قائم على أساس حاكمية فرعون بأمره – أو بتعبير مرادف على أساس ربوبية فرعون لقومه – وإذن فهو – بزعمهم – الإفساد في الأرض، بقلب نظام الحكم، وتغيير الأوضاع القائمة على ربوبية البشر للبشر، وإنشاء وضع آخر مخالف تماما لهذه الأوضاع، الربوبية فيه لله لا للبشر. ومن ثم قرنوا الإفساد في الأرض بترك موسى وقومه لفرعون ولآلهته التي يعبدها هو وقومه ..

ولقد كان فرعون إنما يستمد هيبته وسلطانه من الديانة التي تعبد فيها هذه الآلهة .. بزعم أنه الابن الحبيب لهذه الآلهة! وهي بنوة ليست حسية! فلقد كان الناس يعرفون جيدا أن الفرعون مولود من أب وأم بشريين. إنما كانت بنوة رمزية يستمد منها سلطانه وحاكميته. فإذا عبد موسى وقومه رب العالمين، وتركوا هذه الآلهة التي يعبدها المصريون،

[١٣٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٠٨٩، بترقيم الشاملة آليا)

فمعنى هذا هو تحطيم الأساس الذي يستمد منه فرعون سلطانه الروحي على شعبه المستخف الذي إنما يطيعه لأنه هو كذلك فاسق عن دين الله الصحيح .. وذلك كما يقول الله سبحانه: «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ .. إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ» فهذا هو التفسير الصحيح للتاريخ .. وما كان فرعون بقادر على أن يستخف قومه فيطيعوه، لو لم يكونوا فاسقين عن دين الله .. فالمؤمن بالله لا يستخفه الطاغوت، ولا يمكن أن يطيع له أمرا، وهو يعلم أن هذا الأمر ليس من شرع الله .. ومن هنا كان يجيء التهديد لنظام حكم فرعون كله بدعوة موسى – عليه السلام – إلى «رب العالمين» وإيمان السحرة بهذا الدين، وإيمان طائفة من قوم موسى كذلك وعبادتهم لرب العالمين .. ومن هنا يجيء التهديد لكل وضع يقوم على ربوبية البشر للبشر من الدعوة إلى ربوبية الله وحده .. أو من شهادة أن لا إله إلا الله .. حين تؤخذ بمدلولها الجدي الذي كان الناس يدخلون به في الإسلام. لا بمدلولها الباهت الهزيل الذي صار لها في هذه الأيام! ومن هنا كذلك استثارت هذه الكلمات فرعون، وأشعرته بالخطر الحقيقي على نظامه كله فانطلق يعلن عزمه الوحشي البشع: «قالَ: سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ»:

وكان بنو إسرائيل قد عانوا من قبل – في إبان مولد موسى – مثل هذا التنكيل الوحشي من فرعون وملئه كما يقول الله تعالى في سورة القصص: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً، يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ، يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» ..إنه الطغيان في كل مكان وفي كل زمان. لا فرق بين وسائله اليوم ووسائله قبل عشرات القرون والأعوام .. ![135]

واستخفاف الطغاة للجماهير أمر لا غرابة فيه فهم يعزلون الجماهير أولا عن كل سبل المعرفة، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها، ولا يعودوا يبحثون عنها ويلقون في روعهم ما يشاءون من المؤثرات حتى تنطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة. ومن ثم يسهل استخفافهم بعد ذلك، ويلين قيادهم، فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشمال مطمئنين! ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلا وهم فاسقون لا يستقيمون على

[135] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ١٨٢٠)

طريق، ولا يمسكون بحبل الله، ولا يزنون بميزان الإيمان. فأما المؤمنون فيصعب خداعهم واستخفافهم واللعب بهم كالريشة في مهب الريح. ومن هنا يعلل القرآن استجابة الجماهير لفرعون فيقول: «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ. إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ»[١٣٦]

كيف ورث الأسد الحكم ؟

وأنت ورثت أباك بغير إرادة الشعب،وغيِّر الدستور من أجلك خلال دقائق معدودة ليفصَّل على طولك وعرضك

واكتشف الناس أنك أنجس من أبيك،وكل الكلام الذي كنت تردده في محاربة الفساد قبل استلامك الحكم كان كذبا بكذب ليس إلا ...

وأنت تعلم أن الشعب قد كشف جميع جرائمك المستورة والمعلنة فقرر أن ينتزع حريته منك رغما عن أنفك وأنف من نصبك على سوريا

وقام بهدم جميع الأصنام التي صنعها أبوك أو صنعت له وكل صوره وصورك ديست بالأقدام ....وصارت مسبتك على كل لسان حتى الأطفال .... ولكنك كابرت واستكبرت واستخدمت كل أنواع البطش والدمار والهلاك،وكل أنواع الكيد والتآمر والكذب والخداعه والمراوغة فلم تجديك فتيلا

ولو أعطيت الشعب حقوقه السليبة لما أريقت هذه الدماء التي تتحملها أنت أولا ثم من حولك من المجرمين ..{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } [الأنعام:١٢٣]

مهما كنت قويا فأنت ضعيف وهالك

أيها الطاغية الصنم:

لقد كان هناك طغاة وفراعنة أقوى منك وأذكى منك بكثير،ولكن كيف كان مصيرهم ؟؟؟

---

[١٣٦] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٤٠٠٣)

هل خلدوا في الدنيا،أم ديسوا تحت الأقدام،وصاروا سبة على طول الزمان ؟؟

قال تعالى:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)} [الفجر:٦ - ١٤]

ألم تر -أيها الرسول- كيف فعل ربُّك بقوم عاد، قبيلة إرم، ذات القوة والأبنية المرفوعة على الأعمدة، التي لم يُخلق مثلها في البلاد في عِظَم الأجساد وقوة البأس؟

وكيف فعل بثمود قوم صالح الذين قطعوا الصخر بالوادي واتخذوا منه بيوتًا؟

وكيف فعل بفرعون مَلِك «مصر» ، صاحب الجنود الذين ثبَّتوا مُلْكه، وقوَّوا له أمره؟

هؤلاء الذين استبدُّوا، وظلموا في بلاد الله، فأكثروا فيها بظلمهم الفساد، فصب عليهم ربُّك عذابا شديدا. إنَّ ربك -أيها الرسول- لبالمرصاد لمن يعصيه، يمهله قليلا ثم يأخذه أخْذَ عزيز مقتدر.[١٣٧]

وانظر كيف كان مصير فرعون { كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩)} [الدخان:٢٥ - ٢٩]

وأنت مهما احتطت لنفسك فسوف يأتيك الموت رغما عنك وعن جميع من يحرسك ويحميك،فلن تفر من قدر الله أبدا،قال تعالى:{ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} [النساء:٧٨]

وقال تعالى:{قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) } [الأحزاب]

إِنَّ الفرَارَ مِنَ القِتَالِ لَنْ يَنْفَعَكُمْ وَلَنْ يَدْفَعَ عَنْكُمْ مَا قَضَاهُ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ مَوْتٍ أَوْ قَتْلٍ ، وَإِذا نَفَعَكُمْ الفِرَارُ فَلَمْ تُقْتَلُوا فِي سَاحَةِ الحَرْبِ ، فَإِنَّ بَقَاءَكُمْ فِي الدُّنيا مَحْدُودُ الأَجَلِ ،

[١٣٧] - التفسير الميسر (١/ ٥٩٣)

وَمَتَاعَكُمْ فِيها مَتَاعٌ قَليلٌ ، وَسَيَأْتِي المَوْتُ في الموعِدِ المُحَدَّدِ لاَ يَتَأَخَّرُ وَلاَ يَتَقَدَّمُ .وَقُلْ لَهُمْ : لَيْسَ فِي الأَرْضِ أَحَدُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَ قَضَاءَ اللهِ مِنْ أَنْ يَصِلَ إِليكُمْ ، فَإِنْ أَرَادَ اللهُ بِكُمْ شَراً فَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّهُ عَنْكُمْ ، وَلاَ أَنْ يَحُولَ دُونَ وَقُوعِهِ بِكُمْ : وَإِنْ أَرَادَ بِكُمْ خَيْراً وَرَحْمَةً ، فَلا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَحُولَ دُونَ وَصُولِ ذلك إِلَيْكُمْ ، فَالأَمْرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللهِ ، يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ . وَلَنْ يَجِدَ هؤلاءِ المُنَافِقُونَ وَلِيّاً لَهُمْ غيرَ اللهِ ، وَلاَ نَاصِراً يَدْفَعُ عَنْهُمْ مَا قَضَاهُ اللهُ ، وَمَا قَدَّرَهُ عَلَيهِمْ مِنْ سُوءٍ وَبَلاَءٍ .[١٣٨]

وأنت لا تعرف كيف ستموت بيقين ولكنها سوف تكون شر ميتة وسوف تعاقب على كل دم أرقته بغير حق وكل مال نهبته،وكل من روعته أو أخفته،قال تعالى:{وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)} [العنكبوت]

نهاية الأسد إذا مات على الحال التي هو عليها الآن

سوف تكون نهايتك وخيمة جدا وسوف تبوء بإثمك وإثم من آذيته،فانظر كيف تلاقي الله أيها الطاغية الصنم

يا من أمرت الناس بعبادتك بغير حق لظنك أنك إله أو من سلالة الآلهة،قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) } [الانفطار]

يُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى الإِنْسَانَ عَلَى كُفْرِهِ وَعِصْيَانِهِ لِرَبِّهِ ، مَعَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ العَقْلَ وَالقُدْرَةَ عَلَى التَّمييزِ ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَأَظْهَرَ لَهُ الدَّلاَئِلَ وَالحُجَجَ عَلَى وُجُودِ اللهِ

---

[١٣٨] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٤٣٠، بترقيم الشاملة آليا)

وَوَحْدَانِيَّتِه ، وَيَقُولُ تَعَالَى للإِنْسَانِ : مَا الذي غَرَّكَ وَجَرَّأَكَ وَحَمَلَكَ عَلَى عِصْيَانِ رَبِّكَ الكَرِيمِ العَظِيمِ ، حَتَّى أَقْدَمْتَ عَلَى مَعْصِيَتِه ، وَقَابَلْتَهُ بِمَا لاَ يَلِيقُ عَلَى فَضْلِه وَنِعَمِه عَلَيْكَ .
وَوَصَفَ اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِالكَرِيمِ تَنْبِيهاً لِلإِنْسَانِ إِلَى أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَابِلَ الكَرِيمَ بِالأَفْعَالِ القَبِيحَةِ .
الذي خَلَقَكَ مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ جَعَلَكَ سَوِيّاً مُسْتَقِيماً مُعْتَدِلَ القَامَةِ ، مُنْتَصِباً فِي أَحْسَنِ الهَيْئَاتِ وَالأَشْكَالِ .
وَهُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يُرَكِّبَ الإِنْسَانَ وَيُخْرِجَهُ فِي أَيِّ صُورَةٍ شَاءَ ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ فِي أَحْسَنِ صَورَةٍ ، لِذَلِكَ كَانَ خَلِيقاً بِه أَنْ يُقَدِّرَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَسْتَعْمِلَ عَقْلَهُ وَحَوَاسَّهُ فِي الخَيْرِ ، وَفِي فِعْلِ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِه .[١٣٩]
واسمع جيدا أيها الأعمى البصير ما جاء في القرآن الكريم عن أمثالك:
وقال تعالى:{ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠)} [الأحقاف:٢٠]
ويَومَ القيامَةِ يُوقَفُ الذينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ، وَيُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ والتَّأْنِيبِ : إِنَّ كُلَّ ما قُدِّر لَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ والنَّعِيمِ قد استَمْتَعْتُمْ به ، واستَوفَيْتُمُوهُ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنيا واستَهْلَكْتُمُوهُ فِيها ، و لم يَبْقَ لَكُم شَيءٌ مِنَ المُتَعِ واللَّذَّات . وَهكَذَا لَم يَبْقَ لَكُمْ شَيءٌ فِي الآخِرَةِ تَنَالُونَهُ غيرُ الخِزْيِ وَالإِهَانة ، جَزَاءً لَكُمْ عَلى استِكْبَارِكُمْ عَنِ اتِّباعِ الحَقِّ ، وَعَلى فسْقِكُم وَخُرُوجِكُم عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ .[١٤٠]
{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) } [الأحقاف]
وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ يُوقَفُ هؤُلاءِ الكَافِرُونَ المُكَذِّبُونَ بِالبَعْثِ والنُّشُورِ عَلَى نَارِ جَهَنَّمَ ، وَيُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ والتَّأنِيبِ : أَلَيْسَ هذا الذي تَرَوْنَهُ ، مِنْ بَعْثٍ وَحَشْرٍ وَحِسَابٍ

---

[١٣٩] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٧١٢، بترقيم الشاملة آليا)
[١٤٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٤٠٩، بترقيم الشاملة آليا)

وَجَزَاءٍ عَلى الأَعْمَالِ ، وَنَارٍ وَقُودُها النَّاسُ والحِجَارَةُ . . . حَقّاً؟ وَكُنْتُم تُكَذِّبُونَ بــه في الحياةِ الدُّنيا؟ فَيَقُولُونَ : بَلى وَرَبِّنا إِنَّهُ لَحَقٌّ . فَيُقَالُ لَهُمْ : ذُوقُوا الآنَ العَذَابَ في نَارِ جَهَنَّمَ ، جَزَاءً لَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ ، وَتَكْذِيبِكُمْ بِالحَقِّ .[١٤١]

{ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَــيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَــا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُــونَ (٢١) وَمَــا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّــهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِــنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَــبِينَ (٢٤) وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَــمٍ قَــدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥) } [فصلت]

وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ المُكَذِّبِينَ حَالَ الكُفَّارِ يَــوْمَ القِيَامَــةِ لَعَلَّهُــمْ يَنْتَهُــونَ وَيَرْتَدِعُونَ عَنْ غِوَايَاتِهِمْ ، فَفِي ذَلِكَ اليَومِ يُسَاقُ الكَفَرَةُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّــارِ ، فَتَحْــبِسُ الزَّبَانِيَةُ أَوَّلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ (أَيْ تَقِفُهُمُ المَلاَئِكَةُ حَتَّى يَتَلاَحَقُوا ، وَيَتَكَامَلَ جَمْعُهُمْ) .

حَتَّى إِذَا وَصَلُوا إِلَى النَّارِ وَوَقَفُوا عَلَيْهَا ، شَهِدَتْ عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُمْ (سَمْعُهُمْ وَأَبْصَــارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ) بِمَا كَانُوا يَجْتَرِحُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ المَعَاصِي ، وَبِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ أَعْمَالٍ ، لاَ يَكْتُمُونَ مِنْهَا شَيْئاً .

فَيَقُولُ المُجْرِمُونَ لِجُلُودِهِمْ ، وَهُمْ يَلُومُونَها عَلَى شَهَادَتِهَا عَلَيْهِمْ : لِمَاذَا شَهِدْتُمْ عَلَيْنَــا؟ فَتَرُدُّ الجُلُودُ قَائِلَةً : إِنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الذي أَنْطَقَهَا ، وَهُوَ تَعَالَى الذي خَلَقَهَا وَخَلَقَهُــمْ ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ، فَهُوَ تَعَالَى لاَ يُخَالَفُ وَلاَ يُمَانَعُ .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَــلْ تَــدْرُونَ مِــمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَــمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّــا شَــاهِدًا

[١٤١] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٤٢٣، بترقيم الشاملة آليا)

مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ "[١٤٢]

وَتَقُولُ لَهُمْ جَوَارِحُهُمْ وَجُلُودُهُمْ : وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَخْفُونَ مِنَّا حِينَمَا كُنْتُمْ تَرْتَكِبُونَ الفَوَاحِشَ حَذَراً مِنْ أَنْ نَشْهَدَ عَلَيْكُمْ ، بَلْ كُنْتُمْ تُجَاهِرُونَ اللهَ تَعَالَى بِالكُفْرِ والمَعَاصِي ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ لاَ تَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يَعْلَمُ جَمِيعَ أَفْعَالِكُمْ .

وَهَذَا الظَّنُّ الفَاسِدُ بِأَنَّ اللهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ هُوَ الذِي أَرْدَاكُمْ وَأَوْصَلَكُمْ إِلَى الهَلَكَةِ ، فَصِرْتُمْ اليَومَ مِنَ الهَالِكِينَ الخَاسِرِينَ .

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَصَبَرُوا أَمْ لَمْ يَصْبِرُوا فَإِنَّهُمْ فِي النَّارِ لاَ مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا ، وَلاَ خُرُوجَ لَهُمْ مِنْهَا ، وَإِنْ طَلَبُوا أَنْ يَسْتَعتِبُوا وَيُبْدُوا مَعَاذِيرَهُمْ فَلَنْ يُقْبَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، وَلاَ تُقَالُ عَثَرَاتُهُمْ .

وَيَسَّرَ اللهُ تَعَالَى لِهَؤُلاَءِ الكَافِرِينَ أَخْدَاناً وَأَقْرَاناً مِنْ شَيَاطِينِ الجِنِّ وَالإِنْسِ ، فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَينَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا مِنَ الضَّلاَلَةِ وَالكُفْرِ واتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ ، وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ ، فَحَسَّنُوا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَلَمْ يَرَوْا أَنْفُسَهُمْ إِلاَ مُحْسِنِينَ ، وَأَوْحَوْا إِلَيْهِمْ إِنَّهُ لاَ جَنَّةَ وَلاَ نَارَ وَلاَ حِسَابَ ، فَوَجَبَ عَلَيهِمْ مِنَ العَذَابِ مَا وَجَبَ عَلَى الذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ مِمَّنْ فَعَلُوا مِثْلَ أَفْعَالِهِمْ ، فَكَانُوا جَمِيعاً فِي الخَسَارِ والدَّمَارِ ، وَاسْتَحَقُّوا اللَّعْنَ والخِزْيَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ .[١٤٣]

وما جاء عن النبي ﷺ بحق أمثالك

عَنِ الْحَسَنِ،قَالَ:عَادَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ،قَالَ مَعْقِلٌ:إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ،إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:«مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً،يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ،إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»[١٤٤]

---

[١٤٢] – صحيح مسلم (٤/ ٢٢٨٠)١٧ – (٢٩٦٩) [ش (لأركانه) أي جوارحه (أناضل) أي أدافع وأجادل]

[١٤٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤١١٦، بترقيم الشاملة آليا)

[١٤٤] – صحيح مسلم (١/ ١٢٥)٢٢٧ – (١٤٢)

وعن الْحَسَنَ،أَنَّ عَائِذَ بْنَ عَمْرٍو،وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺدَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ،فَقَالَ:أَيْ بُنَيَّ،إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:«إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ،فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»[١٤٥]

وعَنْ ثَوْبَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:«مَا مِنْ وَالٍي عَشَرَةٍ إِلَّا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ أَطْلَقَهُ عَدْلُهُ أَوْ أَوْبَقَهُ جَوْرُهُ»[١٤٦]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:"لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ،يُقَالُ:هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ "[١٤٧]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:«أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا:الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ،فَقَالَ:«إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ،وَصِيَامٍ،وَزَكَاةٍ،وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا،وَقَذَفَ هَذَا،وَأَكَلَ مَالَ هَذَا،وَسَفَكَ دَمَ هَذَا،وَضَرَبَ هَذَا،فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ،وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ،فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ،ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[١٤٨]

حقائق يجب أن تعلمها:

اسمع ما أقول لك جيدا قبل فوات الأوان:

أولا – نحن لا نشك بكفرك وزندقتك لحظة واحدة ...

فإياك أن تصدق أمثال البوطي والحسون والحبش وغيرهم ممن يقولون عنك بأنك مؤمن .... فهذا كله كذب وهم يعلمون أنهم كاذبون،وسوف يحشرون معك على كذبهم ومناصرتهم للباطل

---

[١٤٥] – صحيح مسلم (٣/ ١٤٦١)٢٣ – (١٨٣٠)

"(إن شر الرعاء الحطمة) قال في النهاية الحطمة هو العنيف برعاية الإبل في السوق والإيراد والإصدار يلقى بعضها على بعض ويعسفها ضربه مثلا لوالي السوء ويقال أيضا حطم بلا هاء"

[١٤٦] – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ١١٨) حسن

[١٤٧] – صحيح مسلم (٣/ ١٣٦١)١٣ – (١٧٣٦)

[١٤٨] – صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٧) ٥٩ – (٢٥٨١)

ثانيا–شهادة هؤلاء لا تساوي شيئا عند الله لأنها شهادة زور وبهتان

قال تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩) } [فصلت:٢٦ - ٢٩]

وَتَوَاصَى الذينَ كَفَرُوا فيمَا بَيْنَهُمْ بِأَلاَ يُؤْمِنُوا بِالقُرْآنِ ، وَأَلاَ يَنْقَادُوا إِلَيهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِذَا تُلِيَ القُرْآنُ لاَ تُنْصِتُوا لَهُ ، وَعَارِضُوهُ بِاللَّغْوِ والبَاطِلِ بِرَفْعِ الصَّوْتِ بِالْشِّعْرِ ، أَوِ الكَلاَمِ أَوِ الصَّفِيرِ . . لَعَلَّكُمْ تَكُونُونَ أَنْتُمْ الغَالبينَ .

وَيَتَهَدَّدُ اللهُ تَعَالَى هَؤُلاَءِ الكَافِرِينَ بِأَنَّهُ سَيُذِيقُهُمْ عَذَاباً لاَ تُمْكِنُ الإِحَاطَةُ بِوَصْفِه ، وَسَيَجْزِيهِمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ الصَّالِحَةَ فِي الدُّنْيَا أَحْبَطَهَا الشِّرْكُ وَأَهْلَكَهَا وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ إِلاَّ القَبِيحُ السَّيِّئُ وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُجَازَوْنَ إِلاَّ عَلَى السَّيِّئَاتِ . وَذَلِكَ الجَزَاءُ الشَّدِيدُ ، الذي أَعَدَّهُ اللهُ لأَعْدَائِه ، هُوِ النَّارُ يُعَذَّبُونَ فِيهَا ، وَيَبْقَوْنَ فِي العَذَابِ خَالِدِينَ أَبَداً ، وَهِيَ جَزَاؤُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ ، وَاسْتِكْبَارِهِمْ عَنْ سَمَاعِهَا .

وَيَسْأَلُ الكَافِرُونَ اللهَ ، وَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، أَنْ يُرِيَهُمْ الذينَ أَضَلُّوهُمْ مِنْ شَيَاطِينِ الأُنْسِ والجِنِ لِيَدُوسُوهُمْ بِأَقْدَامِهِمْ انْتِقَاماً مِنْهُمْ ، وَإِهَانَةً لَهُمْ (أَوْ لِيَجعَلُوهُمْ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ العَذَابِ لِيَكُونَ عَذَابُهُمْ أَشَدَّ)[١٤٩]

ثالثا– الأدلة على كفرك أكثر من أن تحصى

من الحكم بغير ما أنزل الله إلى موالاة أعداء الإسلام،وإلى ذبح المسلمين وتشريدهم في الأرض وإلى تبديل دين الله وتحريفه وتعطيله ..... وقد كتبت فيها الكتب والمجلدات ...

شروط توبة الأسد:

[١٤٩] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤١٢٣، بترقيم الشاملة آليا)

ولكن يشهد الله أني لك من الناصحين بالرغم مما قلت لك:

فعليك

أولا- بالتوبة إلى الله فورا دون تردد وهي الإقلاع عن الكفر والنفاق والكذب ...

ثانيا- النطق بالشهادتين بحق والعمل بمضمونهما

ثالثا- رد المظالم لأصحابها ...بما فيها الأموال التي لطشتها أنت وحاشيتك

رابعا- معاقبة كل الذين اشتركوا في قتل أو أذى الناس وفق شرع الله تعالى ..

خامساً-التنحي عن السلطة فورا

وسوف نضمن لك إن شاء الله البقاء أنت وأسرتك والخروج بغير محاكمة في الشام والذهاب إلى أي مكان شئت في الأرض .....

واعلم أنه مهما فعل بك الناس الذين ظلمتهم فهو لا يساوي شيئا أمام عذاب الله الدائم الأبدي،قال تعالى:{ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) } [النبأ]

فإذا مت أي ميتة كانت بعد توبتك فيرجى لك المغفرة ولو بعد مدة طويلة

المهم أنك إذا كنت صادقا في إيمانك وتوبتك لا تخلد في النار أبدا

وسوف يعفو الله عنك ويدخلك الجنة .....هذا إذا كنت تفكر بمستقبلك حقيقة وابتعدت عن الأوهام التي تعيشها أو يزينها لك بطانة السوء،عَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ،إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ،وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ،وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ،إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ،وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ»[١٥٠]

[١٥٠] - سنن أبي داود (٣/ ١٣١)(٢٩٣٢) صحيح

وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِك،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ:«خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ،وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ،وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ،وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»[١٥١]

إذا لم تتب فماذا سيكون ؟

ولكن

إذا لم تسمع كلامي فسوف تقتل شر قتلة أنت وكل من معك وربما تلاحق زوجتك وذريتك ويقتل الجميع جزاء ما فعلتموه بالناس ظلما وعدوانا،ولن يبقى لكم أثر،قال تعالى:{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ } [القصص:٥٨]

يُعَرِّضُ اللهُ تَعَالى بأهلِ مَكَّةَ ، وَيُنَبِّهُهُمْ إلى أَنَّهُ قَدْ سَبَق لَهُ أَنْ أَهلَكَ كَثيراً مِنَ المُدُن والقُرى ، التي طَغَتْ وأَشِرَتْ وكَفَرَت بنِعْمَةِ اللهِ ، فيما أَنْعَمَ به عَلَيها ، فَدَمَّرَهَا تَدميراً ، وَلَم يَتْرُكْ أَحَداً مِنْ أهلِها حياً ، وَلَم يَعُدْ يُرى فِيها إلاّ المَسَاكِنُ الخَرَابُ المَهْجُورَةُ ، لَمْ يَسْكُنها أَحدٌ بَعدَهُمْ ، إلاَّ عَابرُو السَّبيلِ لفَتَرات قَصيرة ، وَهُمْ مَارُّون مُجْتَازُونَ بِها ، وَآلتْ وِرَاثَتها إلى اللهِ ، لأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهلِهَا أَحَدٌ يُمْكِنُ أَنْ يَدَّعِيَ وَرَاثَتَها .[١٥٢]

ولن يحميكم أحد من قبضتنا هذا في الدنيا،ولن ينفعك كل الذين يدفعونك لارتكاب هذه الجرائم،وسوف يتخلون عنك في اللحظة الحرجة،قال تعالى:{وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)} [الكهف]

وقال تعالى:{وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ

---

[١٥١] – وصحيح مسلم (٣/ ١٤٨١)٦٥ – (١٨٥٥)

[١٥٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣١٩٢، بترقيم الشاملة آليا)

فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)} [الأحزاب]

وأما في الآخر فأبشر بالنار خالدا مخلدا فيها أبدا ورب عليك غضبان وشقاء دائم ولعنة في الدنيا والآخرة

قال تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)} [هود]

واعلم أنك لو كنت في الثريا سوف نصل إليك ونقتص منك،إن لم تتب فورا وتنفذ ما قلناه لك

قال تعالى:{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ} [الحشر:٢]

فانظر لمستقبلك الحقيقي جيدا إن كنت من العقلاء

واخلع عنك هذه الأبهة المزيفة التي وضعت فيها وأنت لست أهلا لها ...

اللهم إني قد بلغت فاشهد

في ٢٤ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ الموافق ل ٢٠١١/١٠/٢١م

المبحث الخامس

الغرب يلوح بعقوبات جرائم حرب ضد الثوار الليبيين !!!!

مطالبات دولية بالتحقيق في مقتل القذافي .. وفرنسا أول المطالبين بسداد (الديون)

جنيف ـــ عواصم ـــ (الوطن) ـــ وكالات:بدأت عدة أطراف دولية مطالبة المجلس الوطني الانتقالي في ليبيا ـــ الذي يستعد لإعلان (التحرير) اليوم ـــ بالتحقيق في الملابسات التي صاحبت قتل العقيد معمر القذافي في الوقت الذي باتت فرنسا فيه أول من يطالب (الانتقالي) صراحة بسداد ما قالت فرنسا إنه ديون جاءت نظير مشاركة فرنسا ضمن الدول التي شاركت في التحالف الدولي الذي شن غارات جوية على قوات القذافي.

وقال مكتب حقوق الإنسان في الأمم المتحدة "إذا ما جمعت شريطي الفيديو (اللذين أظهرا القذافي معتقلا وميتا) معا فكلاهما مزعج لأنك ترى شخصا اعتقل حيا ثم ترى نفس الشخص ميتا." وعندما سئل عما إذا ما كان القذافي قد أعدم قال كولفيل "يجب أن يكون هذا أحد الاحتمالات عندما تشاهد تسجيلي الفيديو. وبالتالي هو أمر بحاجة لإجراء تحقيق." وطبقا لاتفاقيات جنيف التي تحدد قواعد التصرف في الصراعات المسلحة يحظر تعذيب أو إهانة أو قتل المحتجزين. كما أعلنت واشنطن أنها تتوقع من المجلس الوطني الانتقالي التزام الشفافية في الكشف عن ظروف وأسباب مقتل القذافي.

وقال مارك تونر المتحدث باسم وزارة الخارجية إن إدارة أوباما ترغب كذلك في أن "يعامل الأسرى بصورة إنسانية".

وأضاف تونر أن المجلس الانتقالي سيقدم "المزيد من التفاصيل خلال الأيام المقبلة".

وقال وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف إن روسيا تعتقد أنه كان يتعين معاملة الزعيم الليبي السابق معمر القذافي كأسير حرب بموجب اتفاقات جنيف وكان يتعين ألا يقتل مطالبا بتحقيق في موته. وقال كلاوديو كوردون المدير الرفيع في منظمة العفو الدولية في بيان "إذا كان العقيد القذافي قد قتل بعد إلقاء القبض عليه فسوف يشكل ذلك جريمة حرب ويجب تقديم المسؤولين إلى العدالة." وقال بيتر بوكيرت من منظمة هيومان رايتس

ووتش في مقابلة أجرتها معه شبكة (سي.ان.ان) في سرت قرب المخبأ الذي عثر على القذافي مختبئا فيه "لا نعتقد أنه وقع وسط تبادل لإطلاق النار. هل توفي القذافي متأثرا بجراحه أم أصيب بجرح قاتل في الرأس بعد أن غادر هذه المنطقة؟ "ندعو إلى تشريح الجثة وإلى إجراء تحقيق. إنه عيب على ليبيا أن يموت في ظروف مريبة.

جاء ذلك فيما يترقب الليبيون إعلان "التحرير الكامل" غداة مقتل القذافي وسقوط سرت آخر معاقله وانتهاء حكمه الذي كان بلا منازع طيلة ٤٢ سنة.

٤#http://www.alwatan.com/

بعد أن منَّ الله تعالى على الإخوة في ليبيا بإلقاء القبض على الطاغية الصنم القذافي والإجهاز عليه جزاء وفاقاً،بدأ الغرب الكافر يكشر عن أنيابه ليقول:

إن الطريقة التي قتل بها الطاغية القذافي تعتبر جريمة ضد الإنسانية ولا بد من محاكمة فاعليها في محكمة العدل الدولية

ويأخذني العجب من هؤلاء الذين يتشدَّقون ليل نهار بحقوق الإنسان والحفاظ عليه،ثم يقولون مثل هذا الكلام الفارغ

لقد نسي الغرب الكافر ماذا فعل المجرم القذافي بأهل ليبيا على مدار أكثر من أربعين سنة،من قتل ونهب وسلب وسجن وتشريد عشرات الآلاف في أصقاع المعمورة ...

بل وإنشاء شبكات للجرائم المنظمة ودعم كل أنواع الفساد في الأرض

كل ذلك لا يعتبر بنظر القانون الدولي الأعمى القلب والعين جرائم ضد الإنسانية

فبأي قانون يحكمون ؟؟؟

يعطفون على المجرم الكبير،ويحاكمون الضحية المسكينة لأنها عملت عملا غير إنساني !!!!!

قال تعالى:{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ } [الحشر:٢٠]

وقال تعالى:{ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } [الجاثية:٢١]

أَيَظُنُّ الذينَ عَمِلُوا السَّيِّئات،وَاكتَسَبُوا الآثَامَ وَالمَعَاصِيَ في الدُّنيا،فَكَفَرُوا باللهِ،وكَذَّبوا رسُلَهُ،وخَالَفُوا أوامِرَه . . أَن يُسَاوِيَهُمُ اللهُ بالذينَ آمنُوا بِه،وَصَدَّقوا رُسُلَه،وَعَمِلُوا الأَعمالَ الصَّالحةَ في الدُّنيا؟ إن اللهَ تَعَالى لا يُسَاوِي بَينَ هؤُلاءِ وَهؤُلاءِ في الدُّنيا،وَفي رَحمةِ اللهِ ورِضْوانِه في الآخرةِ . وَجَعَلَ اللهُ الكَفَرَةَ الفَجَرةَ في ذُلِّ الكُفْرِ وَالمَعَاصي في الدُّنيا،وفي لَعْنَةِ اللهِ وَعَذَابِه الخَالِدِ في نَارِ جَهنَّمَ في الآخرَةِ،فَشَتَّانَ مَا بينَ هؤلاءِ وَهؤلاءِ،وَسَاءَ مَا ظَنَّهُ،وَمَا قَدَّرَهُ هؤُلاءِ المُجرِمُونَ،تَعَالى اللهُ مِنْ أَنْ يُسَاوِيَهُمْ بِالْمُؤْمنينَ الأَطْهَارِ .[١٥٣]

يجب أن نعلم الحقائق التالية عن أعداء الإسلام وعن عقوبة القصاص:

الحقيقة الأولى – هم لن يرضوا عنا ما دمنا مسلمين

قال تعالى:{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة:١٢٠]

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْجُو أَنْ يُبَادِرَ أَهْلُ الكِتَابِ إِلَى الإِيْمَانِ بِه قَبْلَ غَيْرِهِمْ،لِذلكَ كَبُرَ عَلَيه إِعْرَاضُهُمْ عَنْ إِجَابَةِ دَعْوَتِه،وَإِلحَافُهُمْ فِي مُجَاحَدَتِه،فَأَرَادَ اللهُ تَعَالَى فِي هذه الآيَةِ أَنْ يُيْئِسَهُ مِنَ الطَّمَعِ فِي إِسْلاَمِهِمْ،إِذْ عَلَّقَ رِضَاهُمْ عَنْهُ بِمَا هُوَ مُسْتَحِيلٌ أَنْ يَكُونَ،فَقَالَ لَهُ:إِنَّ اليَهُودَ وَالنَّصارَى لَنْ يَرْضَوْا عَنْكَ أَبداً مَا لَمْ تَتْبَعْ مِلَّتَهُمْ وَشَرِيعَتَهُمْ،لِذلكَ عَلَيكَ تَرْكُ طَلَبِ مَرْضَاتِهِمْ،وَالاتِّجَاهُ إِلى طَلَبِ مَرْضَاةِ اللهِ فِي دَعْوَتِكَ إِيَّاهُمْ إِلى مَا بَعَثَكَ اللهُ بِه مِنَ الحَقِّ . وَقُلْ لَهُمْ:إِنَّ الدِّينَ الذي جِئْتُ به مِنْ عِنْدِ اللهِ،وَالذي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى أَنْبِيَائِه (هُدَى اللهُ) هُوَ الدِّينُ الصَّحِيح . وَيَتَوَعَّدَ اللهُ المُؤْمنينَ الذينَ يَتَّبِعُونَ طَرائقَ اليَهُودِ والنَّصَارَى وَيَقْبَلُونَ مَا أَضَافُوهُ إِلى دِينِهِمْ مِنْ عِنْدِ أنفُسِهِمْ،بِحَسَبِ أَهْوَائِهِمْ وَغَايَاتِهِمْ،وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّهُمْ لَنْ يَكُونَ

[١٥٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٣٧٣، بترقيم الشاملة آليا)

لَهُمْ نَاصِرٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ،لأَنَّهُمْ أَصْبَحُوا عَلَى بَيِّنَةٍ مِنَ الحَقِّ بَعْدَ مَا عَلِمُوهُ مِنَ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ،(وَالخِطَابُ هُنَا لِلرَّسُولِ وَالتحذيرُ لأُمَّتِه،لأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ مَعْصُومٌ) .[١٥٤]

وسيظل اليهود والنصارى يحاربونك،ويكيدون لك،ولا يسالمونك ولا يرضون عنك،إلا أن تحيد عن هذا الأمر،وإلا أن تترك هذا الحق،وإلا أن تتخلى عن هذا اليقين،تتخلى عنه إلى ما هم فيه من ضلال وشرك وسوء تصور كالذي سبق بيانه منذ قليل:«وَلَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ» .. فتلك هي العلة الأصيلة. ليس الذي ينقصهم هو البرهان وليس الذي ينقصهم هو الاقتناع بأنك على الحق،وأن الذي جاءك من ربك الحق. ولو قدمت إليهم ما قدمت،ولو توددت إليهم ما توددت .. لن يرضيهم من هذا كله شيء،إلا أن تتبع ملتهم وتترك ما معك من الحق.

إنها العقدة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان .. إنها هي العقيدة. هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة .. إنها معركة العقيدة هي المشبوبة بين المعسكر الإسلامي وهذين المعسكرين اللذين قد يتخاصمان فيما بينهما وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينها،ولكنها تلتقي دائما في المعركة ضد الإسلام والمسلمين!

إنها معركة العقيدة في صميمها وحقيقتها. ولكن المعسكرين العريقين في العداوة للإسلام والمسلمين يلونانها بألوان شتى،ويرفعان عليها أعلاما شتى،في خبث ومكر وتورية. إنهم قد جربوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة. ومن ثم استدار الأعداء العريقون فغيروا أعلام المعركة .. لم يعلنوها حربا باسم العقيدة – على حقيقتها – خوفا من حماسة العقيدة وجيشانها. إنما أعلنوها باسم الأرض،والاقتصاد،والسياسة،والمراكز العسكرية .. وما إليها. وألقوا في روع المخدوعين الغافلين منا أن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها!

ولا يجوز رفع رايتها،وخوض المعركة باسمها. فهذه سمة المتخلفين المتعصبين! ذلك كي يأمنوا جيشان العقيدة وحماستها .. بينما هم في قرارة نفوسهم:الصهيونية العالمية والصليبية

---

[١٥٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٢٧، بترقيم الشاملة آليا)

العالمية – بإضافة الشيوعية العالمية – جميعا يخوضون المعركة أولا وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التي نطحوها طويلا،فأدمتهم جميعا!!!

إنها معركة العقيدة. إنها ليست معركة الأرض. ولا الغلة. ولا المراكز العسكرية. ولا هذه الرايات المزيفة كلها. إنهم يزيفونها علينا لغرض في نفوسهم دفين. ليخدعونا عن حقيقة المعركة وطبيعتها،فإذا نحن خدعنا بخديعتهم لنا فلا نلومن إلا أنفسنا. ونحن نبعد عن توجيه الله لنبيه – ﷺ – ولأمته،وهو – سبحانه – أصدق القائلين:«وَلَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ» ..

فذلك هو الثمن الوحيد الذي يرتضونه. وما سواه فمرفوض ومردود! ولكن الأمر الحازم،والتوجيه الصادق:«قُلْ:إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى» ..

على سبيل القصر والحصر. هدى الله هو الهدى. وما عداه ليس بهدى. فلا براح منه،ولا فكاك عنه،ولا محاولة فيه،ولا ترضية على حسابه،ولا مساومة في شيء منه قليل أو كثير،ومن شاء فليؤمن،ومن شاء فليكفر. وحذار أن تميل بك الرغبة في هدايتهم وإيمانهم،أو صداقتهم ومودتهم عن هذا الصراط الدقيق.

«وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ» .. بهذا التهديد المفزع،وبهذا القطع الجازم،وبهذا الوعيد الرعيب .. ولمن؟ لنبي الله ورسوله وحبيبه الكريم! إنها الأهواء .. إن أنت ملت عن الهدى .. هدى الله الذي لا هدى سواه .. وهي الأهواء التي تقفهم منك هذا الموقف وليس نقص الحجة ولا ضعف الدليل.والذين يتجردون منهم من الهوى يتلون كتابهم حق تلاوته،ومن ثم يؤمنون بالحق الذي معك فأما الذين يكفرون به فهم الخاسرون،لا أنت ولا المؤمنون![١٥٥]

الحقيقة الثانية – هم أشد الناس عداء لنا ولديننا

قال تعالى:{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ } [المائدة:٥٩]

---

[١٥٥] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٣١٥)

إن هذا السؤال الذي وجه الله رسوله إلى توجيهه لأهل الكتاب،هو من ناحية سؤال تقريري لإثبات ما هو واقع بالفعل منهم وكشف حقيقة البواعث التي تدفع بهم إلى موقفهم من الجماعة المسلمة ودينها وصلاتها. وهو من ناحية سؤال استنكاري،لاستنكار هذا الواقع منهم،واستنكار البواعث الدافعة عليه .. وهو في الوقت ذاته توعية للمسلمين،وتنفير لهم من موالاة القوم،وتقرير لما سبق في النداءات الثلاثة من نهي عن هذه الموالاة وتحذير.

إن أهل الكتاب لم يكونوا ينقمون على المسلمين في عهد الرسول - ﷺ - وهم لا ينقمون اليوم على طلائع البعث الإسلامي - إلا أن هؤلاء المسلمين يؤمنون بالله وما أنزله الله إليهم من قرآن وما صدق عليه قرآنهم مما أنزله الله من قبل من كتب أهل الكتاب ..

إنهم يعادون المسلمين لأنهم مسلمون! لأنهم ليسوا يهودا ولا نصارى. ولأن أهل الكتاب فاسقون منحرفون عما أنزله الله إليهم وآية فسقهم وانحرافهم أنهم لا يؤمنون بالرسالة الأخيرة وهي مصدقة لما بين أيديهم - لا ما ابتدعوه وحرفوه - ولا يؤمنون بالرسول الأخير،وهو مصدق لما بين يديه معظم لرسل الله أجمعين.

إنهم يحاربون المسلمين هذه الحرب الشعواء التي لم تضع أوزارها قط،ولم يخب أوارها طوال ألف وأربعمائة عام منذ أن قام للمسلمين كيان في المدينة وتميزت لهم شخصية وأصبح لهم وجود مستقل ناشئ من دينهم المستقل،وتصورهم المستقل،ونظامهم المستقل،في ظل منهج الله الفريد.

إنهم يشنون على المسلمين هذه الحرب المشبوبة لأنهم - قبل كل شيء - مسلمون ولا يمكن أن يطفئوا هذه الحرب المشبوبة إلا أن يردوا المسلمين عن دينهم فيصبحوا غير مسلمين .. ذلك أن أهل الكتاب أكثرهم فاسقون ومن ثم لا يحبون المستقيمين الملتزمين من المسلمين! والله - سبحانه - يقرر هذه الحقيقة في صورة قاطعة،وهو يقول لرسوله - ﷺ - في السورة الأخرى:«وَلَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ» .. ويقول له في هذه السورة أن يواجه أهل الكتاب بحقيقة بواعثهم وركيزة موقفهم:«قُلْ:يا

أَهْلَ الْكِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ؟ » ..

وهذه الحقيقة التي يقررها الله سبحانه في مواضع كثيرة من كلامه الصادق المبين،هي التي يريد تمييعها وتلبيسها وتغطيتها وإنكارها اليوم كثيرون من أهل الكتاب،وكثيرون ممن يسمون أنفسهم «مسلمين» .. باسم تعاون «المتدينين» في وجه المادية والإلحاد كما يقولون! أهل الكتاب يريدون اليوم تمييع هذه الحقيقة بل طمسها وتغطيتها،لأنهم يريدون خداع سكان الوطن الإسلامي - أو الذي كان إسلاميا بتعبير أصح - وتخدير الوعي الذي كان قد بثه فيهم الإسلام بمنهجه الرباني القويم. ذلك أنه حين كان هذا الوعي سليما لم يستطع الاستعمار الصليبي أن يقف للمد الإسلامي،فضلا على أن يستعمر الوطن الإسلامي .. ولم يكن بد لهؤلاء - بعد فشلهم في الحروب الصليبية السافرة،وفي حرب التبشير السافرة كذلك - أن يسلكوا طريق الخداع والتخدير،فيتظاهروا ويشيعوا بين ورثة المسلمين،أن قضية الدين والحرب الدينية قد انتهت! وأنها كانت مجرد فترة تاريخية مظلمة عاشتها الأمم جميعا! ثم تنور العالم و «تقدم» فلم يعد من الجائز ولا اللائق ولا المستساغ أن يقوم الصراع على أساس العقيدة .. وإنما الصراع اليوم على المادة! على الموارد والأسواق والاستغلالات فحسب! وإذن فما يجوز للمسلمين - أو ورثة المسلمين - أن يفكروا في الدين ولا في صراع الدين! وحين يطمئن أهل الكتاب - وهم الذين يستعمرون أوطان المسلمين - إلى استنامة هؤلاء لهذا التخدير وحين تتميع القضية في ضمائرهم فإن المستعمرين يأمنون غضبة المسلمين لله وللعقيدة .. الغضبة التي لم يقفوا لها يوما .. ويصبح الأمر سهلا بعد التنويم والتخدير .. ولا يكسبون معركة العقيدة وحدها. بل يكسبون معها ما وراءها من الأسلاب والمغانم والاستثمارات والخامات ويغلبون في معركة «المادة» بعد ما يغلبون في معركة «العقيدة» .. فهما قريب من قريب .. وعملاء أهل الكتاب في الوطن الإسلامي،ممن يقيمهم الاستعمار هنا وهناك علانية أو في خفية،يقولون القول نفسه .. لأنهم عملاء يؤدون الدور من داخل الحدود .. وهؤلاء يقولون عن «الحروب الصليبية» ذاتها:إنها لم تكن «صليبية»!!! ويقولون عن «المسلمين»

الذين خاضوها تحت راية العقيدة:إنهم لم يكونوا «مسلمين» وإنما هم كانوا «قوميين»! وفريق ثالث مستغفل مخدوع يناديه أحفاد «الصليبيين» في الغرب المستعمر:أن تعالوا إلينا. تعالوا نجتمع في ولاء لندفع عن «الدين» غائلة «الملحدين»! فيستجيب هذا الفريق المستغفل المخدوع ناسيا أن أحفاد الصليبيين هؤلاء وقفوا في كل مرة مع الملحدين صفا واحدا،حينما كانت المواجهة للمسلمين! على مدار القرون! وما يزالون! وأنهم لا يعنيهم حرب المادية الالحادية قدر ما تعنيهم حرب الإسلام. ذلك أنهم يعرفون جيدا أن الإلحادية المادية عرض طارئ وعدو موقوت وأن الإسلام أصل ثابت وعدو مقيم! وإنما هذه الدعوة المموهة لتمييع اليقظة البادئة عند طلائع البعث الإسلامي وللانتفاع بجهد المستغفلين المخدوعين – في الوقت ذاته – ليكونوا وقود المعركة مع الملحدين لأنهم أعداء الاستعمار السياسيون! وهؤلاء كهؤلاء حرب على الإسلام والمسلمين .. حرب لا عدة فيها للمسلم إلا ذلك الوعي الذي يربيه عليه المنهج الرباني القويم ..

إن هؤلاء الذين تخدعهم اللعبة أو يتظاهرون بالتصديق،فيحسبون أهل الكتاب جادين إذ يدعونهم للتضامن والولاء في دفع الإلحاد عن «الدين» إنما ينسون واقع التاريخ في أربعة عشر قرنا – لا استثناء فيها – كما ينسون تعليم ربهم لهم في هذا الأمر بالذات،وهو تعليم لا مواربة فيه،ولا مجال للحيدة عنه،وفي النفس ثقة بالله ويقين بجدية ما يقول! إن هؤلاء يجتزئون فيما يقولون ويكتبون بالآيات القرآنية،والأحاديث النبوية،التي تأمر المسلمين أن يحسنوا معاملة أهل الكتاب وأن يتسامحوا معهم في المعيشة والسلوك. ويغفلون التحذيرات الحاسمة عن موالاتهم والتقريرات الواعية عن بواعثهم،والتعليمات الصريحة عن خطة الحركة الإسلامية،وخطة التنظيم،التي تحرم التناصر والموالاة،لأن التناصر والموالاة لا يكونان عند المسلم إلا في شأن الدين وإقامة منهجه ونظامه في الحياة الواقعية،وليست هناك قاعدة مشتركة يلتقي عليها المسلم مع أهل الكتاب في شأن دينه – مهما يكن هناك من تلاق في أصول هذه الأديان مع دينه قبل تحريفها – إذ هم لا ينقمون منه إلا هذا الدين،ولا يرضون عنه إلا بترك هذا الدين .. كما يقول رب العالمين ..

إن هؤلاء ممن يجعلون القرآن عضين يجزئونه ويمزقونه،فيأخذون منه ما يشاءون – مما يوافق دعوتهم الغافلة الساذجة على فرض براءتها – ويدعون منه ما لا يتفق مع اتجاههم الغافل أو المريب! ونحن نؤثر أن نسمع كلام الله،في هذه القضية،على أن نسمع كلام المخدوعين أو الخادعين! وكلام الله – سبحانه – في هذه القضية حاسم واضح صريح مبين ..

ونقف وقفة قصيرة في هذا الموضع عند قوله تعالى – بعد تقرير أن سبب النقمة هو الإيمان بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل – أن بقية السبب:«وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ» فهذا الفسق هو شطر الباعث! فالفسق يحمل صاحبه على النقمة من المستقيم .. وهي قاعدة نفسية واقعية تثبتها هذه اللفتة القرآنية العجيبة .. إن الذي يفسق عن الطريق وينحرف لا يطيق أن يرى المستقيم على النهج الملتزم .. إن وجوده يشعره دائما بفسقه وانحرافه. إنه يتمثل له شاهدا قائما على فسقه هو وانحرافه .. ومن ثم يكرهه وينقم عليه. يكره استقامته وينقم منه التزام هـ ويسعى جاهدا لجره إلى طريقه أو للقضاء عليه إذا استعصى قياده! إنها قاعدة مطردة،تتجاوز موقف أهل الكتاب من الجماعة المسلمة في المدينة،إلى موقف أهل الكتاب عامة من المسلمين عامة. إلى موقف كل فاسق منحرف من كل عصبة ملتزمة مستقيمة .. والحرب المشبوبة دائما على الخيرين في مجتمع الأشرار،وعلى المستقيمين في مجتمع الفاسقين،وعلى الملتزمين في مجتمع المنحرفين ..

هذه الحرب أمر طبيعي يستند إلى هذه القاعدة التي يصورها النص القرآني العجيب ..

ولقد علم الله – سبحانه – أن الخير لا بد أن يلقى النقمة من الشر،وأن الحق لا بد أن يواجه العداء من الباطل،وأن الاستقامة لا بد أن تثير غيظ الفساق،وأن الالتزام لا بد أن يجر حقد المنحرفين.

وعلم الله – سبحانه – أن لا بد للخير والحق والاستقامة والالتزام أن تدفع عن نفسها وأن تخوض المعركة الحتمية مع الشر والباطل والفسق والانحراف. وأنها معركة لا خيار فيها،ولا يملك الحق ألا يخوضها في وجه الباطل. لأن الباطل سيهاجمه،ولا يملك الخير أن يتجنبها لأن الشر لا بد سيحاول سحقه ..

وغفلة – أي غفلة – أن يظن أصحاب الحق والخير والاستقامة والالتزام أنهم متروكون من الباطل والشر والفسق والانحراف وأنهم يملكون تجنب المعركة وأنه يمكن أن تقوم هناك مصالحة أو مهادنة! وخير لهم أن يستعدوا للمعركة المحتومة بالوعي والعدة من أن يستسلموا للوهم والخديعة .. وهم يومئذ مأكولون مأكولون![١٥٦]

الحقيقة الثالثة – هم يزعمون أنهم يحبوننا ويتعاونون معنا بألسنتهم لكن حقيقتهم غير ذلك تماما

قال تعالى:{كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠)} [التوبة:٧ – ١٠]

يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى الحِكْمَةَ مِنَ البَرَاءَةِ مِنَ المُشْرِكِينَ وَعُهُودِهِمْ،وَمِنْ نَظِرَتِهِمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ،فَيَقُولُ تَعَالَى:كَيْفَ يُؤْمِنُ هَؤُلاَءِ المُشْرِكُونَ،وَيَتْرُكُونَ فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ،وَالكُفْرِ بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ،وَهُمْ إِذَا تَمَكَّنُوا مِنَ المُسْلِمِينَ،وَغَلَبُوا عَلَيْهِمْ،لاَ يَرْعَوْنَ فِيهِم قَرَابَةً وَلاَ عَهْداً؟

أَمَّا الذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ (يَوْمَ الحُدَيبِيَةِ)،فَمَا اسْتَمْسَكُوا بِالعَهْدِ،وَاسْتَقَامُوا عَلَيْهِ،فَتَمَسَّكُوا أَنْتُمْ بِهِ،وَأَوْفُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ،لأَنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ،الذِينَ يُحَافِظُونَ عَلَى عُهُودِهِمْ .

وَقَدِ اسْتَمَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُحَافِظاً عَلَى عَهْدِهِ مَعَ قُرَيْشٍ حَتَّى نَقَضَتْهُ هِيَ،وَسَاعَدَتْ بَنِي بَكْرٍ أَحْلاَفَهَا،عَلَى خُزَاعَةَ حُلَفَاءِ الرَّسُولِ،فَسَارَ النَّبِيُّ إِلَى قُرَيْشٍ وَفَتَحَ مَكَّةَ .

يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى الأَسْبَابَ التِي تَدْعُو إِلَى أَنْ لاَ يَكُونَ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ،ذَلِكَ لأَنَّهُمْ أَشْرَكُوا بِاللهِ وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ،وَلأَنَّهُمْ إِذِ انْتَصَرُوا عَلَى المُسْلِمِينَ،وَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ،اجْتَثُّوهُمْ وَلَمْ يُبْقُوا عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ،وَلَمْ يَرْقُبُوا فِي المُسْلِمِينَ قَرَابَةً،وَلا عَهْداً،فِي نَقْضِ العَهْدِ وَالمِيثَاقِ،وَهَؤُلاَءِ

---

[١٥٦] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ١٣١٩)

يَخْدَعُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَلاَمِهِمِ الْمَعْسُولِ،وَقُلُوبُهُمْ مُنْطَوِيَةٌ عَلَى كَرَاهَتِهِمْ،وَأَكْثَرُهُمْ خَارِجُونَ عَنِ الْحَقِّ،نَاقِضُونَ لِلْعَهْدِ .

اعْتاضُوا عَنِ اتِّبَاعِ آيَاتِ اللهِ بِمَا التَهَوا بِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيا الخَسِيسَةِ،فَمَنَعُوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ الإِيمَانِ بِاللهِ،وَعَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ،وَمَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ فِي الإِسْلاَمِ فَبِئْسَ العَمَلِ عَمَلُهُمْ،وَسَاءَ مَا عَمِلُوا مِنِ اشْتِرَاءِ الكُفْرِ بِالإِيمَانِ،وَالضَّلاَلَةِ بِالهُدَى .

وَيَجْعَلُهُمْ كُفْرُهُمْ لاَ يَرْعَوْنَ فِي مُؤْمِنٍ،يَقْدِرُونَ عَلَى الفَتْكِ بِهِ،قَرَابَةً تَقْتَضِي الودَّ،وَلا ذِمَّةً تُوجِبُ الوَفَاءَ بِالعَهْدِ،وَلا رِبّاً يُحَرِّمُ الخِيَانَةَ وَالغَدْرَ،وَهَؤُلاَءِ هُمُ الْمُتَجَاوِزُونَ الحُدُودَ فِي الظُّلْمِ [١٥٧].

إن المشركين لا يدينون لله بالعبودية خالصة،وهم كذلك لا يعترفون برسالة رسوله. فكيف يجوز أن يكون لهؤلاء عهد عند الله وعند رسوله؟ إنهم لا يواجهون بالإنكار والجحود عبدا مثلهم،ولا منهجا من مناهج العبيد من أمثالهم. إنما هم يواجهون بالجحود خالقهم ورازقهم وهم يحادون الله ورسوله بهذا الجحود ابتداء .. فكيف يجوز أن يكون لهم عهد عند الله وعند رسوله؟

هذه هي القضية التي يثيرها هذا السؤال الاستنكاري .. وهي قضية تنصب على مبدأ التعاهد ذاته لا على حالة معينة من حالاته ..

وقد يستشكل على هذا بأنه كانت للمشركين عهود فعلا وبعض هذه العهود أمر الله بالوفاء بها. وأنه قد وقعت عهود سابقة منذ قيام الدولة المسلمة في المدينة. عهود مع اليهود وعهود مع المشركين. وأنه وقع عهد الحديبية في السنة السادسة للهجرة. وأن النصوص القرآنية في سور سابقة كانت تجيز هذه العهود وإن كانت تجيز نبذها عند خوف الخيانة .. فإذا كان مبدأ التعاهد مع المشركين هو الذي يرد عليه الإنكار هنا،فكيف إذن أبيحت تلك العهود وقامت حتى نزل هذا الاستنكار الأخير لمبدأ التعاهد؟! وهذا الاستشكال لا معنى له في ظل الفهم الصحيح لطبيعة المنهج الحركي الإسلامي الذي أسلفنا الحديث عنه في مطالع هذه السورة وفي مطالع سورة الأنفال قبلها .. لقد كانت تلك المعاهدات

---

[١٥٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٢٤٣، بترقيم الشاملة آليا)

مواجهة للواقع في حينه بوسائل مكافئة له أما الحكم النهائي فهو أنه لا ينبغي أن يكـــون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ..

كانت أحكاما مرحلية في طريق الحركة الإسلامية التي تســـتهدف ابتـــداء ألا يكـــون في الأرض شرك بالله وأن تكون الدينونة لله وحده .. ولقد أعلن الإسلام هدفه هذا منذ أول يوم و لم يخدع عنه أحدا. فإذا كانت الظروف الواقعية تقضي بأن يدع من يسالمونه ابتداء من المشركين ليتفرغ لمن يهاجمونه وأن يوادع من يريدون موادعته في فترة من الفتـــرات. وأن يعاهد من يريدون معاهدته في مرحلة من المراحل. فإنه لا يغفل لحظـــة عـــن هدفـــه النهائي الأخير كما أنه لا يغفل عن أن هذه الموادعات والمعاهدات مـــن جانـــب بعـــض المشركين موقوتة من جانبهم هم أنفسهم. وأنهم لا بد مهاجموه ومحاربوه ذات يوم وأنهـــم لن يتركوه وهم يستيقنون من هدفه ولن يأمنوه على أنفسهم إلا ريثمـــا يســـتعدون لـــه ويستديرون لمواجهته .. ولقد قال الله للمسلمين منذ أول الأمر:«وَلا يَزالُونَ يُقـــاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا» .. وهي قولة الأبد التي لا تتخصص بـــزمن ولا بيئة! وقولة الحق التي لا تتعلق بظرف ولا حالة! ومع اســـتنكار الأصـــل،فقد أذن الله – سبحانه – بإتمام عهود ذوي العهود الذين لم ينقصوا المسلمين شيئا و لم يظاهروا علـــيهم أحدا إلى مدتها،مع اشتراط أن تكون الاستقامة على العهد – في هذه المدة – من المسلمين مقيدة باستقامة ذوي العهود عليها:«إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ،فَمَا اسْتَقامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ،إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ» ..

وهؤلاء الذين تشير الآية إلى معاهدتهم عند المسجد الحرام ليسوا طائفة أخرى غير التي ورد ذكرها من قبل في قوله تعالى:«إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ،إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ» .. كما فهم بعض المفسرين المحدثين .. فهي طائفة واحدة ذكرت أول مرة بمناســـبة عمـــوم الـــبراءة وإطلاقها،لاستثنائها من هذا العموم. وذكرت مرة ثانية بمناسبة استنكار مبدأ التعاهد ذاته مع المشركين مخافة أن يظن أن هذا الحكم المطلق فيه نسخ للحكـــم الأول .. وذكـــرت التقوى وحب الله للمتقين هنا وهناك بنصها للدلالة على أن الموضوع واحـــد. كمـــا أن

النص الثاني مكمل للشروط المذكورة في النص الأول. ففي الأول اشتراط استقامتهم في الماضي،وفي الثاني اشتراط استقامتهم في المستقبل. وهي دقة بالغة في صياغة النصوص – كما أسلفنا – لا تلحظ إلا بضم النصين الواردين في الموضوع الواحد،كما هو ظاهر ومتعين.

ثم يعود لاستنكار مبدأ التعاهد بأسبابه التاريخية والواقعية بعد استنكاره بأسبابه العقدية والإيمانية ويجمع بين هذه وتلك في الآيات التالية:«كَيْفَ؟ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلا ذِمَّةً،يُرْضُونَكُمْ بِأَفْواهِهِمْ وَتَأْبى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ. اشْتَرَوْا بِآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ،إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ. لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلا ذِمَّةً،وَأُولئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ» ..

كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله وهم لا يعاهدونكم إلا في حال عجزهم عن التغلب عليكم. ولو ظهروا عليكم وغلبوكم لفعلوا بكم الأفاعيل في غير مراعاة لعهد قائم بينهم وبينكم،وفي غير ذمة يرعونها لكم أو في غير تحرج ولا تذمم من فعل يأتونه معكم! فهم لا يرعون عهدا،ولا يقفون كذلك عند حد في التنكيل بكم ولا حتى الحدود المتعارف عليها في البيئة والتي يذمون لو تجاوزوها. فهم لشدة ما يكنونه لكم من البغضاء يتجاوزون كل حد في التنكيل بكم،لو أنهم قدروا عليكم. مهما يكن بينكم وبينهم من عهود قائمة. فليس الذي يمنعهم من أي فعل شائن معكم أن تكون بينكم وبينهم عهود إنما يمنعهم أنهم لا يقدرون عليكم ولا يغلبونكم! .. وإذا كانوا اليوم – وأنتم أقوياء – يرضونكم بأفواههم بالقول اللين والتظاهر بالوفاء بالعهد. فإن قلوبهم تنغل عليكم بالحقد وتأبى أن تقيم على العهد فما بهم من وفاء لكم ولا ود! «وَأَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ. اشْتَرَوْا بِآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ. إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» ..

وهذا هو السبب الأصيل لهذا الحقد الدفين عليكم،وإضمار عدم الوفاء بعهودكم،والانطلاق في التنكيل بكم – لو قدروا – من كل تحرج ومن كل تذمم .. إنه الفسوق عن دين الله،والخروج عن هداه. فلقد آثروا على آيات الله التي جاءتهم ثمنا قليلا من عرض هذه الحياة الدنيا يستمسكون به ويخافون فوته. وقد كانوا يخافون أن يضيع

عليهم الإسلام شيئامن مصالحهم أو أن يكلفهم شيئا من أموالهم! فصدوا عن سبيل الله بسبب شرائهم هذا الثمن القليل بآيات الله. صدوا أنفسهم وصدوا غيرهم (فسيجيء أنهم أئمة الكفر) .. أما فعلهم هذا فهو الفعل السيئ الذي يقرر الله سوءه الأصيل:
«إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ!"..
ثم إنهم لا يضمرون هذا الحقد لأشخاصكم ولا يتبعون تلك الخطة المنكرة معكم بذواتكم .. إنهم يضطغنون الحقد لكل مؤمن ويتبعون هذا المنكر مع كل مسلم .. إنهم يوجهون حقدهم وانتقامهم لهذه الصفة التي أنتم عليها .. للإيمان ذاته .. كما هو المعهود في كل أعداء الصفوة الخالصة من أهل هذا الدين،على مدار التاريخ والقرون .. فكذلك قال السحرة لفرعون وهو يتوعدهم بأشد أنواع التعذيب والتنكيل والتقتيل:«وَما تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآياتِ رَبِّنا لَمَّا جاءَتْنا» .. وكذلك قال رسول الله - ﷺ - لأهل الكتاب بتوجيه من ربه:«قل:يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله؟ » وقال سبحانه عن أصحاب الأخدود الذين أحرقوا المؤمنين:«وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ». فالإيمان هو سبب النقمة،ومن ثم هم يضطغنون الحقد لكل مؤمن،ولا يراعون فيه عهدا ولا يتذممون من منكر:«لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلا ذِمَّةً،وَأُولئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ» .. فصفة الاعتداء أصيلة فيهم .. تبدأ من نقطة كرههم للإيمان ذاته وصدودهم عنه وتنتهي بالوقوف في وجهه وتربصهم بالمؤمنين وعدم مراعاتهم لعهد معهم ولا صلة،إذا هم ظهروا عليهم وأمنوا بأسهم وقوتهم. وعندئذ يفعلون بهم الأفاعيل غير مراعين لعهد قائم،ولا متحرجين ولا متذممين من منكر يأتونه معهم .. وهم آمنون .. !
ثم يبين الله كيف يقابل المؤمنون هذه الحال الواقعة من المشركين:«فَإِنْ تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ،وَنُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» ..
إن المسلمين يواجهون أعداء يتربصون بهم ولا يقعد هؤلاء الأعداء عن الفتك بالمسلمين بلا شفقة ولا رحمة إلا عجزهم عن ذلك. لا يقعدهم عهد معقود،ولا ذمة مرعية،ولا تحرج من مذمة،ولا إبقاء على صلة .. ووراء هذا التقرير تاريخ طويل،يشهد كله بأن هذا

هو الخط الأصيل الذي لا ينحرف إلا لطارئ زائل،ثم يعود فيأخذ طريقه المرسوم! هـذا التاريخ الطويل من الواقع العملي بالإضافة إلى طبيعة المعركة المحتومة بين منهج الله الـذي يخرج الناس من العبودية للعباد ويردهم إلى عبادة الله وحده،وبين مناهج الجاهلية التي تعبد الناس للعبيد .. يواجهه المنهج الحركي الإسلامي بتوجيه من الله سـبحانه،بهذا الحسـم الصريح:«فَإِنْ تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» .. «وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْـرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» ..

فإما دخول فيما دخل فيه المسلمون،وتوبة عما مضى من الشرك والاعتـداء. وعندئـذ يصفح الإسلام والمسلمون عن كل ما لقوا من هؤلاء المشركين المعتدين وتقوم الوشـيجة على أساس العقيدة ويصبح المسلمون الجدد إخوانا للمسلمين القـدامى ويسـقط ذلـك الماضي كله بمساءاته من الواقع ومن القلوب! «وَنُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» ..

فهذه الأحكام إنما يدركها ويدرك حكمتها الذين يعلمون وهم المؤمنون.

وإما نكث لما يبايعون عليه من الإيمان بعد الدخول فيه،وطعن في دين المسلمين. فهـم إذن أئمة في الكفر،لا أيمان لهم ولا عهود. وعندئذ يكون القتال لهم لعلهم حينئذ أن يثوبوا إلى الهدى .. كما سبق أن قلنا:

إن قوة المعسكر المسلم وغلبته في الجهاد قد ترد قلوبا كثيرة إلى الصواب وتـريهم الحـق الغالب فيعرفونه ويعلمون أنه إنما غلب لأنه الحق ولأن وراءه قوة الله وأن رسول الله – ﷺ – صادق فيما أبلغهم من أن الله غالب هو ورسله. فيقودهم هذا كله إلى التوبة والهـدى. لا كرها وقهرا،ولكن اقتناعا بالقلب بعد رؤية واضحة للحق الغالب. كما وقع وكما يقع في كثير من الأحايين.

وفي الحقيقة إن المعركة الطويلة الأمد لم تكن بين الإسلام والشرك بقدر ما كانـت بـين الإسلام وأهل الكتاب من اليهود والنصارى. ولكن هذا لا ينفي أن موقف المشركين من المسلمين كان دائما هو الذي تصوره آيات هذا المقطع من السورة:«كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَـرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلا ذِمَّةً! يُرْضُونَكُمْ بِأَفْواهِهِمْ وَتَأْبى قُلُوبُهُمْ،وَأَكْثَرُهُمْ فاسِـقُونَ.

اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ،إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ. لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلا ذِمَّةً،وَأُولئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ» ..

لقد كان هذا هو الموقف الدائم للمشركين وأهل الكتاب من المسلمين. فأما أهل الكتاب فندع الحديث عنهم إلى موعده في المقطع الثاني من السورة وأما المشركون فقد كان هذا دأبهم من المسلمين على مدار التاريخ ..

وإذا نحن اعتبرنا أن الإسلام لم يبدأ برسالة محمد - ﷺ - إنما ختم بهذه الرسالة. وأن موقف المشركين من كل رسول ومن كل رسالة من قبل إنما يمثل موقف الشرك من دين الله على الإطلاق فإن أبعاد المعركة تترامى ويتجلى الموقف على حقيقته كما تصوره تلك النصوص القرآنية الخالدة،على مدار التاريخ البشري كله بلا استثناء! ماذا صنع المشركون مع نوح،وهود،وصالح،وإبراهيم،وشعيب،وموسى،وعيسى،عليهم صلوات الله وسلامه والمؤمنين بهم في زمانهم؟ ثم ماذا صنع المشركون مع محمد - ﷺ - والمؤمنين به كذلك؟ .. إنهم لم يرقبوا فيهم إلّا ولا ذمة متى ظهروا عليهم وتمكنوا منهم .. وماذا صنع المشركون بالمسلمين أيام الغزو الثاني للشرك على أيدي التتار؟ ثم ما يصنع المشركون والملحدون اليوم بعد أربعة عشر قرنا بالمسلمين في كل مكان؟ .. إنهم لا يرقبون فيهم إلّا ولا ذمة،كما يقرر النص القرآني الصادق الخالد ..

عندما ظهر الوثنيون التتار على المسلمين في بغداد وقعت المأساة الدامية التي سجلتها الروايات التاريخية والتي نكتفي فيها بمقتطفات سريعة من تاريخ «البداية والنهاية» لابن كثير فيما رواه من أحداث عام ٦٥٦ هـ:[ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمائَةٍ][الْأَحْدَاثُ الْوَاقِعَةُ فِيهَا]

فِيهَا أَخَذَتِ التَّتَارُ بَغْدَادَ وَقَتَلُوا أَكْثَرَ أَهْلِهَا حَتَّى الْخَلِيفَةَ،وَانْقَضَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْهَا.

اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَجُنُودُ التَّتَارِ قَدْ نَازَلَتْ بَغْدَادَ صُحْبَةَ الْأَمِيرَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَى مُقَدِّمَةِ عَسَاكِرِ سُلْطَانِ التَّتَارِ هُولَاكُوقَانَ،وَجَاءَتْ إِلَيْهِمْ أَمْدَادُ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ يُسَاعِدُونَهُمْ عَلَى الْبَغَادِدَةِ وَمِيرَتُهُ وَهَدَايَاهُ وَتُحَفُهُ،وَكُلُّ ذَلِكَ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنَ التَّتَارِ،وَمُصَانَعَةً لَهُمْ،قَبَّحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى،وَقَدْ سُتِرَتْ بَغْدَادُ،وَنُصِبَتْ فِيهَا الْمَجَانِيقُ وَالْعَرَّادَاتُ وَغَيْرُهَا مِنْ

آلَاتِ الْمُمَانَعَةِ الَّتِي لَا تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَيْئًا،كَمَا وَرَدَ فِي الْأَثَرِ:(لَنْ يُغْنِيَ حَذَرٌ عَنْ قَدَرٍ) وَكَمَا قَالَ تَعَالَى:{إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ} [نوح:٤] وَقَالَ تَعَالَى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} [الرعد:١١] .

وَأَحَاطَ التَّتَارُ بِدَارِ الْخِلَافَةِ يَرْشُقُونَهَا بِالنُّشَّابِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ،حَتَّى أُصِيبَتْ جَارِيَةٌ كَانَتْ تَلْعَبُ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ وَتُضْحِكُهُ،وَكَانَتْ مِنْ جُمْلَةِ الْحَظَايَا،وَكَانَتْ مُوَلَّدَةً تُسَمَّى عَرَفَةَ،جَاءَهَا سَهْمٌ مِنْ بَعْضِ الشَّبَابِيكِ فَقَتَلَهَا وَهِيَ تَرْقُصُ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ،فَانْزَعَجَ الْخَلِيفَةُ مِنْ ذَلِكَ،وَفَزِعَ فَزَعًا شَدِيدًا،وَأَحْضَرَ السَّهْمَ الَّذِي أَصَابَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ،فَإِذَا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ:إِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِنْفَاذَ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ سَلَبَ ذَوِي الْعُقُولِ عُقُولَهُمْ. فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ عِنْدَ ذَلِكَ بِزِيَادَةِ الِاحْتِرَازِ،وَكَثْرَةِ السَّتَائِرِ عَلَى دَارِ الْخِلَافَةِ،وَكَانَ قُدُومُ هُولَاكُوقَانَ بِجُنُودِهِ كُلِّهَا - وَكَانُوا نَحْوَ مِائَتَيْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ - إِلَى بَغْدَادَ فِي ثَانِي عَشَرَ الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ،وَهُوَ شَدِيدُ الْحَنَقِ عَلَى الْخَلِيفَةِ بِسَبَبِ مَا كَانَ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ وَقَضَاهُ وَأَنْفَذَهُ وَأَمْضَاهُ،وَهُوَ أَنَّ هُولَاكُوقَانَ لَمَّا كَانَ أَوَّلُ بُرُوزِهِ مِنْ هَمَذَانَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْعِرَاقِ أَشَارَ الْوَزِيرُ مُؤَيِّدُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلْقَمِيِّ عَلَى الْخَلِيفَةِ بِأَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ بِهَدَايَا سَنِيَّةٍ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ مُدَارَاةً لَهُ عَمَّا يُرِيدُهُ مِنْ قَصْدِ بِلَادِهِمْ،فَخَذَّلَ الْخَلِيفَةَ عَنْ ذَلِكَ دُوَيْدَارُهُ الصَّغِيرُ أَيْبَكُ وَغَيْرُهُ،وَقَالُوا:إِنَّ الْوَزِيرَ إِنَّمَا يُرِيدُ بِهَذَا مُصَانَعَةَ مَلِكِ التَّتَارِ بِمَا يَبْعَثُهُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ،وَأَشَارُوا بِأَنْ يَبْعَثَ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ،فَأَرْسَلَ شَيْئًا مِنَ الْهَدَايَا،فَاحْتَقَرَهَا هُولَاكُوقَانَ،وَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَطْلُبُ مِنْهُ دُوَيْدَارَهُ الْمَذْكُورَ،وَسُلَيْمَانَ شَاهْ،فَلَمْ يَبْعَثْهُمَا إِلَيْهِ،وَلَا بَالَى بِهِ حَتَّى أَزِفَ قُدُومُهُ،وَوَصَلَ بَغْدَادَ بِجُنُودِهِ الْكَثِيرَةِ الْكَافِرَةِ الْفَاجِرَةِ الظَّالِمَةِ الْغَاشِمَةِ،مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

فَأَحَاطُوا بِبَغْدَادَ مِنْ نَاحِيَتِهَا الْغَرْبِيَّةِ وَالشَّرْقِيَّةِ،وَجُنُودُ بَغْدَادَ فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ وَنِهَايَةِ الذِّلَّةِ،لَا يَبْلُغُونَ عَشَرَةَ آلَافِ فَارِسٍ،وَهُمْ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ،وَبَقِيَّةُ الْجَيْشِ كُلُّهُمْ قَدْ صُرِفُوا عَنْ إِقْطَاعَاتِهِمْ حَتَّى اسْتَعْطَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي الْأَسْوَاقِ وَأَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ،وَأَنْشَدَ فِيهِمُ الشُّعَرَاءُ الْقَصَائِدَ يَرْثُونَ لَهُمْ،وَيَحْزَنُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ،وَذَلِكَ كُلُّهُ عَنْ آرَاءِ الْوَزِيرِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ

الرَّافِضِيِّ،وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ كَانَ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالرَّافِضَةِ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ،نُهِبَتْ فِيهَا الْكَرْخُ مَحَلَّةُ الرَّافِضَةِ،حَتَّى نُهِبَتْ دَوْرُ قَرَابَاتِ الْوَزِيرِ،فَاشْتَدَّ حَنَقُهُ عَلَى ذَلِكَ،فَكَانَ هَذَا مِمَّا أَهَاجَهُ عَلَى أَنْ دَبَّرَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ الَّذِي لَمْ يُؤَرَّخْ أَبْشَعُ مِنْهُ مُنْذُ بُنِيَتْ بَغْدَادُ،وَإِلَى هَذِهِ الْأَوْقَاتِ،وَلِهَذَا كَانَ أَوَّلُ مَنْ بَرَزَ إِلَى التَّتَارِ هُوَ،فَخَرَجَ فِي أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَخَدَمِهِ وَحَشَمِهِ،فَاجْتَمَعَ بِالسُّلْطَانِ هُولَاكُوقَانَ،لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى،ثُمَّ عَادَ فَأَشَارَ عَلَى الْخَلِيفَةِ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ وَالْمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ لِتَقَعَ الْمُصَالَحَةُ عَلَى أَنْ يَكُونَ نِصْفُ خَرَاجِ الْعِرَاقِ لَهُمْ وَنِصْفُهُ لِلْخَلِيفَةِ،فَاحْتَاجَ الْخَلِيفَةُ إِلَى أَنْ خَرَجَ فِي سَبْعِمِائَةِ رَاكِبٍ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ وَرُءُوسِ الْأُمَرَاءِ وَالدَّوْلَةِ وَالْأَعْيَانِ،فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْ مَنْزِلِ السُّلْطَانِ هُولَاكُوقَانَ حُجِبُوا عَنِ الْخَلِيفَةِ إِلَّا سَبْعَةَ عَشَرَ نَفْسًا،فَخَلَصَ الْخَلِيفَةُ بِهَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ،وَأُنْزِلَ الْبَاقُونَ عَنْ مَرَاكِبِهِمْ وَنُهِبَتْ،وَقُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ،وَأُحْضِرَ الْخَلِيفَةُ بَيْنَ يَدَيْ هُولَاكُو فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ،فَيُقَالُ:إِنَّهُ اضْطَرَبَ كَلَامُ الْخَلِيفَةِ مِنْ هَوْلِ مَا رَأَى مِنَ الْإِهَانَةِ وَالْجَبَرُوتِ.

ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ وَفِي صُحْبَتِهِ خَوَاجَا نَصِيرٌ الطُّوسِيُّ،لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَالْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ وَغَيْرُهُمَا،وَالْخَلِيفَةُ تَحْتَ الْحَوْطَةِ وَالْمُصَادَرَةِ،فَأَحْضَرَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْحُلِيِّ وَالْمَصَاغِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَشْيَاءِ النَّفِيسَةِ،وَقَدْ أَشَارَ أُولَئِكَ الْمَلَأُ مِنَ الرَّافِضَةِ،لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ،وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى هُولَاكُوقَانَ أَنْ لَا يُصَالِحَ الْخَلِيفَةَ،وَقَالَ الْوَزِيرُ:مَتَى وَقَعَ الصُّلْحُ عَلَى الْمُنَاصَفَةِ لَا يَسْتَمِرُّ هَذَا إِلَّا عَامًا أَوْ عَامَيْنِ،ثُمَّ يَعُودُ الْأَمْرُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ. وَحَسَّنُوا لَهُ قَتْلَ الْخَلِيفَةِ،فَلَمَّا عَادَ الْخَلِيفَةُ إِلَى السُّلْطَانِ هُولَاكُو أَمَرَ بِقَتْلِهِ،وَيُقَالُ:إِنَّ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ الْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ وَالنَّصِيرُ الطُّوسِيُّ. وَكَانَ النَّصِيرُ عِنْدَ هُولَاكُو قَدِ اسْتَصْحَبَهُ فِي خِدْمَتِهِ لَمَّا فَتَحَ قِلَاعَ الْأَلْمُوتِ وَانْتَزَعَهَا مِنْ أَيْدِي الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ،وَكَانَ النَّصِيرُ وَزِيرًا لِشَمْسِ الشُّمُوسِ،وَلِأَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ عَلَاءِ الدِّينِ بْنِ جَلَالِ الدِّينِ،وَكَانُوا يَنْتَسِبُونَ إِلَى نِزَارِ بْنِ الْمُسْتَنْصِرِ الْعُبَيْدِيِّ،وَانْتَخَبَ هُولَاكُوقَانَ النَّصِيرَ لِيَكُونَ فِي خِدْمَتِهِ كَالْوَزِيرِ الْمُشِيرِ،فَلَمَّا قَدِمَ هُولَاكُوقَانَ وَتَهَيَّبَ مِنْ قَتْلِ الْخَلِيفَةِ هَوَّنَ عَلَيْهِ الْوَزِيرَانِ ذَلِكَ،فَقَتَلُوهُ رَفْسًا وَهُوَ فِي جُوَالِقَ،لِئَلَّا يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ مِنْ دَمِهِ،خَافُوا أَنْ

يُؤْخَذَ بِثَأْرِهِ فِيمَا قِيلَ لَهُمْ،وَقِيلَ:بَلْ خُنِقَ. وَيُقَالُ:غُرِّقَ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ. فَبَاءُوا بِإِثْمِهِ وَإِثْمِ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ سَادَاتِ الْعُلَمَاءِ وَالْقُضَاةِ وَالْأَكَابِرِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالْأُمَرَاءِ وَأُولِي الْحَلِّ وَالْعَقْدِ بِبِلَادِ بَغْدَادَ - وَسَتَأْتِي تَرْجَمَةُ الْخَلِيفَةِ فِي الْوَفَيَاتِ - وَمَالُوا عَلَى الْبَلَدِ،فَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ وَالْمَشَايِخِ وَالْكُهُولِ وَالشُّبَّانِ.

وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي الْآبَارِ وَأَمَاكِنِ الْحُشُوشِ،وَقُنِيِّ الْوَسَخِ،وَكَمَنُوا كَذَلِكَ أَيَّامًا لَا يَظْهَرُونَ،وَكَانَ الْفِئَامُ مِنَ النَّاسِ يَجْتَمِعُونَ فِي الْخَانَاتِ،وَيُغْلِقُونَ عَلَيْهِمُ الْأَبْوَابَ،فَتَفْتَحُهَا التَّتَارُ إِمَّا بِالْكَسْرِ أَوْ بِالنَّارِ،ثُمَّ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ فَيَهْرُبُونَ مِنْهُمْ إِلَى أَعَالِي الْمَكَانِ،فَيَقْتُلُونَهُمْ فِي الْأَسْطِحَةِ،حَتَّى تَجْرِيَ الْمَيَازِيبُ مِنَ الدِّمَاءِ فِي الْأَزِقَّةِ،فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ،وَكَذَلِكَ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْجَوَامِعِ وَالرُّبُطِ،وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ سِوَى أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى،وَمَنِ الْتَجَأَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى دَارِ الْوَزِيرِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ الرَّافِضِيِّ،وَطَائِفَةٍ مِنَ التُّجَّارِ أَخَذُوا لَهُمْ أَمَانًا بَذَلُوا عَلَيْهِ أَمْوَالًا جَزِيلَةً حَتَّى سَلِمُوا وَسَلِمَتْ أَمْوَالُهُمْ. وَعَادَتْ بَغْدَادُ بَعْدَمَا كَانَتْ آنَسَ الْمُدُنِ كُلِّهَا كَأَنَّهَا خَرَابٌ لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ،وَهُمْ فِي خَوْفٍ وَجُوعٍ وَذِلَّةٍ وَقِلَّةٍ. وَكَانَ الْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ قَبْلَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ يَجْتَهِدُ فِي صَرْفِ الْجُيُوشِ وَإِسْقَاطِ أَسْمَائِهِمْ مِنَ الدِّيوَانِ،فَكَانَتِ الْعَسَاكِرُ فِي آخِرِ أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ قَرِيبًا مِنْ مِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ،مِنْهُمْ مَنَ الْأُمَرَاءِ مَنْ هُوَ كَالْمُلُوكِ الْأَكَابِرِ،فَلَمْ يَزَلْ يَجْتَهِدُ فِي تَقْلِيلِهِمْ إِلَى أَنْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا عَشَرَةُ آلَافٍ،ثُمَّ كَاتَبَ التَّتَارَ،وَأَطْمَعَهُمْ فِي أَخْذِ الْبِلَادِ،وَسَهَّلَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ،وَجَلَّى لَهُمْ حَقِيقَةَ الْحَالِ،وَكَشَفَ لَهُمْ ضَعْفَ الرِّجَالِ،وَذَلِكَ كُلُّهُ طَمَعًا مِنْهُ أَنْ يُزِيلَ السُّنَّةَ بِالْكُلِّيَّةِ،وَأَنْ يُظْهِرَ الْبِدْعَةَ الرَّافِضِيَّةَ،وَأَنْ يُقِيمَ خَلِيفَةً مِنَ الْفَاطِمِيِّينَ،وَأَنْ يُبِيدَ الْعُلَمَاءَ وَالْمُفْتِينَ،وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ،وَقَدْ رَدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ،وَأَذَلَّهُ بَعْدَ الْعِزَّةِ الْقَعْسَاءِ،وَجَعَلَهُ حُوشْكَاشًا لِلتَّتَارِ بَعْدَمَا كَانَ وَزِيرًا لِلْخُلَفَاءِ،وَاكْتَسَبَ إِثْمَ مَنْ قُتِلَ بِمَدِينَةِ بَغْدَادَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ،فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي كَمِّيَّةِ مَنْ قُتِلَ بِبَغْدَادَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،فَقِيلَ:ثَمَانُمِائَةِ أَلْفٍ،وَقِيلَ:أَلْفُ أَلْفٍ وَثَمَانُمِائَةِ أَلْفٍ. وَقِيلَ:بَلَغَتِ الْقَتْلَى أَلْفَيْ أَلْفِ نَفْسٍ،فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ،وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَكَانَ دُخُولُهُمْ إِلَى بَغْدَادَ فِي أَوَاخِرِ الْمُحَرَّمِ،وَمَا زَالَ السَّيْفُ يَقْتُلُ أَهْلَهَا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا،وَكَانَ قَتْلُ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعْصِمِ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ رَابِعَ عَشَرَ صَفَرٍ،وَعَفَا قَبْرُهُ،وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمئذٍ ستًّا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ،وَمُدَّةُ خِلَافَتِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ وَأَيَّامٌ،وَقُتِلَ مَعَهُ وَلَدُهُ الْأَكْبَرُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ،وَلَهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً،ثُمَّ قُتِلَ وَلَدُهُ الْأَوْسَطُ أَبُو الْفَضْلِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ،وَلَهُ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً،وَأُسِرَ وَلَدُهُ الْأَصْغَرُ مُبَارَكٌ،وَأَسِرَتْ أَخَوَاتُهُ الثَّلَاثُ؛ فَاطِمَةُ وَخَدِيجَةُ وَمَرْيَمُ،وَأُسِرَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ مِنَ الْأَبْكَارِ مَا يُقَارِبُ أَلْفَ بِكْرٍ فِيمَا قِيلَ،وَاللَّهُ أَعْلَمُ،فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَقُتِلَ أُسْتَاذُ دَارِ الْخِلَافَةِ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ،وَكَانَ عَدُوَّ الْوَزِيرِ،وَقُتِلَ أَوْلَادُهُ الثَّلَاثَةُ؛ عَبْدُ الرَّحْمَنِ،وَعَبْدُ اللَّهِ،وَعَبْدُ الْكَرِيمِ،وَأَكَابِرُ الدَّوْلَةِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ،مِنْهُمُ الدُّوَيْدَارُ الصَّغِيرُ مُجَاهِدُ الدِّينِ أَيْبَكُ،وَشِهَابُ الدِّينِ سُلَيْمَانُ شَاهْ،وَجَمَاعَةٌ مِنْ أُمَرَاءِ السُّنَّةِ وَأَكَابِرِ الْبَلَدِ.

وَكَانَ الرَّجُلُ يُسْتَدْعَى بِهِ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ،فَيَخْرُجُ بِأَوْلَادِهِ وَنِسَائِهِ وَجَوَارِيهِ،فَيُذْهَبُ بِهِ إِلَى مَقْبَرَةِ الْخَلَّالِ،تُجَاهَ الْمَنْظَرَةِ،فَيُذْبَحُ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ،وَيُؤْسَرُ مَنْ يَخْتَارُونَ مِنْ بَنَاتِهِ وَجَوَارِيهِ.

وَقُتِلَ شَيْخُ الشُّيُوخِ مُؤَدِّبُ الْخَلِيفَةِ صَدْرُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ النَّيَّارِ،وَقُتِلَ الْخُطَبَاءُ وَالْأَئِمَّةُ،وَحَمَلَةُ الْقُرْآنِ،وَتَعَطَّلَتِ الْمَسَاجِدُ وَالْجَمَاعَاتُ وَالْجُمُعَاتُ مُدَّةَ شُهُورٍ بِبَغْدَادَ،وَأَرَادَ الْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ،قَبَّحَهُ اللَّهُ وَلَعَنَهُ،أَنْ يُعَطِّلَ الْمَسَاجِدَ وَالْمَدَارِسَ وَالرُّبُطَ بِبَغْدَادَ،وَيَسْتَمِرَّ بِالْمَشَاهِدِ وَمَحَالِّ الرَّفْضِ،وَأَنْ يَبْنِيَ لِلرَّافِضَةِ مَدْرَسَةً هَائِلَةً يَنْشُرُونَ عِلْمَهُمْ وَعَلَمَهُمْ بِهَا وَعَلَيْهَا،فَلَمْ يُقَدِّرْهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ،بَلْ أَزَالَ نِعْمَتَهُ عَنْهُ،وَقَصَفَ عُمْرَهُ بَعْدَ شُهُورٍ يَسِيرَةٍ مِنْ هَذِهِ الْحَادِثَةِ،وَأَتْبَعَهُ بِوَلَدِهِ فَاجْتَمَعَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - بِالدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

وَلَمَّا انْقَضَى أَمَدُ الْأَمْرِ الْمَقْدُورِ،وَانْقَضَتِ الْأَرْبَعُونَ يَوْمًا بَقِيَتْ بَغْدَادُ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا،لَيْسَ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا الشَّاذُّ مِنَ النَّاسِ،وَالْقَتْلَى فِي الطُّرُقَاتِ كَأَنَّهَا التُّلُولُ،وَقَدْ سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْمَطَرُ،فَتَغَيَّرَتْ صُوَرُهُمْ،وَأَنْتَنَتِ الْبَلَدُ مِنْ جِيَفِهِمْ،وَتَغَيَّرَ الْهَوَاءُ،فَحَصَلَ بِسَبَبِهِ الْوَبَاءُ الشَّدِيدُ،حَتَّى تَعَدَّى وَسَرَى فِي الْهَوَاءِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ،فَمَاتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ تَغَيُّرِ الْجَوِّ وَفَسَادِ الرِّيحِ،فَاجْتَمَعَ عَلَى النَّاسِ الْغَلَاءُ وَالْوَبَاءُ وَالْفَنَاءُ وَالطَّعْنُ وَالطَّاعُونُ،فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَلَمَّا نُودِيَ بِبَغْدَادَ بِالْأَمَانِ خَرَجَ مَنْ كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ بِالْمَطَامِيرِ وَالْقُنِيِّ وَالْمَغَايِرِ كَأَنَّهُمُ الْمَوْتَى إِذَا نُبِشُوا مِنْ قُبُورِهِمْ،وَقَدْ أَنْكَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا،فَلَا يَعْرِفُ الْوَالِدُ وَلَدَهُ،وَلَا الْأَخُ أَخَاهُ،وَأَخَذَهُمُ الْوَبَاءُ الشَّدِيدُ،فَتَفَانَوْا وَلَحِقُوا بِمَنْ سَلَفَ مِنَ الْقَتْلَى،وَاجْتَمَعُوا فِي الْبِلَى تَحْتَ الثَّرَى،بِأَمْرِ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى،اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى. [١٥٨]

هذه صورة من الواقع التاريخي،حينما ظهر المشركون على المسلمين فلم يرقبوا فيهم إلّا ولا ذمة. فهل كانت صورة تاريخية من الماضي البعيد الموغل في الظلمات،اختص بها التتار في ذلك الزمان؟

كلا! إن الواقع التاريخي الحديث لا تختلف صوره عن هذه الصورة! ..

إن ما وقع من الوثنيين الهنود عند انفصال باكستان لا يقل شناعة ولا بشاعة عما وقع من التتار في ذلك الزمان البعيد .. إن ثمانية ملايين من المهاجرين المسلمين من الهند – ممن أفزعتهم الهجمات البربرية المتوحشة على المسلمين الباقين في الهند فآثروا الهجرة على البقاء – قد وصل منهم إلى أطراف باكستان ثلاثة ملايين فقط! أما الملايين الخمسة الباقية فقد قضوا بالطريق .. طلعت عليهم العصابات الهندية الوثنية المنظمة المعروفة للدولة الهندية جيدا والتي يهيمن عليها ناس من الكبار في الحكومة الهندية،فذبحتهم كالخراف على طول الطريق،وتركت جثثهم نهبا للطير والوحش،بعد التمثيل بها ببشاعة منكرة،لا تقل – إن لم تزد – على ما صنعه التتار بالمسلمين من أهل بغداد! ..

---

[١٥٨] – البداية والنهاية ط هجر (١٧/ ٣٥٦) ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم [١١/ ٥٧٢١]

قلت: وما فعله أعداء الإسلام اليوم في العراق وغيرهما من بلدان المسلمين أدهى وأمر أيضا، بل وما يفعله الطغاة ببلاد المسلمين أعظم

أما المأساة البشعة المروعة المنظمة فكانت في ركاب القطار الذي نقل الموظفين المسلمين في أنحاء الهند إلى باكستان،حيث تم الاتفاق على هجرة من يريد الهجرة من الموظفين المسلمين في دوائر الهند إلى باكستان واجتمع في هذا القطار خمسون ألف موظف .. ودخل القطار بالخمسين ألف موظف في نفق بين الحدود الهندية الباكستانية يسمى (ممر خيبر) .. وخرج من الناحية الأخرى وليس به إلا أشلاء ممزقة متناثرة في القطار! .. لقد أوقفت العصابات الهندية الوثنية المدربة الموجهة،القطار في النفق. و لم تسمح له بالمضي في طريقه إلا بعد أن تحول الخمسون ألف موظف إلى أشلاء ودماء! .. وصدق قول الله سبحانه:«كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلّا ولا ذمة» .. وما تزال هذه المذابح تتكرر في صور شتى ثم ماذا فعل خلفاء التتار في الصين الشيوعية وروسيا الشيوعية بالمسلمين هناك؟ .. لقد أبادوا من المسلمين في خلال ربع قرن ستة وعشرين مليونا .. بمعدل مليون في السنة .. وما تزال عمليات الإبادة ماضية في الطريق .. ذلك غير وسائل التعذيب الجهنمية التي تقشعر لهولها الأبدان. وفي هذا العام وقع في القطاع الصيني من التركستان المسلمة ما يغطي على بشاعات التتار .. لقد جيء بأحد الزعماء المسلمين،فحفرت له حفرة في الطريق العام. وكلف المسلمون تحت وطأة التعذيب والإرهاب،أن يأتوا بفضلاتهم الآدمية (التي تتسلمها الدولة من الأهالي جميعا لتستخدمها في السماد مقابل ما تصرفه لهم من الطعام!!!) فيلقوها على الزعيم المسلم في حفرته .. وظلت العملية ثلاثة أيام والرجل يختنق في الحفرة على هذا النحو حتى مات! كذلك فعلت يوغسلافيا الشيوعية بالمسلمين فيها. حتى أبادت منهم مليونا منذ الفترة التي صارت فيها شيوعية بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم. وما تزال عمليات الإبادة والتعذيب الوحشي – التي من أمثلتها البشعة إلقاء المسلمين رجالا ونساء في «مفارم» اللحوم التي تصنع لحوم (البولوبيف) ليخرجوا من الناحية الأخرى عجينة من اللحم والعظام والدماء – ماضية إلى الآن!!! وما يجري في يوغسلافيا يجري في جميع الدول الشيوعية والوثنية .. الآن .. في هذا الزمان .. ويصدق قول الله سبحانه:«كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلا ذِمَّةً؟ ». «لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلا ذِمَّةً،وَأُولئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ» ..

إنها لم تكن حالة طارئة ولا وقتية في الجزيرة العربية. ولم تكن حالة طارئة ولا وقتية في بغداد .. إنها الحالة الدائمة الطبيعية الحتمية حيثما وجد مؤمنون يدينون بالعبودية لله وحده ومشركون أو ملحدون يدينون بالعبودية لغير الله. في كل زمان وفي كل مكان.

ومن ثم فإن تلك النصوص – وإن كانت قد نزلت لمواجهة حالة واقعة في الجزيرة،وعنت بالفعل تقرير أحكام التعامل مع مشركي الجزيرة – إلا أنها أبعد مدى في الزمان والمكان. لأنها تواجه مثل هذه الحالة دائما في كل زمان وفي كل مكان. والأمر في تنفيذها إنما يتعلق بالمقدرة على التنفيذ في مثل الحالة التي نفذت فيها في الجزيرة العربية،ولا يتعلق بأصل الحكم ولا بأصل الموقف الذي لا يتبدل على الزمان ..[١٥٩]

الحقيقة الخامسة – لا يمكن أن يساعدوننا لله

بل لمصلحتهم الخاصة بيقين،لأنهم لا يعرفون إنسانية ولا معروفاً أصلاً،قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧)} [الأنفال:٣٦،٣٧]

إِنَّ إِنْفَاقَكُمْ المَالَ فِي سَبِيلِ قِتَالِ المُسْلِمِينَ،وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ،وَمَنْعِ النَّاسِ مِنَ الدُّخُولِ فِي الإِسْلاَمِ لَنْ يَكُونَ عَلَيْكُمْ إلاّ حَسْرَةً،وَلَنْ يُجْدِيَكُمْ نَفْعاً،فَإِنَّكُمْ سَتُغْلَبُونَ مَرَّةً أُخْرَى،وَسَيَحْشُرُكُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى جَهَنَّمَ،إِذَا مَا أَصْرَرْتُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ،وَعَلَى مُعَانَدَةِ الرَّسُولِ وَالمُؤْمِنِينَ .

إِنَّ اللهَ تَعَالَى كَتَبَ لِعِبَادِهِ النَّصْرَ،وَكَتَبَ الحَسْرَةَ وَالخُذْلاَنَ لأَعْدَائِهِمْ وَلِمَنْ يُقَاتِلُهُمْ مِنَ الكُفَّارِ لِلصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ،وَذَلِكَ لِيَمِيزَ اللهُ الكَافِرَ الخَبِيثَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ،عَنِ المُؤْمِنِ

---

[١٥٩] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٢١٧٨)

الطَّيِّبِ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ،وَلِيَجْمَعَ الكُفْرَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ،وَيَقْذِفَهُ فِي جَهَنَّمَ،وَهَؤُلاَءِ الذِينَ يَقْذِفُهُمْ فِي جَهَنَّمَ هُمُ الخَاسِرُونَ .[١٦٠]

إنهم ينفقون أموالهم،ويبذلون جهودهم،ويستنفدون كيدهم،في الصد عن سبيل الله،وفي إقامة العقبات في وجه هذا الدين. وفي حرب العصبة المسلمة في كل أرض وفي كل حين ..

إن المعركة لن تكف. وأعداء هذا الدين لن يدعوه في راحة. ولن يتركوا أولياء هذا الدين في أمن. وسبيل هذا الدين هو أن يتحرك ليهاجم الجاهلية،وسبيل أوليائه أن يتحركوا لتحطيم قدرة الجاهلية على العدوان ثم لإعلاء راية الله حتى لا يجرؤ عليها الطاغوت.

والله – سبحانه – ينذر الكفار الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله بأنها ستعود عليهم بالحسرة ..

إنهم سينفقونها لتضيع في النهاية،وليغلبوا هم وينتصر الحق في هذه الدنيا. وسيحشرون في الآخرة إلى جهنم،فتتم الحسرة الكبرى .. ذلك ..«لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ،وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ،فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ» .. فكيف؟

إن هذا المال الذي ينفق يؤلب الباطل ويملي له في العدوان فيقابله الحق بالكفاح والجهاد وبالحركة للقضاء على قدرة الباطل على الحركة .. وفي هذا الاحتكاك المرير،تنكشف الطباع،ويتميز الحق من الباطل،كما يتميز أهل الحق من أهل الباطل – حتى بين الصفوف التي تقف ابتداء تحت راية الحق قبل التجربة والابتلاء! – ويظهر الصامدون الصابرون المثابرون الذين يستحقون نصر الله،لأنهم أهل لحمل أماناته،والقيام عليها،وعدم التفريط فيها تحت ضغط الفتنة والمحنة .. عند ذلك يجمع الله الخبيث على الخبيث،فيلقي به في جهنم .. وتلك غاية الخسران ..[١٦١]

---

[١٦٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١١٩٧، بترقيم الشاملة آليا)

[١٦١] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٢٠٤٦)

الحقيقة السادسة – إن الذي يقاتل المسلمين منذ أن جاء الإسلام هم اليهود والنصارى والوثنيون المشركون

فهم حرب على الإسلام حتى قيام الساعة،عَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:فَارِسُ نَطْحَةٌ،أَوْ نَطْحَتَانِ،ثُمَّ لاَ فَارِسَ بَعْدَهَا أَبَدًا وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ أَصْحَابُ بَحْرٍ وَصَخْرٍ كُلَّمَا ذَهَبَ قَرْنٌ خَلَفَه قَرْنٌ مَكَانَهُ،هَيْهَاتَ إِلَى آخَرِ الدَّهْرِ ، هُمْ أَصْحَابُكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ. [١٦٢]

إن الأمور بطبيعتها كذلك – كما أسلفنا. إن المجتمع الجاهلي لا يتحرك كأفراد إنما يتحرك ككائن عضوي،تندفع أعضاؤه،بطبيعة وجوده وتكوينه،للدفاع الذاتي عن وجوده وكيانه. فهم بعضهم أولياء بعض طبعا وحكما .. ومن ثم لا يملك الإسلام أن يواجههم إلا في صورة مجتمع آخر له ذات الخصائص،ولكن بدرجة أعمق وأمتن وأقوى. فأما إذا لم يواجههم بمجتمع ولاؤه بعضه لبعض،فستقع الفتنة لأفراده من المجتمع الجاهلي – لأنهم لا يملكون مواجهة المجتمع الجاهلي المتكافل أفرادا – وتقع الفتنة في الأرض عامة بغلبة الجاهلية على الإسلام بعد وجوده. ويقع الفساد في الأرض بطغيان الجاهلية على الإسلام وطغيان ألوهية العباد على ألوهية الله ووقوع الناس عبيدا للعباد مرة أخرى. وهو أفسد الفساد:«إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ» ..

ولا يكون بعد هذا النذير نذير،ولا بعد هذا التحذير تحذير .. والمسلمون الذين لا يقيمون وجودهم على أساس التجمع العضوي الحركي ذي الولاء الواحد والقيادة الواحدة،يتحملون أمام الله – فوق ما يتحملون في حياتهم ذاتها – تبعة تلك الفتنة في الأرض،وتبعة هذا الفساد الكبير. [١٦٣]

الحقيقة السابعة – إن الذي أجهز على الدولة العثمانية الإسلامية هم هؤلاء الكفرة الفجرة

---

[١٦٢] – مصنف ابن أبي شيبة –دار القبلة (١٠/ ٢٥٦)(١٩٦٨٨) صحيح مرسل

[١٦٣] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٢١٠٩)

وهم الذين اقتسموا العالم الإسلامي وقسموه إلى دويلات هشة لا قيمة لها،وهم الـــذين نصبوا علينا أولئك الطغاة كلهم،ومنهم الهالك القذافي،وهم الذين يدعمونهم ليل نهار،وهم الذين غيروا مناهج التعليم والثقافة،وهم الـــذين نشـــروا المـــذاهب الهدامـــة في العـــالم الإسلامي،وهم الذين يحاربون الصحوة الإسلامية باسم محاربة الإرهاب،والتطرف وغـــير ذلك من أكاذيب وترهات ...

الحقيقة الثامنة – أن القوانين الدولية لم تضعها دول العالم وتوقع عليها

وإنما وضعها المنتصرون في الحرب العالمية الثانية لتكـــون مناســـبة لمصـــالحهم الخبيثـــة والخسيسة،وأملوها على شعوب العالم بالقوة ....

قال تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَـــا هُـــمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣) } [العنكبوت]

الحقيقة التاسعة – هذه القوانين الدولية لا تطبق إلا على الضعفاء والمساكين

وخاصة المسلمين،ليذبح المسلمون وتهب خيراتهم وتغرا بلادهم باسمها،وما أمر كشـــمير وتركستان وأفغانستان والعراق والبوسنة والهرسك والصومال وفلسطين وغيرها من بـــلاد المسلمين المغتصبة .....

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ،فَقَالُوا:وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا:وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ،حِبُّ رَسُـــولِ اللَّـــهِ ﷺفَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ،ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَـــبَ،ثُمَّ قَالَ:إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ،أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ،وَإِذَا سَرَقَ فِـــيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ،وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا "[١٦٤]

---

[١٦٤] – صحيح البخاري (٤/ ١٧٥)(٣٤٧٥) وصحيح مسلم (٣/ ١٣١٥)٨ – (١٦٨٨)

وعَنِ الْحَسَنِ،قَالَ:حَدَّثَنِي سَوَادُ بْنُ عَمْرٍو،قَالَ:أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ،وَأَنَا مُتَخَلِّقٌ بِخَلُوقٍ،فَلَمَّا رَآنِي قَالَ لِي:"يَا سَوَادُ بْنَ عَمْرٍو وخَلُوقُ وَرْسٍ،أَوَ لَمْ أَنْهَ عَنِ الْخَلُوقِ؟ "،وَنَخَسَنِي بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ فِي بَطْنِي فَأَوْجَعَنِي،فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ الْقِصَاصَ قَالَ:"الْقِصَاصَ" فَكَشَفَ لِي عَنْ بَطْنِهِ فَجَعَلْتُ أُقَبِّلُهُ،ثُمَّ قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ أَدَعُهُ شَفَاعَةً لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[١٦٥]

الحقيقة العاشرة – هؤلاء الكفار والفجار،يدافعون على المجرمين والشواذ وأصحاب الفجور باسم الحرية،وباسم الإنسانية حتى لو أفسدوا المجتمع ودمروه ...

وهؤلاء هم الذين يقتلون ملايين الناس بأسلحتهم الفتاكة،أو ينهبون خيرات الناس بلا حق،أو يهلكون الحرث والنسل،فهذا لا يعتبر جرائم ضد الإنسانية،يعني بمعنى هم ساقط عنهم التكليف،مهما فعلوا وأجرموا وأفسدوا ونهبوا وخربوا وبطشوا فلا حرج عليهم لأنهم يتعبرون أنفسهم أرباباً من دون الله،لا يجرؤ أحد أن يعترض عليهم أو يحاسبهم !!!

الحقيقة الحادية عشرة – نحن لا نعترف بالقوانين الدولية المخالفة للإسلام

ونحن لا نستقي أحكامنا منها،بل نستقي أحكامنا من القرآن والسنة،من شرع ربنا سبحانه وتعالى،وليس شرائع البشر ....

قال تعالى:{ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) } [المائدة:٤٩،٥٠]

{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} أي:أفيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية،وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله. فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية. فمن أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والغي،ولهذا أضافه الله للجاهلية،وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم،والعدل والقسط،والنور والهدى.{وَمَنْ

---

[١٦٥] – السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٨٧)(١٦٠٢٠) صحيح

أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} فالموقن هو الذي يعرف الفرق بين الحكمين ويميز – بإيقانه– ما في حكم الله من الحسن والبهاء،وأنه يتعين –عقلا وشرعا– اتباعه. واليقين،هو العلم التام الموجب للعمل.[١٦٦]

وقال ابن كثير:" وَقَوْلُهُ:{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} يُنْكِرُ تَعَالَى عَلَى مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ الْمُحْكَمِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ،النَّاهِي عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَعَدَلَ إِلَى مَا سِوَاهُ مِنَ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ وَالِاصْطِلَاحَاتِ،الَّتِي وَضَعَهَا الرِّجَالُ بِلَا مُسْتَنَدٍ مِنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ،كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْكُمُونَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَاتِ وَالْجَهَالَاتِ،مِمَّا يَضَعُونَهَا بِآرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ،وَكَمَا يَحْكُمُ بِهِ التَّتَارُ مِنَ السِّيَاسَاتِ الْمَلَكِيَّةِ الْمَأْخُوذَةِ عَنْ مَلِكِهِمْ جِنْكِزْخَانَ،الَّذِي وَضَعَ لَهُمُ الْيَسَاقَ وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كِتَابٍ مَجْمُوعٍ مِنْ أَحْكَامٍ قَدِ اقْتَبَسَهَا عَنْ شَرَائِعَ شَتَّى،مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ،وَفِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْكَامِ أَخَذَهَا مِنْ مُجَرَّدِ نَظَرِهِ وَهَوَاهُ،فَصَارَتْ فِي بَنِيهِ شَرْعًا مُتَّبَعًا،يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ. وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالُهُ،حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [ﷺ] فَلَا يَحْكُمُ سِوَاهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} أَيْ:يَبْتَغُونَ وَيُرِيدُونَ،وَعَنْ حُكْمِ اللَّهِ يَعْدِلُونَ. {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} أَيْ:وَمَنْ أَعْدَلُ مِنَ اللَّهِ فِي حُكْمِهِ لِمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ شَرْعَهُ،وَآمَنَ بِهِ وَأَيْقَنَ وَعَلِمَ أَنَّهُ تَعَالَى أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ،وَأَرْحَمُ بِخُلُقِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا،فَإِنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ،الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ،الْعَادِلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ."[١٦٧]

يتمثل الحق في صدوره من جهة الألوهية،وهي الجهة التي تملك حق تنزيل الشرائع،وفرض القوانين ..

ويتمثل الحق في محتوياته،وفي كل ما يعرض له من شئون العقيدة والشريعة،وفي كل ما يقصه من خبر،وما يحمله من توجيه:«مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ» ..

---

[١٦٦] – تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٣٥)

[١٦٧] – تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ١٣١)

فهو الصورة الأخيرة لدين الله،وهو المرجع الأخير في هذا الشأن،والمرجع الأخير في منـــهج الحياة وشرائع الناس،ونظام حياتهم،بلا تعديل بعد ذلك ولا تبديل.

ومن ثم فكل اختلاف يجب أن يرد إلى هذا الكتاب ليفصل فيه. سواء كان هذا الاختلاف في التصور الاعتقادي بين أصحاب الديانات السماوية،أو في الشريعة التي جاء هذا الكتاب بصورتها الأخيرة. أو كان هذا الاختلاف بين المسلمين أنفسهم،فالمرجع الذي يعودون إليه بآرائهم في شأن الحياة كله هو هذا الكتاب،ولا قيمة لآراء الرجال ما لم يكن لهـــا أصـــل تستند إليه من هذا المرجع الأخير.

وتترتب على هذه الحقيقة مقتضياتها المباشرة:«فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْـــزَلَ اللَّـــهُ،وَلا تَتَّبِـــعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ» ..

والأمر موجه ابتداء إلى رسول الله - ﷺ - فيما كان فيه من أمر أهل الكتـــاب الـــذين يجيئون إليه متحاكمين. ولكنه ليس خاصا بهذا السبب،بل هو عام .. وإلى آخر الزمان .. طالما أنه ليس هناك رسول جديد،ولا رسالة جديدة،لتعديل شيء مـــا في هـــذا المرجـــع الأخير! لقد كمل هذا الدين،وتمت به نعمة الله على المسلمين. ورضيه الله لهم منهج حياة للناس أجمعين. و لم يعد هنالك من سبيل لتعديل شيء فيه أو تبديله،ولا لترك شـــيء مـــن حكمه إلى حكم آخر،ولا شيء من شريعته إلى شريعة أخرى. وقد علم الله حين رضـــيه للناس،أنه يسع الناس جميعا. وعلم الله حين رضيه مرجعا أخيرا أنه يحقق الخير للناس جميعا. وأنه يسع حياة الناس جميعا،إلى يوم الدين. وأي تعديل في هذا المنـــهج - ودعـــك مـــن العدول عنه - هو إنكار لهذا المعلوم من الدين بالضرورة. يخرج صاحبه من هذا الـــدين. ولو قال باللسان ألف مرة:إنه من المسلمين! وقد علم الله أن معاذير كثيرة يمكن أن تقـــوم وأن يبرر بها العدول عن شيء مما أنزل الله واتباع أهواء المحكـــومين المتحـــاكمين .. وأن هواجس قد تتسرب في ضرورة الحكم بما أنزل الله كله بلا عدول عن شيء فيه،في بعض الملابسات والظروف. فحذر الله نبيه - ﷺ - في هذه الآيات مرتين من اتبـــاع أهـــواء المتحاكمين،ومن فتنتهم له عن بعض ما أنزل الله إليه ..

وأولى هذه الهواجس:الرغبة البشرية الخفية في تأليف القلوب بين الطوائف المتعددة،والاتجاهات والعقائد المتجمعة في بلد واحد. ومسايرة بعض رغباتهم عندما تصطدم ببعض أحكام الشريعة،والميل إلى التساهل في الأمور الطفيفة،أو التي يبدو أنها ليست من أساسيات الشريعة!

وقد شاء الله – سبحانه – أن يحسم في هذا الأمر،وأن يقطع الطريق على الرغبة البشرية الخفية في التساهل مراعاة للاعتبار ات والظروف،وتأليفا للقلوب حين تختلف الرغبات والأهواء.

فقال لنبيه:إن الله لو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولكنه جعل لكل منهم طريقا ومنهاجا وجعلهم مبتلين مختبرين فيما آتاهم من الدين والشريعة،وما آتاهم في الحياة كلها من عطايا. وأن كلا منهم يسلك طريقه ثم يرجعون كلهم إلى الله،فينبئهم بالحقيقة،ويحاسبهم على ما اتخذوا من منهج وطريق .. وأنه إذن لا يجوز أن يفكر في التساهل في شيء من الشريعة لتجميع المختلفين في المشارب والمناهج .. فهم لا يتجمعون:«لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً. وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً. وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ. فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ. إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً. فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ».

بذلك أغلق الله – سبحانه – مداخل الشيطان كلها وبخاصة ما يبدو منها خيرا وتأليفا للقلوب وتجميعا للصفوف بالتساهل في شيء من شريعة الله في مقابل إرضاء الجميع! أو في مقابل ما يسمونه وحدة الصفوف!

إن شريعة الله أبقى وأغلى من أن يضحى بجزء منها في مقابل شيء قدر الله ألا يكون! فالناس قد خلقوا ولكل منهم استعداد،ولكل منهم مشرب،ولكل منهم منهج،ولكل منهم طريق. ولحكمة من حكم الله خلقوا هكذا مختلفين.

وقد عرض الله عليهم الهدى وتركهم يستبقون. وجعل هذا ابتلاء لهم يقوم عليه جزاؤهم يوم يرجعون إليه،وهم إليه راجعون وإنما لتعلة باطلة إذن،ومحاولة فاشلة،أن يحاول أحد تجميعهم على حساب شريعة الله،أو بتعبير آخر على حساب صلاح الحياة البشرية وفلاحها. فالعدول أو التعديل في شريعة الله لا يعني شيئا إلا الفساد في الأرض،وإلا

الانحراف عن المنهج الوحيد القويم،وإلا انتفاء العدالة في حياة البشر،وإلا عبودية الناس بعضهم لبعض،واتخاذ بعضهم لبعض أربابا من دون الله .. وهو شر عظيم وفساد عظيم .. لا يجوز ارتكابه في محاولة عقيمة لا تكون لأنها غير ما قدره الله في طبيعة البشر ولأنها مضادة للحكمة التي من أجلها قدر ما قدر من اختلاف المناهج والمشارع،والاتجاهات والمشارب .. وهو خالق وصاحب الأمر الأول فيهم والأخير. وإليه المرجع والمصير ..

إن محاولة التساهل في شيء من شريعة الله،لمثل هذا الغرض،تبدو - في ظل هذا النص الصادق الذي يبدو مصداقه في واقع الحياة البشرية في كل ناحية - محاولة سخيفة لا مبرر لها من الواقع ولا سند لها من إرادة الله ولا قبول لها في حس المسلم،الذي لا يحاول إلا تحقيق مشيئة الله. فكيف وبعض من يسمون أنفسهم «مسلمين» يقولون:إنه لا يجوز تطبيق الشريعة حتى لا نخسر «السائحين»؟!!!

أي والله هكذا يقولون! ويعود السياق فيؤكد هذه الحقيقة،ويزيدها وضوحا. فالنص الأول:«فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ» .. قد يعني النهي عن ترك شريعة الله كلها إلى أهوائهم! فالآن يحذره من فتنتهم له عن بعض ما أنزل الله إليه:«وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ،وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ،وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ» ..

فالتحذير هنا أشد وأدق وهو تصوير للأمر على حقيقته .. فهي فتنة يجب أن تحذر .. والأمر في هذا المجال لا يعدو أن يكون حكما بما أنزل الله كاملا أو أن يكون اتباعا للهوى وفتنة يحذر الله منها.

ثم يستمر السياق في تتبع الهواجس والخواطر فيهون على رسول الله - ﷺ - أمرهم إذا لم يعجبهم هذا الاستمساك الكامل بالصغيرة قبل الكبيرة في هذه الشريعة،وإذا هم تولوا فلم يختاروا الإسلام دينا أو تولوا عن الاحتكام إلى شريعة الله (في ذلك الأوان حيث كان هناك تخيير قبل أن يصبح هذا حتما في دار الإسلام):«فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ. وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ». فإن تولوا فلا عليك منهم ولا يفتنك هذا عن الاستمساك الكامل بحكم الله وشريعته. ولا تجعل إعراضهم يفت في

عضدك أو يحولك عن موقفك .. فإنهم إنما يتولون ويعرضون لأن الله يريد أن يجزيهم على بعض ذنوبهم. فهم الذين سيصيبهم السوء بهذا الإعراض:لا أنت ولا شريعة الله ودينه ولا الصف المسلم المستمسك بدينه .. ثم إنها طبيعة البشر:«وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ» فهم يخرجون وينحرفون. لأنهم هكذا ولا حيلة لك في هذا الأمر،ولا ذنب للشريعة! ولا سبيل لاستقامتهم على الطريق! وبذلك يغلق كل منافذ الشيطان ومداخله إلى النفس المؤمنة ويأخذ الطريق على كل حجة وكل ذريعة لترك شيء من أحكام هذه الشريعة لغرض من الأغراض في ظرف من الظروف ..

ثم يقفهم على مفرق الطريق .. فإنه إما حكم الله،وإما حكم الجاهلية. ولا وسط بين الطرفين ولا بديل

حكم الله يقوم في الأرض،وشريعة الله تنفذ في حياة الناس،ومنهج الله يقود حياة البشر .. أو أنه حكم الجاهلية،وشريعة الهوى،ومنهج العبودية .. فأيهما يريدون؟

«أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ؟".. إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص. فالجاهلية – كما يصفها الله ويحددها قرآنه – هي حكم البشر للبشر،لأنها هي عبودية البشر للبشر،والخروج من عبودية الله،ورفض ألوهية الله،والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر وبالعبودية لهم من دون الله ..

إن الجاهلية – في ضوء هذا النص – ليست فترة من الزمان ولكنها وضع من الأوضاع. هذا الوضع يوجد بالأمس،ويوجد اليوم،ويوجد غدا،فيأخذ صفة الجاهلية،المقابلة للإسلام،والمناقضة للإسلام.

والناس – في أي زمان وفي أي مكان – إما أنهم يحكمون بشريعة الله – دون فتنة عن بعض منها – ويقبلونها ويسلمون بها تسليما،فهم إذن في دين الله. وإما أنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر – في أي صورة من الصور – ويقبلونها فهم إذن في جاهلية وهم في دين من يحكمون بشريعته،وليسوا بحال في دين الله.

والذي لا يبتغي حكم الله يبتغي حكم الجاهلية والذي يرفض شريعة الله يقبل شريعة الجاهلية،ويعيش في الجاهلية.

وهذا مفرق الطريق،يقف الله الناس عليه. وهم بعد ذلك بالخيار! ثم يسألهم سؤال استنكار لابتغائهم حكم الجاهلية وسؤال تقرير لأفضلية حكم الله. «وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ؟"..

وأجل! فمن أحسن من الله حكما؟

ومن ذا الذي يجرؤ على ادعاء أنه يشرع للناس،ويحكم فيهم،خيرا مما يشرع الله لهم ويحكم فيهم؟

وأية حجة يملك أن يسوقها بين يدي هذا الادعاء العريض؟

أيستطيع أن يقول:إنه أعلم بالناس من خالق الناس؟ أيستطيع أن يقول:إنه أرحم بالناس من رب الناس؟ أيستطيع أن يقول:إنه أعرف بمصالح الناس من إله الناس؟ أيستطيع أن يقول:إن الله – سبحانه – وهو يشرع شريعته الأخيرة،ويرسل رسوله الأخير ويجعل رسوله خاتم النبيين،ويجعل رسالته خاتمة الرسالات،ويجعل شريعته شريعة الأبد .. كان – سبحانه – يجهل أن أحوالا ستطرا،وأن حاجات ستستجد،وأن ملابسات ستقع فلم يحسب حسابها في شريعته لأنها كانت خافية عليه،حتى انكشفت للناس في آخر الزمان؟! ما الذي يستطيع أن يقوله من ينحي شريعة الله عن حكم الحياة،ويستبدل بها شريعة الجاهلية،وحكم الجاهلية ويجعل هواه هو أو هوى شعب من الشعوب،أو هوى جيل من أجيال البشر،فوق حكم الله،وفوق شريعة الله؟

ما الذي يستطيع أن يقوله .. وبخاصة إذا كان يدعي أنه من المسلمين؟! الظروف؟ الملابسات؟ عدم رغبة الناس؟ الخوف من الأعداء؟ .. ألم يكن هذا كله في علم الله وهو يأمر المسلمين أن يقيموا بينهم شريعته،وأن يسيروا على منهجه،وألا يفتنوا عن بعض ما أنزله؟

قصور شريعة الله عن استيعاب الحاجات الطارئة،والأوضاع المتجددة،والأحوال المتغلبة؟ ألم يكن ذلك في علم الله وهو يشدد هذا التشديد،ويحذر هذا التحذير؟

يستطيع غير المسلم أن يقول ما يشاء .. ولكن المسلم .. أو من يدعون الإسلام .. ما الذي يقولونه من هذا كله،ثم يبقون على شيء من الإسلام؟ أو يبقى لهم شيء من الإسلام؟

إنه مفرق الطريق،الذي لا معدى عنده من الاختيار ولا فائدة في المماحكة عنده ولا الجدال ..

إما إسلام وإما جاهلية. إما إيمان وإما كفر. إما حكم الله وإما حكم الجاهلية ..

والذين لا يحكمون بما أنزل الله هم الكافرون الظالمون الفاسقون. والذين لا يقبلون حكم الله من المحكومين ما هم بمؤمنين ..

إن هذه القضية يجب أن تكون واضحة وحاسمة في ضمير المسلم وألا يتردد في تطبيقها على واقع الناس في زمانه والتسليم بمقتضى هذه الحقيقة ونتيجة هذا التطبيق على الأعداء والأصدقاء! وما لم يحسم ضمير المسلم في هذه القضية،فلن يستقيم له ميزان ولن يتضح له منهج،ولن يفرق في ضميره بين الحق والباطل ولن يخطو خطوة واحدة في الطريق الصحيح .. وإذا جاز أن تبقى هذه القضية غامضة أو مائعة في نفوس الجماهير من الناس فما يجوز أن تبقى غامضة ولا مائعة في نفوس من يريدون أن يكونوا «المسلمين» وأن يحققوا لأنفسهم هذا الوصف العظيم .[١٦٨]

وقال العلامة الشنقطي رحمه الله عند قوله – تَعَالَى –:وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ. مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ أَنَّ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ النَّاسُ مِنَ الْأَحْكَامِ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ،لَا إِلَى غَيْرِهِ – جَاءَ مُوَضَّحًا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ. فَالْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ فِي حُكْمِهِ كَالْإِشْرَاكِ بِهِ فِي عِبَادَتِهِ،قَالَ فِي حُكْمِهِ:وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا [١٨\ ٢٦]. وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ مِنَ السَّبْعَةِ وَلَا تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا بِصِيغَةِ النَّهْيِ.

وَقَالَ فِي الْإِشْرَاكِ بِهِ فِي عِبَادَتِهِ:فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا [١٨\ ١١٠]،فَالْأَمْرَانِ سَوَاءٌ كَمَا تَرَى إِيضَاحُهُ – إِنْ شَاءَ اللَّهُ –.

---

[١٦٨] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ١٢٩٣)

وَبِذَلِكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْحَلَالَ هُوَ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ،وَالْحَرَامَ هُوَ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ،وَالدِّينَ هُوَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ،فَكُلُّ تَشْرِيعٍ مِنْ غَيْرِهِ بَاطِلٌ،وَالْعَمَلُ بِهِ بَدَلَ تَشْرِيعِ اللَّهِ عِنْدَ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِثْلُهُ أَوْ خَيْرٌ مِنْهُ - كُفْرُ بَوَاحٍ لَا نِزَاعَ فِيهِ.

وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ عَلَى أَنَّهُ لَا حُكْمَ لِغَيْرِ اللَّهِ،وَأَنَّ اتِّبَاعَ تَشْرِيعِ غَيْرِهِ كُفْرٌ بِهِ،فَمِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ وَحْدَهُ قَوْلُهُ - تَعَالَى -:إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ [١٢\ ٤٠]. وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -:إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ الْآيَةَ [١٢\ ٦٧]. وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -:إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ [٦\ ٥٧]. وَقَوْلُهُ:وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ [٥\ ٤٤]. وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - :وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا [١٨\ ٢٦]. وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -:كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [٢٨\ ٨٨]. وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -:لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [٢٨\ ٧٠]. وَالْآيَاتُ بِمِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

وَقَدْ قَدَّمْنَا إِيضَاحَهَا فِي سُورَةِ «الْكَهْفِ» فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ - تَعَالَى -:وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا [١٨\ ٢٦].

وَأَمَّا الْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّ اتِّبَاعَ تَشْرِيعِ غَيْرِ اللَّهِ الْمَذْكُورِ كُفْرٌ،فَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا،كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -:إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ [١٦\ ١٠٠]. وَقَوْلِهِ - تَعَالَى -:وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ [١٦\ ١٢١]. وَقَوْلِهِ - تَعَالَى -:أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ الْآيَةَ [٣٦\ ٦٠]. وَالْآيَاتُ بِمِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا،كَمَا تَقَدَّمَ إِيضَاحُهُ فِي «الْكَهْفِ».[١٦٩]

الحقيقة الثانية عشرة– لقد شرع الله تعالى لنا عقوبة القصاص

وهي قتل القاتل لكي ينصلح المجتمع الإنساني،قال تعالى:{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة:١٧٩]

---

[١٦٩] - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٤٧)

ففِي القِصَاصِ رَاحَةُ البَالِ،وَصِيَانَةُ النَّاسِ مِن اعتِدَاءِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضِهِم الآخَرِ،لأَنَّ مَعْرِفَةَ النَّاسِ أَنَّ مَنْ قَتَلَ يُعَاقَبُ بِالقَتْلِ،تَحْمِلُهُمْ عَلَى الارتِدَاعِ عَنِ القَتْلِ،فَتُصَانُ حَيَاةُ النَّاسِ،وَحَيَاةُ مَنْ يُفَكِّرُ بِالقَتْلِ . وَخَصَّ اللهُ تَعَالَى بِالنِّداءِ أَرْبَابَ العُقُولِ لِلدَّلاَلَةِ عَلَى أَنَّ الذِينَ يَفْهَمُونَ قِيمَةَ الحَيَاةِ،وَيُحَافِظُونَ عَلَيهَا هُمُ العُقَلاَءُ . وَإِذا تَدَبَّرَ أُولُو الأَلبَابِ الحِكْمَةَ مِنْ شَرْعِ القِصَاصِ حَمَلَهُمْ ذلِكَ عَلَى اتِّقَاءِ الاعتِدَاءِ،وَالكَفِّ عَنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ .[١٧٠]

إنه ليس الانتقام،وليس إرواء الأحقاد. إنما هو أجل من ذلك وأعلى. إنه للحياة،وفي سبيل الحياة،بل هو في ذاته حياة .. ثم إنه للتعقل والتدبر في حكمة الفريضة،ولاستحياء القلوب واستجاشتها لتقوى الله ..

والحياة التي في القصاص تنبثق من كف الجناة عن الاعتداء ساعة الابتداء. فالذي يوقن أنه يدفع حياته ثمنا لحياة من يقتل .. جدير به أن يتروى ويفكر ويتردد. كما تنبثق من شفاء صدور أولياء الدم عند وقوع القتل بالفعل. شفائها من الحقد والرغبة في الثأر. الثأر الذي لم يكن يقف عند حد في القبائل العربية حتى لتدوم معاركه المتقطعة أربعين عاما كما في حرب البسوس المعروفة عندهم. وكما نرى نحن في واقع حياتنا اليوم،حيث تسيل الحياة على مذابح الأحقاد العائلية جيلا بعد جيل،ولا تكف عن المسيل ..

وفي القصاص حياة على معناها الأشمل الأعم. فالاعتداء على حياة فرد اعتداء على الحياة كلها،واعتداء على كل إنسان حي،يشترك مع القتيل في سمة الحياة. فإذا كف القصاص الجاني عن إزهاق حياة واحدة،فقد كفه عن الاعتداء على الحياة كلها. وكان في هذا الكف حياة. حياة مطلقة. لا حياة فرد،ولا حياة أسرة،ولا حياة جماعة .. بل حياة .. ثم – وهو الأهم والعامل المؤثر الأول في حفظ الحياة – استجاشة شعور التدبر لحكمة الله،ولتقواه:«لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» ..

هذا هو الرباط الذي يعقل النفوس عن الاعتداء. الاعتداء بالقتل ابتداء،والاعتداء في الثأر أخيرا ..

التقوى .. حساسية القلب وشعوره بالخوف من الله وتحرجه من غضبه وتطلبه لرضاه.

---

[١٧٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٨٦، بترقيم الشاملة آليا)

إنه بغير هذا الرباط لا تقوم شريعة،ولا يفلح قانون،ولا يتحـــرج متحـــرج،ولا تكفـــي التنظيمات الخاوية من الروح والحساسية والخوف والطمع في قوة أكبر من قوة الإنســـان! وهذا ما يفسر لنا ندرة عدد الجرائم التي أقيمت فيها الحدود على عهـــد الـــنبي - ﷺ - وعهد الخلفاء،ومعظمها كان مصحوبا باعتراف الجاني نفسه طائعا مختارا .. لقد كانـــت هنالك التقوى .. كانت هي الحارس اليقظ في داخل الضمائر،وفي حنايا القلوب،تكفهـــا عن مواضع الحدود .. إلى جانب الشريعة النيرة البصيرة بخفايا الفطر ومكنونات القلـــوب .. وكان هناك ذلك التكامل بين التنظيمات والشرائع من ناحية والتوجيهات والعبـــادات من ناحية أخرى،تتعاون جميعها على إنشاء مجتمع سليم التصور سليم الشـــعور. نظيـــف الحركة نظيف السلوك. لأنها تقيم محكمتها الأولى في داخل الضمير!

«حتى إذا جمحت السورة البهيمية في حين من الأحيان،وسقط الإنســـان ســـقطة،وكان ذلك حيث لا تراقبه عين ولا تتناوله يد القانون،تحول هذا الإيمان نفسا لوامة عنيفة،ووخزا لاذعا للضمير،وخيالا مروعا،لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف بذنبه أمام القانون،ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة،ويتحملها مطمئنا مرتاحا،تفاديا من سخط الله،وعقوبة الآخرة» إنها التقوى .. إنها التقوى ..[١٧١]

الحقيقة الثالثة عشرة – إن ما فعله الإخوة المجاهدون في ليبيا من قتل للطاغية القـــذافي هو شرع الله تعالى

قال تعالى:{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّـــهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا } [الإسراء:٣٣]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ،يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّـــهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ،إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ:النَّفْسُ بِالنَّفْسِ،وَالثَّيِّبُ الزَّانِي،وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ "[١٧٢]

---

[١٧١] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – (ص: ٣٨٣)

[١٧٢] – صحيح البخاري (٩/ ٥)(٦٨٧٨) وصحيح مسلم (٣/ ١٣٠٢)٢٥ – (١٦٧٦)

وكذلك يستحق القتل لأنه زنديق مرتد كما هو معلوم لدى الجميع،فعَنْ عِكْرِمَةَ،قَالَ:أُتِيَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،بِزَنَادِقَةٍ فَأَحْرَقَهُمْ،فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ،فَقَالَ:لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحْرِقْهُمْ،لِنَهْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:«لاَ تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ» وَلَقَتَلْتُهُمْ،لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[١٧٣]

ومن ثم فدمه مهدور لأي واحد ليبي أولا ومسلم ثانيا،وهو لم يستسلم من البداية حتى تعمل له محكمة عدل إسلامية ونحاكمه على آلاف الرجائم التي ارتكبها،ولكنه كان يقاتل حتى آخر لحظة في حياته..

فلو قطع إربا إربا ووزع على الليبيين الذين نكبوا به لكان قليلاً عليه.

الحقيقة الرابعة عشرة –يجوز قتل أسير الحرب إذا اقتضت المصلحة ذلك

هذا إذا كنا في حالة حرب مع الكفار والفجار،ولكن إذا كنا نقاتل الحاكم الذي خرج على الشريعة وقتل ونهب وسلب،فهو مفسد في الأرض،وهذا جزؤاه في شرع الله تعالى،قال تعالى:{ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [المائدة:٣٣]

المُحَارَبَةُ هُنَا هِيَ المُخَالَفَةُ وَالمُضَادَّةُ،لأَنَّ فِيهَا عَدَمَ إِذْعَانٍ لِدِينِ اللهِ وشَرْعِه،فِي حِفْظِ الحُقُوقِ،وَهِيَ تَصْدُقُ عَلَى الكُفْرِ،وَعَلى قَطْعِ الطَّرِيقِ،وَإِخَافَةِ السَّابِلَةِ . وَكَذَلِكَ يُطْلَقُ الإِفْسَادُ فِي الأَرْضِ عَلَى أَنْواعٍ مِنَ الشَّرِّ وَالفَسَادِ .

وَحُكْمُ المُحَارَبَةِ عِنْدَ الأَئِمَّةِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وابْنِ حَنْبَلٍ يَكُونُ فِي الأَمْصَارِ كَمَا يَكُونُ فِي الطُّرُقِ خَارِجَ المُدُنِ،حَتَّى إِنَّ مَالِكًا جَعَلَ المُحَارَبَةَ تَشْمَلُ حَالَةَ الرَّجُلِ الذِي يَخْدَعُ رَجُلاً فَيُدْخِلُهُ بَيْتَهُ فَيَقْتُلُهُ وَيَأْخُذُ مَا مَعَهُ .

---

[١٧٣] – صحيح البخاري (٩/ ١٥)(٦٩٢٢)

وَقَالَ أبو حَنيفَة إنَّمَا تَكُونُ الْمُحَارَبَةُ فِي الطُّرُقَاتِ لِبُعْدِ النَّاسِ عَمَّنْ يُغِيثُ،أَمَّا فِي الأَمْصَارِ فَلاَ تَكُونُ مُحَارَبَةٌ لأنَّ الإنْسَانَ قَدْ يَلْحَقُهُ غَوْثٌ إذَا اسْتَغَاثَ .[١٧٤]

الحقيقة الخامسة عشرة – لا يجوز للمجلس الانتقالي،التعويل على كلام منظمة حقوق الإنسان

ولا تسليم أي واحد ليبي لهذا السبب،وإلا اعتبر ذلك ردة عن الإسلام وكفرا صريحاً يخرج من الملة بيقين،

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ سَالِمًا أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،أَخْبَرَهُ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ،وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ،وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً،فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ،وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[١٧٥]

" وَلَا يُسْلِمُهُ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَكَسْرِ اللَّامِ أَيْ لا يَخْذُلُهُ بَلْ يَنْصُرُهُ،قَالَ فِي النِّهَايَةِ أَسْلَمَ فُلَانٌ فُلَانًا إذَا أَلْقَاهُ فِي التَّهْلُكَةِ وَلَمْ يَحْمِهِ مِنْ عَدُوِّهِ وَهُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ أَسْلَمْتَهُ إلَى شَيْءٍ لَكِنْ دَخَلَهُ التَّخْصِيصُ وَغَلَبَ عَلَيْهِ الْإِلْقَاءُ فِي الْهَلَكَةِ"[١٧٦]

الحقيقة السادسة عشرة – قد يكون سبب إثارة هذا الموضوع لأن حلف الناتو لم يقتلوا القذافي هم أو يأسروه حتى يمنوا على أهل ليبيا أنهم لولا الناتو لما انتصروا

ومن ثم يفرضون على الليبيين مايشاءون من قوانين وإتاوات وغيرها ليبقى ما كان على ما كان ... فلما قتل بيد الليبيين فلا بد أن يفتعلوا شيئا من أجل ابتزاز المجلس الانتقالي .... والضغط عليه لتنفيذ مشاريعهم الخبيثة

---

[١٧٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٧٠٣، بترقيم الشاملة آليا)

[١٧٥] – صحيح البخاري (٣/ ١٢٨)(٢٤٤٢) وصحيح مسلم (٤/ ١٩٩٦)٥٨ – (٢٥٨٠)

[١٧٦] – تحفة الأحوذي (٤/ ٥٧٥)

الحقيقة السابعة عشرة – كل من يدافع عن الطاغية الصنم القذافي فهو مثله تماما

وحكمه حكمه،لأنه لا يمكن أن يدافع عنه مؤمن بالله واليوم الآخر،بل الذي يدافع عنه هو خائن لله ولرسوله وللمؤمنين،ومن ثم سوف نتعامل معه كمجرب حرب أيضا يدافع عن المجرمين،قال تعالى:{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ } [يونس:١٣]

الحقيقة الثامنة عشرة – إذا أراد هؤلاء الكفار أخذ المجاهدين بالقوة لهذه المحكمة الباطلة،فيجب على أهل ليبيا جميعا الدفاع عن المجاهدين الذين ضحوا بالغالي والنفيس من أجل تحرير ليبيا من مسليمة العصر الطاغية القذافي .....

الحقيقة التاسعة عشرة – لا يجوز الترحم ولا الاستغفار للقذافي ولا دفنه في مقابر المسلمين هو وذريته وأتباعه ..الذين قتلوا معه

ومن ثم نقول:الكافر إذا مات لا يغسل ولا يكفن،ولا تجوز الصلاة عليه،ولا الاستغفار له،ولا الترحم عليه،ولا دفنه في مقابر المسلمين؛ لأنه مات على الكفر الموجب للخلود في النار.قال الله تعالى:{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣)} [التوبة:١١٣].[١٧٧]

وفي الموسوعة الفقهية:"لاَ خِلاَفَ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدْفِنَ كَافِرًا وَلَوْ قَرِيبًا إِلاَّ لِضَرُورَةٍ،بِأَنْ لاَ يَجِدَ مَنْ يُوَارِيهِ غَيْرَهُ فَيُوَارِيهِ وُجُوبًا .فعَنْ عَلِيٍّ،قَالَ:لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ،فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ قَدْ مَاتَ،قَالَ:"اذْهَبْ فَوَارِهِ قُلْتُ:إِنَّهُ مَاتَ مُشْرِكًا،قَالَ:اذْهَبْ فَوَارِهِ وَلَا تُحَدِّثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي «،فَوَارَيْتُهُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ قَدْ وَارَيْتُهُ فَأَمَرَنِي فَاغْتَسَلْتُ»[١٧٨]

---

[١٧٧] – موسوعة الفقه الإسلامي (٢/ ٧٦٧)

[١٧٨] – السنن الكبرى للنسائي (١/ ١٥٠)(١٩٣) صحيح.

وَكَذَلِكَ قَتْلَى بَدْرٍ أُلْقُوا فِي الْقَلِيبِ،أَوْ لأَنَّهُ يَتَضَرَّرُ بِتَرْكِهِ وَيَتَغَيَّرُ بِبَقَائِهِ . وَلاَ يُسْتَقْبَلُ بِهِ قِبْلَتَنَا لأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا،وَلاَ قِبْلَتَهُمْ ؛ لِعَدَمِ اعْتِبَارِهَا،فَلاَ يُقْصَدُ جِهَةٌ مَخْصُوصَةٌ،بَل يَكُونُ دَفْنُهُ مِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةِ السُّنَّةِ ." [١٧٩]

بل إذا دفن في مقابر المسلمين ينبش قبره وينقل منها لمقابر الكفار

ويجب نبش القبر في الأحوال الآتية:

٣ – إذا دُفن الكافر في مقابر المسلمين حتى ولو بعد التغير؛ لأن الكافر لا حرمة له."[١٨٠]

الحقيقة العشرون – هذه الأحكام الشرعية ليست خاصة بالهالك القذافي،بل تشمل جميع الطغاة والفراعنة والمرتدين .....

والله يقول الحق،وهو يهدي السبيل

في ٢٥ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ الموافق ٢٠١١/١٠/٢٢ م

[١٧٩] – الموسوعة الفقهية الكويتية – وزارة الأوقاف الكويتية (٢١/ ١٢)

[١٨٠] – موسوعة الفقه الإسلامي (٢/ ٧٧٨)

الفهرس العام

المبحث الأول ٣

رسالة مفتوحة إلى حكام البلاد العربية وغيرها ٣

الوصول للسلطة بالقوة والعمالة: ٣

صفات الحاكم المسلم: ٦

وجودكم من علامات الساعة: ٩

صفات الحاكم الصالح: ١٠

إن الحاكم الصالح هو الذي يثيب المحسنين ويعاقب المسيئين ١٠

والحاكم الصالح لا يطلب الحكم بنفسه ١١

الحاكم المسلم الصالح هو الذي يحكم بمال أنزل الله تعالى: ١٢

والحاكم المسلم لا يتحاكم إلى الطاغوت: ١٣

قدوتكم فرعون: ١٥

صفات الخلفاء الراشدين: ١٦

لا يقول لك أحد حولك أخطأت: ١٨

الحاكم الصالح يحبه شعبه ويحبهم: ١٩

مجاهدة الحكام الظالمين: ١٩

كيل التهم الجاهزة لمن خالفه: ١٩

أيها الحاكم لست إلها ولا تجوز طاعتك في المعصية أبدا مهما كنت: ٢١

أيها الحاكم سوف تموت فإن كنت عادلا نجوت وإن كنت ظالما هلكت وأهلكت ٢٦

أيها الحاكم الجائر لن يتركك الله تعالى بلا عقاب ٢٩

ونهايتك سوف تكون كنهاية فرعون ٣٦

أيها الحاكم عندما تطبق القرآن وتحكم بالقرآن عقيدة وعبادة وشريعة ومنهج حياة فابق في كرسيك لا مطمع لنا بها ٣٨

أيها الحاكم مهما أخذت بأسباب البقاء سوف تموت رغما عنك فانظر إلى عاقبتك ٤٣

فكر بمصيرك يوم القيامة وجرائمك التي ستلقاها أمامك: ٤٥

المبحث الثاني ٥١

الأحكام الشرعية لفراعنة الدول العربية ٥١
أولا– كان القذافي مرتدا زنديقا حلال الدم..... ٥١
ثانيا– كانت آخر أيامه أسوأ من أولها ٥١
ثالثا– هذا الطاغية الصنم مات على غير ملة الإسلام..... ٥٢
رابعا– لا يجوز الترحم عليه أبدا ٥٢
خامساً– لا يجوز الاستغفار له ولا الترحم عليه ٥٢
ثامنا– يجب أن يعلم الطغاة جميعاً أنهم بشر وليسوا آلهة ٥٥
تاسعا– هؤلاء ومن اتبعهم إلى جهنم وبئس المهاد ٥٥
عاشرا –الطواغيت في هذه الحياة كثيرون..... ٥٦
الحادي عشر – الجهات التي تشترك في صناعة الطاغوت: ٥٨
١– نفسه الأمارة بالسوء:..... ٥٨
٢– بطانة السوء الفاسدة: ٥٩
٣– علماء السلطة المنافقون:..... ٦١
٤– الشعوب المستكينة المستسلمة:..... ٦٢
الثاني عشر – بشار ومعمر وموقعة «ذات المجاري»..... ٦٣
الثالث عشر – قصيدة الشيخ في هلاك القذافي .. يا طغاة العرب اعتبـــــروا ٦٥
المبحث الثالث..... ٦٧
مقتل القذافي دروس وعبر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ٦٧
١– عظمة الله جل في علاه: ٦٧
٢– نزع الملك: ٦٧
٣ – عاقبة الظلم وخيمة:..... ٦٩
٤– تفاهة الدنيا:..... ٧٣
٥– آيات الرحمن في نهاية ملك ملوك الجرذان) ٨٠
٦– هلاك القذافي.. والدرس المستفاد:..... ٨٥
فما الحكمة من تأخير نزول العذاب بالظالمين؟ ٨٦
متى يعتبر الطغاة؟..... ٨٧
السنة عند هلاك الطغاة:..... ٨٨

أحكام تتعلق بموت الهالك القذافي: ٨٩
الظلم ظلمات: ٩٠
المبحث الرابع ٩٣
يا فرعون سوريا هل تعتبر بفرعون ليبيا ؟ ٩٣
سوف تموت كما مات كل الطغاة ٩٣
كيف ورث الأسد الحكم ؟ ٩٦
مهما كنت قويا فأنت ضعيف وهالك ٩٦
نهاية الأسد إذا مات على الحال التي هو عليها الآن ٩٨
حقائق يجب أن تعلمها: ١٠٢
أولا – نحن لا نشك بكفرك وزندقتك لحظة واحدة ١٠٢
ثانيا–شهادة هؤلاء لا تساوي شيئا عند الله لأنها شهادة زور وبهتان ١٠٣
ثالثا– الأدلة على كفرك أكثر من أن تحصى ١٠٣
شروط توبة الأسد: ١٠٣
إذا لم تتب فماذا سيكون ؟ ١٠٥
المبحث الخامس ١٠٧
الغرب يلوح بعقوبات جرائم حرب ضد الثوار الليبيين !!!! ١٠٧
يجب أن نعلم الحقائق التالية عن أعداء الإسلام وعن عقوبة القصاص: ١٠٩
الحقيقة الأولى – هم لن يرضوا عنا ما دمنا مسلمين ١٠٩
الحقيقة الثانية – هم أشد الناس عداء لنا ولديننا ١١١
الحقيقة الثالثة – هم يزعمون أنهم يحبوننا ويتعاونون معنا بألسنتهم لكن حقيقتهم غير ذلك تماما ١١٦
الحقيقة الخامسة – لا يمكن أن يساعدوننا لله ١٢٩
الحقيقة السادسة – إن الذي يقاتل المسلمين منذ أن جاء الإسلام هم اليهود والنصارى والوثنيون المشركون ١٣١
الحقيقة السابعة – إن الذي أجهز على الدولة العثمانية الإسلامية هم هؤلاء الكفرة الفجرة ١٣١
الحقيقة الثامنة – أن القوانين الدولية لم تضعها دول العالم وتوقع عليها ١٣٢

الحقيقة التاسعة – هذه القوانين الدولية لا تطبق إلا على الضعفاء والمساكين ١٣٢
الحقيقة العاشرة – هؤلاء الكفار والفجار،يدافعون على المجرمين والشواذ وأصحاب الفجور باسم الحرية،وباسم الإنسانية حتى لو أفسدوا المجتمع ودمروه ١٣٣
الحقيقة الحادية عشرة – نحن لا نعترف بالقوانين الدولية المخالفة للإسلام ١٣٣
الحقيقة الثانية عشرة– لقد شرع الله تعالى لنا عقوبة القصاص ١٤١
الحقيقة الثالثة عشرة – إن ما فعله الإخوة المجاهدون في ليبيا من قتل للطاغية القذافي هو شرع الله تعالى ١٤٣
الحقيقة الرابعة عشرة –يجوز قتل أسير الحرب إذا اقتضت المصلحة ذلك..... ١٤٤
الحقيقة الخامسة عشرة – لا يجوز للمجلس الانتقالي،التعويل على كلام منظمة حقوق الإنسان ١٤٥
الحقيقة السادسة عشرة – قد يكون سبب إثارة هذا الموضوع لأن حلف الناتو لم يقتلوا القذافي هم أو يأسروه حتى يمنوا على أهل ليبيا أنهم لولا الناتو لما انتصروا..... ١٤٥
الحقيقة السابعة عشرة – كل من يدافع عن الطاغية الصنم القذافي فهو مثله تماما..... ١٤٦
الحقيقة الثامنة عشرة – إذا أراد هؤلاء الكفار أخذ المجاهدين بالقوة لهذه المحكمة الباطلة،فيجب على أهل ليبيا جميعا الدفاع عن المجاهدين الذين ضحوا بالغالي والنفيس من أجل تحرير ليبيا من مسليمة العصر الطاغية القذافي ١٤٦
الحقيقة التاسعة عشرة – لا يجوز الترحم ولا الاستغفار للقذافي ولا دفنه في مقابر المسلمين هو وذريته وأتباعه ..الذين قتلوا معه..... ١٤٦
الحقيقة العشرون – هذه الأحكام الشرعية ليست خاصة بالهالك القذافي،بل تشمل جميع الطغاة والفراعنة والمرتدين ١٤٧